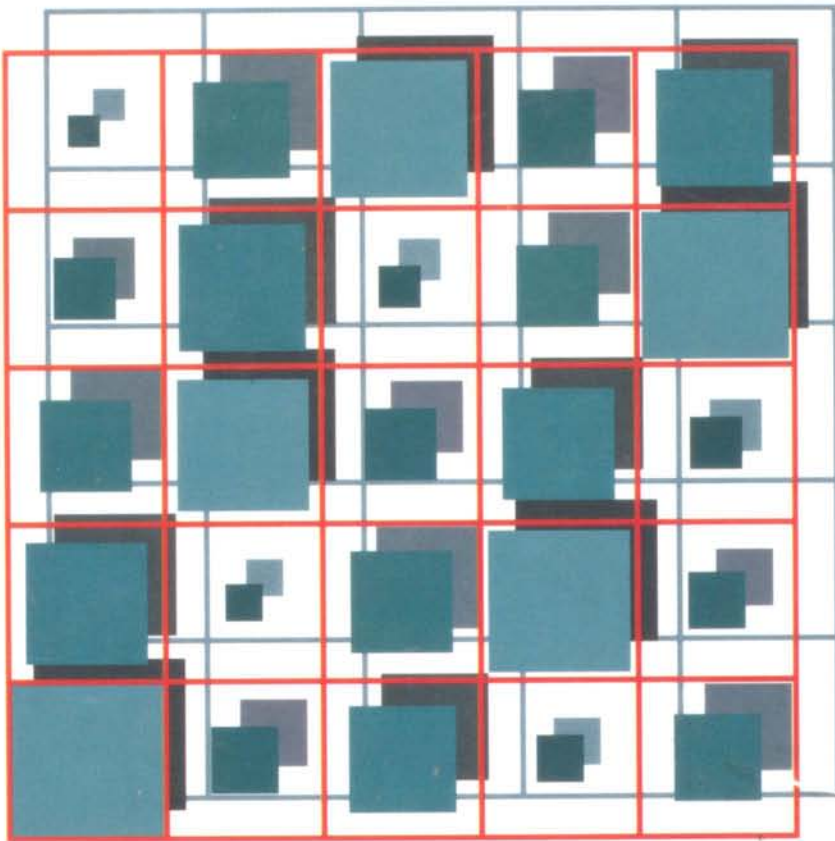


د. الأزهر الزناد

نظريات لسانية عرفية



إهداء

إلى سيرين وسلمى
وقد كان لي فيهما الإلهام والسلوى

المحتويات

11	مقدمة.....
----	------------

القسم الأول

العرفنة وعلومها مدخل تاريخي مفهومي

17	السيبرنيتية.....
18	الحاسوبية والذكاء الاصطناعي.....
21	الأنثروبولوجيا العرفنية.....
24	علم النفس العرفني.....
27	اللسانيات العرفنية.....
32	علاقة اللسانيات بالعلوم العرفنية.....
34	العرفنة: ماهيتها، اشتغالها ووظيفتها.....
36	خاتمة.....

القسم الثاني

في بعض النظريات اللسانية العرفنية

41	الباب الأول: في اللسانيات التوليدية.....
41	مقدمة.....
43	الفصل الأول: برنامج البحث.....
47	النحو الكوني والنحو المخصوص.....
48	المبادئ والبرامترات.....
50	النحو الذهني.....
53	اللغة عضوا ذهنيا.....
54	الأدنوية.....
56	المعجم الأدنوي.....
60	النظام الحوسبي.....
63	الفصل الثاني: التوليفية.....
64	لا مركزية الإعراب.....

65	لا اتجاهية الحوسبة.....
65	هندسة النحو.....
66	التصافحات.....
66	التصافحات النطقية-الإدراكية.....
68	التصافح الصوتي-الإعرابي.....
68	التصافح المفهومي-الإعرابي.....
69	التصافح الثلاثي.....
71	الهندسة الثلاثية المتوازية في المعالجة الذهنية.....
73	المعالجة المعجمية في الهندسة الثلاثية المتوازية.....
76	الاهتداء المعجمي.....
77	خاتمة.....
79	الفصل الثالث: معالجة الكلام: الاتجاهات الكبرى.....
81	نظرية اللّمات.....
82	بنية المعجم: المداخل المعجمية وانتظامها.....
84	استعمال الوحدة المعجمية: استحضار أو بناء.....
86	تمثيل المدخل المعجمي: اللّمة والشكل الصرفصوتي.....
88	الاهتداء المعجمي.....
89	جهاز المعالجة اللّغوية.....
92	نظرية اللّوغونات.....
93	خاتمة.....
95	الباب الثاني: في النظريات اللّسانية "المفهومية".....
95	مقدمة.....
98	الفصل الأول: النظرية اللّسانية: طبيعتها ووظيفتها.....
100	النحو التصوري.....
102	الدلالة في النحو العرفي.....
106	أبعاد التصوير.....
106	بعد ارتكاز المعروف على الأساس.....
110	بعد درجة التخصيص.....
111	بعد السّلم والمدى.....
112	بعد البروز النّسبي.....
114	المنظور.....

115	 انتظام النَّحو
118	 تركب الكلم
120	 الأقسام النَّحويّة
124	 المسح العرفنيّ
128	 الأبنية النَّحويّة
136	 خاتمة
139	 الفصل الثّاني: الرّؤية الموضوعيّة والرّؤية الواقعيّة التّجريبية
142	 نظرية الاستعارة المفهوميّة
143	 الاستعارة تمثّل لمجال على أساس مجال آخر
145	 الإسقاط الاستعاريّ: المظاهر والمبادئ الأساسيّة
145	 الإسقاط قوالب من التّناسبات الأنطولوجيّة
146	 الإسقاط كائن ما بين المستويات العليا من المقولات
146	 مبدأ الثّبات: الإسقاط يحافظ على الأبعاد الطّوبولوجيّة
148	 الإسقاط التّزامنيّ
149	 سلّميّة الإرث
151	 الإسقاط الاستعاريّ في الزّمن
152	 الاستعارة المفهوميّة القائمة على إسقاط الصّورة
154	 مركزيّة الإسقاط الاستعاريّ
157	 خلاصة في الاستعارة المفهوميّة: طبيعتها وبنيتها وتجلياتها
158	 خاتمة
161	 الفصل الثّالث: الخطاطة: معالم تاريخيّة مفهوميّة
164	 الخطاطة العرفنيّة: نشوؤها واشتغالها
165	 نشوء الخطاطات
165	 الصّورة والخطاطة أو الصّورة الخطاطة
168	 الخطاطات العرفنيّة: نماذج
169	 خطاطة الحاوية
169	 خطاطة الكلّ-الجزء
169	 خطاطة الرّبط
170	 خطاطة المركز-الأطراف
170	 خطاطة المصدر-المسلك-الهدف
171	 الخطاطات أطر للفكر واشتغاله

171	الخطاطات أساس في تكوّن المناويل العرفيّة.
173	المنوال العرفيّ المؤمّتل
173	دور المنوال العرفيّ واشتغاله
175	بنية المنوال العرفيّ وأنواعه
177	مباحث في نظريّة الخطاطة
180	خلاصة في المناويل العرفيّة
184	الفصل الرابع: الجسدنة: عودة الجسد الغائب
186	الجسدنة والاستعارة المفهوميّة
190	مفهوم الجسدنة
191	مظاهر الجسدنة
196	خاتمة
199	الفصل الخامس: الروابط العرفيّة
201	العلاقات الرابطة بين العالم المتصوّر ونظيره في الواقع
202	علاقات المجاز المرسل
204	الأدوار والقائمون بها
205	مبدأ الاهتداء
206	الفضاء الذهنيّ
207	بناء الأفضيّة
210	الروابط بين الأفضيّة
212	الأفضيّة الذهنيّة: خبر جحا والحمال نموذجاً
220	خاتمة
223	الفصل السادس: المزج ملكة عرفيّة
224	من قضايا المزج
224	المزج: الأركان والآليات
226	المزج المجسّد
227	المزج آليّة إنشاء للمعاني الجديدة
229	شبكة المزج المفهوميّ
234	المزج في العربيّة: الناقة سفينة الصّحراء نموذجاً
237	مجالات المزج
238	خاتمة

مقدمة

قد يصادف صدور هذا الكتاب مرور ثلاثة عقود تقريبا منذ ظهور كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" للايكوف وهو يعتبر تأسيسا للسانيات العرفنية. وقد تزايدت خلالها الحركة العرفنية عامة والعرفنية اللسانية خاصة ولكنها ما تزال محتشمة في البلاد العربية ما عدا بعض الدراسات في قطرين من المغرب العربي (المغرب، تونس) ثم هي دراسات مخصصة بالدلالة عامة وبالاستعارة في الأغلب لا تشتغل بسائر المظاهر اللسانية العرفنية، ولذلك يكون من المفيد الضروري استكمالها. وذلك كائن بوظيفتين أساسيتين في البحث وعند الباحث: نقل المعرفة وإنتاجها.

ولعل أبرز الدوافع الكامنة وراء هذا العمل ما لاحظناه من اجتزاء النظريات بأخذ ما يناسب ويصلح واجتثاث دون فهم في الأغلب عند المبتدئين باعتقادهم أن العرفنيات شعار يُرفع ولعل ذلك راجع إلى غياب الأطر الفكرية العامة التي تمثل منابت تلك الأفكار بوجه يصبح نقلها أو اعتمادها شبيها بتعليقها وتحنيطها بل ينشر مغالط كثيرة كأن تقصر نظرية على مبحث بعينه دون آخر والحال أنها تتجاوزها بل لعل ذلك المظهر المغيب أهم مما ذكر إما لسهولة فيه أو إغراء أو نجاعة. ولذلك خصصنا كل نظرية بتمهيد يسعى إلى تبين ما كان مفيدا - في حدود ما نرى - من عناصر وعوامل وأطر قد لا يصل أغلبها في وثيقة واحدة وإنما يكون مبعوثا في أحاديث (ندوات ولقاءات) أو في مقالات ودروس وما إلى ذلك. من ذلك أن العناية منصبة على لايكوف دون غيره ولم؟ لأن المشتغلين بالاستعارة وجدوا فيه أملهم، ولكن لايكوف مهتم بالجدنة والمقولة وهي أفكار لصيقة بالاستعارة المفهومية لصاقة الأخت بأختها، ورغم ذلك لا يكاد يكون لها أثر في ما قرأنا أو سمعنا في بلادنا. بل يعتمد بعضهم إلى اجتزاء المفاهيم اجتزاء دون فهمها فيسيء توظيفها اجتزاء المفاهيم اجتزاء من منابتها في الكتاب الواحد فيسيء فهمها أولا فيعبر عنها غلطا ولا يفيد في توظيفها ثانيا، كما يعتمد الآخرون إلى جعل

البحوث نوعا من الكوكتال تجتمع فيه عموميات المبادئ من هنا وهناك، ويعمد البعض إلى المقارنة بين نظرية وأخرى منتصرا لهذه على تلك وهو لا يعلم أن بينهما من التناسب الشيء الكثير فالمشغل واحد والأدوات واحدة ولكن العجنة قد تختلف.

وإزاء هذا وجب أن يكون في متناول الباحثين مورد فيه مراوحة بين العرض النظريّ الواضح الأمين القائم على فهم متين من جهة والتحليل المؤسس على دقائق الأشياء موصلا إلى مبادئها. ومن المعلوم أن للباحث في المظهرين لمسة وبصمة وليس من المفروض أن تكون ظاهرة أو مخفية. ولذلك جعلنا الكتاب قسمين أوّلهما في العلوم العرفيّة إطارا تاريخيا مفهوميّا عامّا وثانيهما في النظريّات اللسانية العرفيّة بتيّارها الكبيرين التوليديّ والمفهوميّ التصوريّ، وفي التيّار الواحد جداول عديدة تختيرنا أبرزها، وما بقي من النظريّات كثير. ويجد القارئ في نهاية العمل ثبنا في أبرز المصطلحات الواردة في الكتاب مرفوقا بعضها بتعريف وجيز. وقد التزمنا في إجراءاتها المتداول الشائع وفي وضعها ما رأيناه مفيدا دقيقا، في حدود ما نعلم.

المؤلف

تونس، جوان 2009

القسم الأول

العرفنة وعلومها
مدخل تاريخي مفهومي

علم المعرفة حقل جديد يجمع ما يُعرف عن الذّهن في اختصاصات أكاديميّة عديدة: علم النفس واللّسانيّات والأنثروبولوجيا والحاسوبيّة. وهو ينشد أجوبة مفصّلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل؟ كيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هو النّظام المفهوميّ وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النّظام المفهوميّ نفسه؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النّظام؟ وإن لم يكن كذلك، ما هو بالتحديد ذاك الشّيء المشترك بين بني البشر جميعهم في ما به يفكّرون؟ فالأسئلة ليست جديدة ولكنّ بعض الأجوبة جديد.

(لايكوف 1987، المقدّمة)

العلوم العرفيّة¹ جملة من العلوم تدرس اشتغال الذّهن والذكاء دراسة أساسها تظافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعيّ وعلوم الأعصاب (علوم الدّماغ) واللّسانيّات والأنثروبولوجيا. وتدرس العلوم العرفيّة الذكاء عامّة والذكاء البشريّ وأرضيّته البيولوجيّة التي تحمله وتعني كذلك بمنوّله² وتبحث في تحليّاته النّفسيّة واللّغويّة والأنثروبولوجيّة (إمبار 1992).³

ولئن كان يصعب تعريف الكائن الذكيّ فإنّ المشترك بين المصادر والمتداول في المجال هو اعتبار الكائن الذكيّ ذلك الكائن الذي يقدر على تقسيم العالم المعقّد الذي يعيش فيه إلى مجموعات أو عناصر صغرى يمكن تحديدها ومعرفتها ثمّ هو الكائن الذي يستعمل تلك المعرفة لأداء أعمال وفق ما تقتضيه حاجاته وظروفه على وجه يخطّط له ويتحكّم في مساره. ويمثّل المحيط مصدرا للمعلومات تُستقى منه بتوسّط الموارد الحسيّة كالإبصار والسمع واللمس...، يشتغل عليه النّظام الذكيّ ترتيبا وتبويبا وما إلى ذلك من وجوه التّنضيد والمقولة والحفظ والتّسجيل والتّخزين، ويمثّل التّخطيط ما به يكون التّوليف بين تلك المعلومات في سبيل إنجاز أيّ عمل قد

Cognitive science (Sciences cognitives). 1

Modelling. 2

Imbert (1992). 3

يكون مفيدا للكائن الذكي، ويقتضي هذا الأمر حصول ملكة بموجبها يكون تمثيل¹ المحيط تمثيلا مرنا قابلا للتكيف مع كل جديد. ومن أسس الذكاء بركيزته حصول التمثيلات والقدرة على توليف المعلومات، أن يقوم على مهارة التعلم بما فيها من حفظ وتسجيل وتمثيل لتلك المعلومات بوجه يجعل المعرفة بالأشياء وغيرها معرفة قابلة لأن تتبدل بنيتها حسب ما يستدعيه الحال من استراتيجيات إدراكية وعملية. ويستوجب التعلم من جملة ما يستوجب التواصل مطلقا بين الأفراد في مستوى أول وبين نظم المعلومات من درجة ثانية ولعل اللغة تمثل أحسن الأدوات بما يكون منها من تمثل المعلومات وجائها في الدماغ وهو يمثل أحسن جهاز ذكي طبيعي لا مثيل له في الحياة أو الصناعة إلى يومنا هذا. فقوام الذكاء إدراك حسي وعمل قصدي وتنظيم مفهومي تصوري وتمثيل للأشياء والمعلومات وتفكير متعل وتواصل وجميعها ذات أرضية عصبية موطنها الدماغ. تبحث العلوم العرفية في الذكاء² من حيث طبيعته (ما هو الذكاء؟) ومن حيث اشتغاله (كيف يشغل الذكاء؟) ومن حيث عمله (ماذا يفعل الذكاء؟)، ويختصر هذا الثالوث في العرفة³.

وقد مثل منتصف الخمسينيات من القرن العشرين تاريخ النشأة الفعلية للعلوم العرفية كان فيه اللقاء في قضايا الذهن بين عدد من الباحثين من مجالات مختلفة ثم اكتسبت العلوم العرفية مظهرا تنظيميا مؤسسيا في منتصف السبعينيات من القرن الماضي بتأسيس جمعية العلوم العرفية وإصدار مجلة "العلوم العرفية"، وكان أن انتشرت أقسام بحث وتدرّس في كبريات الجامعات بشمال أمريكا وأوروبا. وللعلوم العرفية روافد عديدة نفسية وسيرنيتية وحاسوبية وعصبية ولسانية ومنطقية فلسفية. وقد مثلت الحرب العالمية الثانية بما أحدثته من تبدل في القيم مطلقا ومن حاجات ولدها خوض حرب على نطاق واسع يشمل الكرة الأرضية من تبادل للمعلومات وضمان وصولها ومن تعدد اللغات وضرورة الترجمة وما إلى ذلك من التقنيات المفيدة في خوض المعارك وإدارتها، قادحا لجملة من الأبحاث ههنا تلبية تلك الحاجات. فكان أن انصرفت العناية إلى التواصل نظرية وأدوات تقنية وآليات ذهنية نفسية تكسرت بمقتضاها القيود النظرية والمنهجية المبدئية التي فرضتها

Representation. 1

Intelligence. 2

Cognition. 3

عقود من سيطرة السلوكية. واجتمع جميع ذلك في ثلوث من الاختصاصات هي: السيبرنيتية¹ (وقد تطوّرت لاحقاً في الذكاء الاصطناعي² وعلوم الإعلامية) وعلم النفس وعلم الأعصاب. وكانت تشتغل في البداية الواحد منها معزولاً عن الآخر ثم تقاربت شيئاً فشيئاً لتنتج ما أصبح يسمّى بعد ذلك بالعلوم العرفية.

السيبرنيتية

تقوم السيبرنيتية على مبحث ذي أساس فيزيولوجي في ما به يمكن للكائن الحي أن يحفظ نفسه في محيط خارجي بما فيه من تغييرات ومخاطر وفي ما به يكون تفاعله معها. يعود هذا المبحث إلى أعمال الفرنسي كلود برنار³ المتصلة بالنظام الفيزيولوجي أساساً إذ كان يتصور أن لكل كائن حي عدداً من النظم الفرعية مهمتها تعديل ما يطرأ من تغييرات داخلية بسبب العوامل البيئية الخارجية بالعود بها إلى نسبتها العادية. ولئن كان هذا المبدأ إطاراً لتعريف الذكاء والكائن الذكي في العلوم العرفية في أيامنا إذ يعتبر كائناً ذكياً كل كائن يملك القدرة على التفاعل مع محيطه، فإنه كان كذلك إطاراً لنواة مبدأ أساسي في السيبرنيتية هو مبدأ الترجيع⁴.

فقد نشأ مشروع في بداية الحرب العالمية الثانية غايته بلورة نظام في الدفاع المضاد للطائرات قوامه مبدأ الترجيع. وفيه تعتمد المعلومات المستقاة من الرادار لتعديل طلقات المدافع لضمان نجاحها في إصابة الهدف، يكون ذلك بأن ترسل دفعة من الطلقات ثم تضبط نسبة الإصابة أو الخطأ فيها باعتماد المعلومات الراجعة من الرادار لتعديل زاوية الإطلاق في ضوء ذلك الترجيع. وكان من أبرز المشاركين في ذلك نوربارت فينار⁵ الذي كان أول من وضع تسمية السيبرنيتية (1948). ثم تطوّرت الفكرة وتوسّعت لتحوّل إلى مشروع واسع يضمّ التحكم في النظم البيولوجية الحية والنظم الآلية الاصطناعية باعتماد مبدأ الترجيع على أساس أن جميعها يقوم على التوجيه المقترن بالهدف⁶. ثم اتسع ليشمل عدداً من المجالات من

Cybernetics. 1

Artificial Intelligence, (AI). 2

Claude Bernard (1813-1878). 3

Feedback . 4

Norbert Wiener (1894 - 1964). 5

Goal-directed. 6

قبيل الفيزيولوجيا العصبية والمنطق والرياضيات والهندسة الجغرافية وعلم النفس والأنتروبولوجيا تبلور منها برنامج عمل كبير مداره آليات الترجيع في النظم البيولوجية والاجتماعية وغايته التوليف بين مباحث الدماغ ومباحث النظم الاصطناعية سعيا إلى تفسير الظواهر الذهنية باعتماد مداخل من اختصاصات متعددة. ولكن هذا البرنامج لم يكتب له الاكتمال في ذلك الوقت، وخفت العناية به في الخمسينيات من القرن العشرين ولكنه عاد إلى الظهور في السبعينيات وإن بشكل آخر وقضايا أخرى.

الحاسوبية والذكاء الاصطناعي

تقوم الحوسبة على مجموعة من الأوامر تنطبق انطباقا ميكانيكيا آليا. ولكن كانت الفكرة قديمة فإن المحاولات الأولى في صنع الحاسوب تعود إلى ثلاثينيات القرن العشرين ولكن الحرب العالمية الثانية مثلت حافزا أساسيا إلى تركيزها ووفرت لها مجالا لتطبيقها. فقد أقام تيورينغ وجماعته في إنجلترا نظاما من الموصلات الإلكترونية تشغل لفك رموز الشفرة الحربية الألمانية، كما أقام بعض الدارسين في جامعة بنسلفانيا منظومة حوسبية غايتها ضمان الدقة في المدفعية الثقيلة باعتبار المعطيات في ساحة المعارك وحسابها بشكل يحقق إصابة الهدف بدقة، ولكن هذه المنظومة لم تكتمل وقد انتهت الحرب، ولكن ما قامت عليه الفكرة من انقسام النظام إلى قسمين ذاكرة ووحدة معالجة مركزية ظل أمرا فاعلا في الحاسوبية إلى اليوم.

أما الذكاء الاصطناعي فيجري تعريفه بكونه العلم الذي يسعى إلى جعل الآلة تؤدي ما يؤديه البشر من الأعمال بتمكينها من مهارة ذهنية ذكية لها قدرات الذكاء التي للذهن البشري. فغاية علم الذكاء الاصطناعي صنع الآلات الذكية التي يمكنها أن تتصرف تصرفا ذكيا أي تتفاعل مع محيطها تستقي منه المعلومات وترد الفعل في ضوء مقتضيات ظرفية يكون بها رد الفعل ذاك ملائما مناسبا وناجعا. ويتسع مجال الآلة الذكية من حيث عملها وإفادتها في المطلق أو في خدمة الإنسان من الأمور اليومية الروتينية العادية إلى القيام بمهام دقيقة صعبة في بيئات لا يمكن أن تستقبل الإنسان بدءا بما فوق الأرض أو في أعماق المحيطات وانتهاء بما جاوز الكوكب الأرضي من سائر الكواكب لاستكشافها.

يقوم علم الذكاء الاصطناعي على ركيزتين هما البرمجيات الحوسبية والآلة، فالبرمجيات تمثل الذهن البشري والآلة بأدواتها تمثل الجسم البشري بأعضائه. ولذلك تكون الآلة الذكية مجهزة بحاسوب تعمل فيه برمجيات تشغل أجهزة الآلة المختلفة. ولعلم الذكاء الاصطناعي كذلك صلة بالفلسفة وعلم النفس في عنايته بطبيعة المعرفة وبغاياتها وبعلاقة الذهن (العقل) بالجسد. وهذا يمثل المظهر النظري الصّرف في مباحث الذكاء الاصطناعي. فيمكن في ضوء هذا تقسيم علم الذكاء الاصطناعي إلى قسمين: قسم نظرية الذكاء الاصطناعي في بعدها الفلسفي الذهني والتفسي أو العرفي العام، وقسم عملي تطبيقي غايته غرس الذكاء في حامل ماديّ هو الآلة بتمكينها من أدوات الذكاء فيكون لها سلوك الكائن الذكي. وفي هذين المظهرين يكون سير ما استقرّ في البحوث النظرية الصّرف نفسية كانت أو فلسفية أو عصبية بأن يجري صوغها في مناويل حوسبية تشتغل بها الآلة الذكية حيث تتجلى الثغرات أو الفجوات وتستكمل. ولذلك يمثل الذكاء الاصطناعي واحدا من أبرز المظاهر التي يتجلى فيها تعقد الذكاء مطلقا ذلك أنّ العمل البسيط يقتضي كما هائلا من المعلومات ومن العمليات الذهنية المعقدة المتشابكة في طبائعها. ينضاف إلى ذلك المظاهر المعلومة الثابتة في اشتغال الذكاء الطبيعيّ اشتغالا ضبابيا أو فوضويا في الكثير من المظاهر من قبيل التعرف على الوجوه أو الأشياء أو من قبيل الاهتمام إلى الكلّ بناء على الجزئيات أو معلومات مقتضبة، وهي مظاهر يقدر الذهن الطبيعيّ على تجاوزها ولكن البرمجة الحاسوبية بحكم ما لها من دقة وتقييد قد تقصر عن تحقيقها فيكون من الواجب إقامة ذكاء اصطناعيّ قادر على التعامل مع هذا النمط من الأوضاع أو بعبارة أيسر وجب تمكين الآلة الذكية من مهارة التصرف بوجه ليس من المفروض أن تكون قد بُرِمت عليه مسبقا.

تتعدد مجالات الذكاء الاصطناعيّ فمنها معالجة اللغة الطبيعية¹ من قبيل التعرف على الأصوات الصادرة من شخص بعينه أو من أشخاص كثير، لإنجاز عدد من الأعمال المبرجة أو تحويل المنطوق إلى مكتوب وما إلى ذلك. والغاية منه تمكين الآلة من تحليل الصوت اللغويّ تحليلا يضاهي تحليله الطبيعيّ دقة ومهارة بالاهتمام إلى حدود القطع والكلمات والجمل وما يكتنفها من مظاهر

فوق-قطعية¹ من تنعيم وتنبير وغيرهما من سرعة الدفق وأنماط النطق الفردية وتجاوز الضجيج من المحيط وما إلى ذلك. يندرج هذا في بلورة التواصل اللغوي بين البشر والآلة الذكية لما في ذلك من مرونة كبيرة لا يفي بها التواصل الرقمي بين آلة وأخرى بتوسط الكائن البشري مشغلا أو مستعملا.

وفي مجال الإبصار، تكون العناية بالتعرف على الأشكال والرسوم وذلك في مجال قراءة الوثائق المكتوبة (مراكز توزيع البريد باعتماد الترميز البريدي) والتعرف على البصمات، وبعض الآلات قادر على إحصاء الخلايا في عينة عضوية من الدم وغيره، وغير ذلك من المجالات القائمة على الإبصار. ويظل السؤال مطروحا كيف يمكن الاهتداء إلى رقم بعينه وليكن '3' والمعلوم أن لا تشابه في كتابته بين شخصين وكذلك تنوع أشكال المثلث مثلا في المطلق ولكنها جميعا تعتبر من المثلثات عند البشر، فيكون البحث في تلقين الآلة النموذج العام الذي تندرج فيه جميع التحقيقات.

ولعل أهم المجالات في علم الذكاء الاصطناعي الروبوتية². وهي صناعة آلة ذكية ذات تحكم ذاتي تتفاعل مع واقع أو محيط متغير بما فيه من عناصر وأشياء وتضاريس وآلات أخرى عند الاقتضاء. وليكون ذلك وجب أن تكون هذه الآلة مزودة بأدوات إدراكية تستقي بها المعلومات من محيطها وأدوات تفكير تحلل بها تلك المعلومات وتعالجها وأدوات تنقل أو حركة يتحقق بها تفاعلها مع محيطها. ومن القضايا الأساسية في الروبوتية كيف يمكن ضمان التحكم الذاتي والتفاعل الناجع في المحيط المتغير لآلة ذكية دون برمجة مسبقة، وذلك قياسا على الكائن الحي الذكي المزود بمهارات ذهنية يتمكن بها من تطوير سلوكه وفق ما يكون في محيطه. ولهذا صلة بمباحث أخرى في العلوم العرفية، وعلم النفس العرفي أساسا، من حيث وظائف الإدراك بآلياته واتخاذ القرارات باستراتيجياته والفعل أو العمل ببلورته وتنفيذه، من جهة، ومن حيث ما به يكون الاندماج والتجانس ما بين تلك الوظائف الثلاث، من جهة أخرى. وهو ما يطلق عليه 'دائرة الإدراك والقرار والعمل'³. ويظل التمثيل المفهوم الرئيسي في الذكاء الاصطناعي وهو يتلخص في ما

1 Suprasegmental.

2 Robotics (fr: Robotique).

3 Boucle < perception-décision-action> (Sabah 2002,265.)

به يمكن للأنظمة الاصطناعية الذكية تماما مثل الأنظمة الذكية الطبيعية، أن تقيم تمثيلات ذهنية عن العالم المحيط بها وتطوِّعها في ضوء المتغيرات فيه وتستعملها في تحليل الواقع وفي تغييره.

الأنثروبولوجيا العرفية

تمثل الأنثروبولوجيا العرفية¹ ما كان يعرف بالأنثروبولوجيا الثقافية²، بمفهومها القائم على البحث في اشتغال الفكر البشري في سياقات ثقافية مختلفة. بما في ذلك من بيانات مادية واجتماعية مخصوصة. وكانت الأنثروبولوجيا الثقافية قسيما للأنثروبولوجيا المادية في بحثها في المظهر البيولوجي وتطوره. ومدار البحث فيها عن التمثيلات التي يقيمها البشر في الثقافات المختلفة عن محيطه وعن علاقته به حيث تكون الثقافة نظاما عرفيا³ جماعيا له بسائر النظم الثقافية علاقات شبه وعلاقات تميز واختلاف. والأنثروبولوجيا العرفية بحث في العلاقة بين الثقافة والذهن. هي بحث في ما به يدرك الإنسان الأشياء والأحداث والتجارب الجارية في محيطه ويمثلها وفي ما به ينضدها ويجعل منها نظاما ذا معنى. ومن أبرز الحقائق المسطرة فيها وجود اختلافات ثقافية في الإدراك والذاكرة والاستدلال ومن أبرز المجالات المدروسة فيها مقولة الأشياء وتسمية الألوان وإدراكها عبر الثقافات. ومن تلك المبادئ المسطرة كون الفكر أو الذهن مسيرا ثقافيا وفي ذلك تجارب عديدة: يختلف البشر في تصنيف الأشياء باختلاف الثقافة وليس هذا الاختلاف نفسيا أو عصبيا وإنما هو اختلاف ثقافي يبين عن تموضع العرفنة تموضعا اجتماعيا، من ذلك أن مجموعة من الصور عُرِضت على مجموعتين من الأشخاص (إفريقية وأوروبية) وهي صور تقبل التصنيف حسب اللون أو الشكل أو الوظيفة، فتبين أن الأوروبيين يميلون إلى تصنيفها أو تجميعها حسب اللون في طور الطفولة ولكنهم يميلون إلى تصنيفها حسب الشكل في سن أكبر ثم حسب الوظيفة في طور الكهولة. ولكن الكهول الإفريقيين يميلون إلى تصنيفها حسب اللون (برونر وجماعته⁴ 1966).

Cognitive Anthropology. 1

Cultural Anthropology. 2

Cognitive system. 3

Bruner et al (1966). 4

كما يختلف البشر في تصنيف الألوان، فقد أثبت كاي وكامبتون¹ (1984) في واحدة من التجارب على مجموعتين من المتكلمين بالأمومة بالإنجليزية من جهة وبلغة التراهومارا² وهي لغة أوتوازيكية في شمال المكسيك، من جهة أخرى، أن تسمية اللون الواحد في اللغة توجه إدراك ذلك اللون أو تصنيفه إدراكياً. يتوقّر في لغة التراهومارا اسم واحد يضمّ اللونين الأخضر والأزرق، وهما مفترقان في الإنجليزية كما هو معلوم. وقامت التجربة على رقائق ملوّنة على تدرّج من الأخضر الناصع حتّى الأزرق الصّافي، وطُلب من المجموعتين فرز الرّقائق المختلفتين لونا في أقصى درجات الاختلاف. فكان أن فصلت الرّقاقتان الخضراء والزرقاء في المجموعة الناطقة بالإنجليزية واجتمعتا في مجموعة التراهومارا. فيكون الإنجليز قد أدركوا اللونين على أنّهما مختلفان على خلاف التراهوماريين الذين أدركوهما لونا واحداً، وهذه الحقيقة سبيل إلى إثبات الأثر الذي يكون لتسمية الأشياء في إدراكها وفي تصنيفها إدراكياً، وهي سبيل إلى إثبات ضرورة الانطلاق من التّباينات الثقافيّة لدراسة الإدراك البشريّ.

كما ثبت ارتباط الذاكرة وقدرتها بالنّمط الثقافيّ، من ذلك أنّ التذكّر يرتبط بشكل الثقافة، وهو في العموم أحسن عند أهل المشافهة منه عند أهل الكتابة، كما يتذكّر أبناء ثقافة المشافهة القصص الشفويّة أكثر من تذكّرهم قائمة من الأسماء والعكس صحيح. ففي تجربة أجراها روس وميلسون³ (1970) تقوم على المقارنة بين مجموعتين من التلاميذ أمريكيّة وغانيّة في طاقة التذكّر ووجد أنّ مجموعة الغانيّين في العموم تفوق الأخرى قدرة، كما أثبت كول وجماعته⁴ (1971) أنّ الأميين من الأفارقة لا يتذكّرون جيّدا الأسماء المعروضة في شكل قائمة خلافاً لقدرتهم الجيدة على تذكّر تفاصيل الحكايات المروية شفويّاً، وقيمون على ذلك أنّ الاختلاف الثقافيّ في اشتغال الذاكرة قد يقتصر على الحكايات الشفويّة في الثقافات ذات النّمط المشافهيّ.

ومن أنماط الاختلاف الثقافيّ في الاستدلال ما لا حظّه بعض الدّارسين من تعطّل القياس في بعض الثقافات بناء على مقدّمات من الثّابت في ثقافات أخرى تأديتها إلى استنتاج رغم ما فيها من افتراض. فقد أورد لوريا⁵ (1971) في دراسة

Kay and Kempton (1984). 1

Trahumara language. 2

Ross and Millson (1970). 3

Cole et al (1971). 4

Luria (1971). 5

الاستدلال عند بعض البدو في آسيا (الوسطى والشرقية) أنهم لا يستنتجون شيئاً من معلومات غير معروفة عندهم. ففي القياس التالي: في أقاصي الشمال المغمورة بالثلج تكون الدّبة بيضاء، فما لون الدّبة في بقعة نوفيا تريمبلا¹ وهي في أقاصي الشمال تغمرها الثلوج باستمرار؟ كان الجواب باستحالة الاستنتاج إذ لا يمكنهم الحديث عن شيء يجهلونه ولا يعرفون من عرفه. ويذهب لوريا إلى أن ذلك غير مرتبط بمظهر ذهني يمكن أن يعتبر قصوراً أو نقصاً وإنما هو ثقافيّ صرف دليل ذلك أن من يذهب إلى المدرسة من أطفال أولئك البدو يستنتج النتيجة المعروفة في الثقافات التي يجري فيها نمط القياس 'الأرسطي'.

ومّا يتجلى فيه الاختلاف بين الثقافات درجة ارتباط التفكير أو الحكم بالسياق. فقد أثبت شويدر وبورن² (1984) في دراسة مقارنة بين الثقافتين الأمريكية والأوربية البراهمانية³ من جنوب الهند اختلافاً في طريقة الحكم على الشخص أو تصنيف الشخصية إلى خير وشرير مثلاً. فالأمريكيون يميلون سمات الشرّ مجتمعة أو غيرها من السمات، بشكل تجريديّ يختزلها جملةً ويطلقون على صاحبها صفة واحدة مفردة من قبيل فلان شرير أو طيب وما إلى ذلك. ولكن الأوربيين يعمدون إلى رواية قصص تذكر الأعمال المختلفة التي أتاها الشخص المعنيّ شرّاً كانت أو خيراً دون نعتة أو وصفه. وانتهيا إلى أن الاختلاف بين الثقافتين لا يكمن في اختلاف القدرة الذهنية على إقامة الأحكام بشكل تجريديّ وإنما الاختلاف في درجة ارتباط الحكم بالسياق، فهو عند الأوربيين مرتبط بالسياق حيث يكون الحكم على الشخصية في الأوضاع الحقيقية فالحكم متموضع سياقياً وهو عند الأمريكيين غير مرتبط بالسياق حيث يحمل الحكم في شكل سمة أو سمات مجردة يفترض أنها ثابتة في الشخص لا تتغير، وهي دون شكّ تلخيص لما كان حقيقة في سياقات واقعية.

ومن أبرز المفاهيم العاملة في الدراسات الأنتروبولوجية العرفية منذ السنوات 1980، نظرية الخطاطة⁴ والأنماط الثقافية⁵. (انظر فصل: التصوير الذهني: الصورة، الخطاطة وتحققاتها).

Novaya Zemlya. 1

Shweder and Bourne. 2

Oriya Brahmins. 3

Theory. Schema 4

Cultural model(s). 5

علم النفس العرفني

يمثل علم النفس العرفني¹ قلب العلوم العرفية ومحركها على اختلاف بين الدارسين نظرياً وعملاً. ويعتبر البعض أن علم النفس العرفني هو علم النفس مطلقاً يضم جميع الفروع وبعضهم يعتبره فرعاً من علم النفس. ومجال الدراسة في علم النفس العرفني عمليات العرفنة وأبنيتها من قبيل الإدراك والانتباه والذاكرة واللغة والقصد والنشاط الفكري واللغوي وما إلى ذلك من مباحث هم الانفعال والشخصية وغيرها مما له تفاعل مع سائر الملكات العرفية. وقد اقترن ظهور علم النفس العرفني بما يسمى "الثورة العرفية" في منتصف 1950 وهي ثورة على السلوكية وعلى ما سطره واطسون (1878-1958) من تحلل مطلق في علم النفس عن المنهج الذهني القائم على الاستبطان أساساً ومن دعوة إلى العناية بالسلوك الظاهر والاكتفاء به موضوعاً للوصف والملاحظة لرصد مظاهره المادية المتواترة. وقد كان واطسون (1913) في جميع ذلك ساعياً إلى جعل علم النفس قسماً موضوعياً تجريبياً خالصاً من علوم الطبيعة. وقد مثلت السلوكية مواصلة لما أرساه فإيلها لم فوندت (1832-1920) وأتباعه من أسس لعلم النفس التجريبي في القرن التاسع عشر قوامها دراسة العمليات الذهنية باعتماد الاستبطان وبطرق مخبرية كان لها الفضل في نشأة علم النفس مبحثاً مستقلاً عن الفلسفة منذ أفلاطون وأرسطو. ولكن السلوكية دفعت الأمر إلى أقصاه بأن ألغت البعد الذهني في أشكاله المختلفة من قبيل الوعي والتمثيلات الذهنية من مجال علم النفس، وقد توفّر لها في أعمال بافلوف رافد أساسي مداره المنعكسات الشرطية. وكان للسلوكية أثر كبير في مجالات كثيرة من أبرزها المباحث اللسانية. فكان أن تحوّلت العناية من البحث في تاريخ اللغات إلى دراسة الاستعمال اللغوي دراسة إجرائية وأعمال بلومفيلد خير ممثل لهذا التوجه. ولم يكن للسلوكية في أوروبا أثر كبير، فقد شهدت هذه القارة تبلوراً لاتجاهات عديدة زامنت السلوكية وكان لها أثر بارز في نشوء علم النفس العرفني، من ذلك أبحاث فريديريك بارتلات² (1932) المتعلقة بالإدراك³ والتصوير الذهني⁴ والاستحضار⁵

Cognitive Psychology. 1

Frederic Bartlett (1886-1969). 2

Perception. 3

Imaging. 4

Recall. 5

وكان من أهم ما سطره فيها أن جميع تلك الظواهر تمثل تعبيراً عن عمليات تعاملية حركية إزاء الوضع الذي يوجد فيه الكائن وإزاء حاجاته الآتية وتتأسس دائماً على تجاربه الماضية وتتصل بها.

وكان من أبرز المبادئ التي أرساها، البعد الذاتي في تكون الذاكرة وعمليات التذكر. فقد أثبت أن الذكريات لا تمثل مجرد أثر أو تسجيل أو حفظ لما عاشه الفرد من أحداث وإنما يضاف إليها ما يملؤه بها صاحبها من تفاصيل لم تكن في الحدث الأصل أو الأحداث المعيشة، فالفرد محكوم في تذكره بخطاطات ذهنية حاصلة عنده توجه استعادة الذاكرة. وكان من جملة تجاربه أن رويت قصة من قصص بعض الشعوب الأمريكية الأصلية على عدد من الأشخاص الأوروبيين وطلب منهم استعادتها بأقصى ما يمكنهم من الدقة، فلاحظ بارتلات أنهم يملؤون الفراغات في ذلك بعناصر من واقعهم الغربي الأوروبي، وكان تفسير ذلك عنده أنهم موجهون بخطاطات حاصلة عندهم في تنظيم الأحداث في القصة. ولمفهوم الخطاطة¹ من حيث هي بنية تنتظم وفقها المعلومات في الذاكرة منزلة كبيرة في العلوم العرفية عامة وفي علم النفس العرفي وفي اللسانيات العرفية خاصة.

وكان لجان بياجيه² في أعماله المنصبة على الذكاء عموماً وعلى نمو المفاهيم واللغة عند الأطفال وعلى الانتظام الذهني للرّموز عندهم على وجه الخصوص، أثر كبير في مباحث التربية واللسانيات العرفية، كما كانت أعمال فيقوتسكي³ في موسكو رافداً أساسياً في العرفيات في وقت لاحق. ومن أبرز ما سطر فيقوتسكي وكان له أثر بين في المباحث النفسية واللغوية أن مختلف العمليات النفسية نتاج اجتماعي وليست من طبيعة فكرية صرف كما كان سائداً في عهده، وأن معاني الكلمات تمر بمراحل من التطور المعقد عند الطفل بدايتها مرحلة الدلالة الانفعالية فدلالة مادية حسية تتعين بها الأشياء في المحيط فحريديّة في نهاية المطاف. فيكون التطور الذهني تغيراً عميقاً في التنظيم النفسية بتوسط الأنشطة اليومية الأساسية عند الفرد - طفلاً بالأساس - يكون ذلك على مراحل تطورية تكون الغلبة في الواحدة منها لوظيفة على أخرى. فالفرد يفكر بالحفظ طفلاً ويحفظ بالتفكير كهلاً. ولعلّ

Schema. 1

Jean Piaget (1896-1980) 2

Lev Vygotsky (1896-1934) 3

أبرز أثر لأعمال فيقوتسكي في توجيه المباحث النفسية بعده اعتماد المقاربة النظامية في دراسة الأنشطة النفسية المعقدة عوضاً عن تقسيمها إلى وحدات بسطة نووية وأخرى عالية معقدة.

ومما استقرّ في مختلف الأبحاث النفسية العرفية في طبيعة العمليات العرفية ما يلي:

أ- العمليات العرفية فاعلة (إيجابية) وليست منفعة (سلبية):

ينقض هذا المبدأ تصوّر السلوكية للكائن البشريّ سلبياً فهو ينتظر المنبّهات الخارجية ليردّ الفعل أمّا علم النفس العرفيّ فيتصوّر أنّ الكائن يبحث بحثاً إيجابياً عن المثريات. فالدماغ ليس إسفنجية تمتصّ امتصاصاً سلبياً المنبّهات أو المعلومات الواردة من المحيط وإنّما هو موطن عمليات عرفية إيجابية تتضمن البحث المتواصل والتحليل والتأليف. فالذاكرة ليست عملية تسجيل سلبى بل هي عملية بحث وتحليل وتصنيف وغرلة وكذا الاكتساب أو التعلّم عامة.

ب - العمليات العرفية دقيقة ناجعة:

مظاهر ذلك عديدة منها ما يهتمّ الذاكرة ومنها ما يهتمّ حلّ المسائل وعمليات الفهم والتمثيل، وجميعها ينجز بالقليل الشئ الكثير. فالكَمّ الهائل من الوحدات اللغوية (الأصوات والكلمات والأبنية الإعرابية والتوليفات المتنوعة، لو حفظ كلّها في الذاكرة ما أمكن الدماغ أن يسعه لأنّه محدود مادياً، كما أنّ التنوّع في العبارات اللغوية وفي المتكلّمين وفي أنماط الخطأ والصواب لا تمنع جميعها الطّفل في مرحلة الاكتساب من اختيار الصّحيح والاحتفاظ به.

ج- معالجة المعلومات الإثباتية أفضل من معالجة المعلومات المنفية:

يتجلّى ذلك في فهم الجمل فيكون فهم المثبت منها أيسر من فهم المنفيّ، قارن بين "زيد كريم" و"زيد ليس بينيل" وكذلك فهم المسائل العامة بل بات من الثابت أنّ المهامّ¹ القائمة على معلومات تتضمن شحنة عاطفية أو شعورية جيّدة تعالج بوجه أيسر ممّا تعالج به المهامّ القائمة على معلومات تتضمن شحنة عاطفية سلبية أو مُحزنة. ويمكن أن يمثّل هذا المبدأ مدخلاً لدراسة الاكتساب اللغويّ - مثلاً - من حيث الطبيعة الإثباتية والسلبية في المعطيات اللغوية فيكون المتحقّق في المحيط اللغويّ مثبتاً والممتنع ما

لا يستحقّ أو لا يسمع ومن حيث توجيهات المحيط الأسريّ أو الاجتماعيّ في إثبات عبارة أو نفيها بـ "قل كذا" و"لا تقل كذا" ومن حيث السمات البنيويّة فيكون الإثبات بمعنى ما في الشيء والنفيّ بمعنى ما لا يُقبل أو ما ليس موجودا.

د- العمليات العرفيّة متوازية مترابطة مندمجة:

كسّل عمليّة عرفيّة عليا تقوم على عمليّات عرفيّة من درجات دنيا مندمجة على درجات من التركّب والتعقّد. كما أنّ الكثير من العمليّات العرفيّة يقوم في آن على معالجة نازلة ومعالجة صاعدة وهو ما يضمن السّعة والتّجاعة فيها. فالمعالجة الصّاعدة مركّبة مؤلّفة توجّهها المعطيات وركيزتها المعلومات الصّادرة عن المنبّهات أمّا المعالجة النّازلة فمفكّكة محلّلة توجّهها المفاهيم والتّمثيلات وما يُرتقب في ضوء ما تحفظه الذاكرة.

اللّسانيّات العرفيّة

تجري اللّسانيّات العرفيّة¹ تسمية عامّة على تيار أو حركة تجمع عددا من التّظريّات الّتي تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنّها مختلفة متنوّعة متداخلة في بنائها ومشاعلها وتوجّهاتها ومجالات العناية فيها، وهي تنقسم في المطلق إلى اتّجاهين كبيرين - متصارعين - الأنحاء العرفيّة والنّحو التّوليديّ في آخر تطوّر له (البرنامج الأدنويّ أو الأدنويّة). ولّسانيّات العرفيّة صلات بالعلوم العرفيّة من حيث برنامجها ومفاهيمها العاملة ونقضها لما ليس عرفيّاً في المطلق وفي اللّسانيّات الشّكليّة² بوجه خاصّ.

فقد نهضت اللّسانيّات العرفيّة على نقض تيّارات سابقة نقضا منهجيّاً بالأساس، فكان الخروج عن المنهج الإجماليّ القائم على الوصف البنيويّ والتّوزيعيّ وعلى المنهج الشّكليّ بما في ذلك الأنحاء المركّبيّة والتّحويليّة والمقوليّة الرّياضيّة وعلى المنهج المنطقيّ القائم على شروط الصّدق أو الشّروط الضّروريّة والكافية.

فقوام برنامج الأنحاء العرفيّة على تناول اللّغة من حيث طبيعتها ووظيفتها الأساسيّة: فهي نشاط عرفيّ في ذاتها وحامل لتمثيلات عرفيّة ولذلك وجب تناولها من زاوية خصائصها الدّلاليّة العرفيّة ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات

Cognitive Linguistics. 1

Formal Linguistics (Grammar(s)). 2

العرفية من قبيل الإدراك والتذكر والتصوير والعمل والتجسد وتمثيل البيئة والسياق وما إلى ذلك. ويمكن أن يختزل برنامج اللسانيات العرفية في دراسة الأبعاد العرفية في التواصل اللغوي.

واللسانيات العرفية شقان أوروبي وأمريكي، تغلب على المؤلفات الإنجليزية متابعة الشق الأمريكي ويغلب على المؤلفات الأوروبية عامة والفرنسية خاصة - في حدود ما اطلعنا عليه - الشق الأوروبي دون إهمال الشق الأمريكي حيث يجري التذكير ببوادر اللسانيات العرفية في أوروبا عامة وفي أعمال قوستاف فيوم¹ خاصة وممن سعى إلى بلورة تناول عرفي يواصل الآلية النفسية² ويلورها أو ينشئ تناولا آخر. ولكن يبدو أن الغلبة لللسانيات الإنجليزية (الأمريكية والبريطانية) نوعا وكما. ويمكن قسمة الأنحاء العرفية الأمريكية إلى قسمين كبيرين يضم الأول منهما كل النظريات أو المناويل الموسومة بالعرفية من جهة ويضم الثاني الأدنوية الشموسكية، وهي تطوّر للنحو التوليديّ فيه عود إلى مبادئ ثابتة فيها منذ البدايات (سنوات 1950) فالأطوار اللاحقة إلى حدود السنوات 1980 وانتهاء عند ظهور البرنامج الأدنويّ (شومسكي 1993 و1995) وذلك بالتقليص من الأجهزة الشكلية وعمليّاتها والتركيز على العمليّات العرفية فردية كانت في مستوى النحو المضمر أو كونية كانت في مستوى النحو الكلّي ملكة من ملكات النوع البشريّ. فلا يعني هذا أن مجال اللسانيّات قد خلص للأنحاء العرفية بل لا يعني أن المجال كذلك خلص للأدنوية في التوليديّة نفسها، فالواقع على خلاف ذلك إذ ما تزال سائر النظريات أو سائر الأطوار من النظرية الواحدة فاعلا يشغل في إطاره الكثير من اللسانيّين ومن علماء الإعلاميّة ومن لفّ لفهم.

ومن المظاهر البيّنة - في حدود ما أمكننا الاطلاع عليه - غلبة المكوّن الدلاليّ التصوريّ على الدرس اللسانيّ العرفيّ وضمور العناية بالمكوّنات اللغويّة المعهودة (الصوتية والصرف والمعجم وما إليها) وكذلك قضايا الأدب والكتابة، وهي أمور قد بدأت بوادر العناية بها لعلّها تقود إلى تعديل مجال الدراسة. فمن النظريات اللسانية العرفية ما ينصبّ على النحو في مفهومه الشامل فيقدم وصفا متكاملا للمنظومة اللغويّة من قبيل أعمال لانقاكر وجاكندوف وشومسكي، ومنها ما يمثل

Gustave Guillaume. 1

Psychomécanique/Psychosystématique. 2

مناويل أو نظريات تنصبّ العناية فيها على المظهر الدلاليّ مطلقاً أو مخصوصاً بالاستعارة مثلاً في أعمال لايكوف أو بالدلالة المعجميّة في أعمال طلمي أو بمستوى الخطاب في أعمال فوكونياي (ذي الأصول الفرنسيّة وتلميذ لانفاكر). كما يمكن إدراج شتات من الأعمال المتعلّقة باللّغة وبالإنسان من حيث كانت ركيزة من ركائز البحث فيه كائننا مُعرّفاً¹ حادثاً في التاريخ، وهي بحوث تجمع الكثير من المداخل من قبيل البيولوجيا والإحاثة وعلوم الأعصاب واللّسانيّات والأنثروبولوجيا وغير ذلك وإن لم يكن أصحابها من المختصّين بالمعنى الضيّق في الواحد منها، وذلك من قبيل أعمال ستيفن بنكر².

وكان للنظرية التوليدية في النصف الثاني من القرن الماضي موقع ما انفكت أهميته تتزايد رغم ما كان للنظرية من نقلات على مراحلها المعلومة، ولكن ذلك لا يعني استقرار الأمور لها أو لأصحابها في المطلق، فقد ظهرت وجهات نظرية عديدة منذ السّنوات 1960 وازدادت بعد ذلك عددا ونوعا. فقيام التوليدية على مركزيّة الإعراب³ واستقلاله كان مدخلا لطعون نظرية عديدة فيها ومخرجا للكثير ممن اشتغلوا في إطارها منذ نشأتها من قبيل جون ر. روس⁴ (وهو تلميذ سابق لشومسكي) وجورج لايكوف⁵ وبول بوستال⁶ وجيمس ماك كاواي⁷. وقد كان الخروج في البداية سعيا إلى إقامة ما أطلق عليه "الدلالة التوليدية"⁸ - وهو أمر لم يتبلور في البداية على يد شومسكي إذ اشتغل بالإعراب أولا (1957 و1965) فالصّوتية (1968) ثانيا - باعتماد قواعد يكون بها توليد الأبنية الإعرابية من التمثيلات الدلالية دون توسّط البنية العميقة. وغير خفيّ ما في ذلك من فصل بين المكوّن الدلاليّ والمكوّن الإعرابيّ في عمليّة الاشتقاق، وذاك ما رفضه شومسكي، فقام ما يطلق عليه "الحروب اللّسانية"⁹ نهاية السّنوات 1960 وبداية 1970 (هاريس

-
- | | |
|-----------------------|---|
| Cognizer. | 1 |
| Steven Pinker. | 2 |
| Syntactocentricity. | 3 |
| John R. Ross. | 4 |
| George Lakoff. | 5 |
| Paul Postal. | 6 |
| James McCawley. | 7 |
| Generative semantics. | 8 |
| Linguistic war(s). | 9 |

(1993). ولكن ذلك التوجّه تفرّق في مقاربات متعدّدة مثل بعضها نوى المناويل نظريّة تبلورت في السّنّوات 1980 في نظريّات قائمة برأسها وخفا بعضها الآخر. ولكنّ التّوليدية أفادت من تلك الحركة بأن جعلت للمكوّن الدّلالّي موقعا فيها بقواعد تنظّمه دون أن يخرج عن المكوّن الإعرابيّ الذي ظلّ مركزيا على الدّوام كما هو معلوم وبأن حدثت فيها التّقلّ المعلومة بتوسيع التّمودجيّة¹ فالعمل والربط² فالأدنيّة³. ويبدو أنّ من يشتغل في التّوليدية - على عهد شومسكي - مصيره أن يخرج عنه خروجا تامّا كما حدث في السّنّوات 1970 أو جزئيا كما حدث في أعمال جاكندوف وإن في زمن متأخّر (بداية السّنّوات 1990) بنظريّته الموسومة بنظريّة الهندسة الثلاثيّة المتوازية⁴. فقد بدأ لايكوف توليديّ الانتماء دلاليّ الاختصاص وأصبح علّما من الأعلام المؤسّسين للسانيّات العرفيّة بنظريّته الموسومة بنظريّة الاستعارة المفهوميّة⁵ التي بلورها صحبة الفيلسوف مارك جونسون⁶ (1980)، أمّا لانفاكر فيمثّل علّما مؤسّسا لنظريّته 'النّحو العرفي' (1987، 1991). ولئن تعدّدت تواريخ المؤلّفات وتباعدت فإنّ الدّراسات تعود بنشأة اللّسانيّات العرفيّة إلى 1987 سنة صدر كلّ من كتاب لايكوف (1987) ولانفاكر (1987)، ومقال طالسي (1988). وقد صاحب هذا التّأسيس المعرفيّ العلميّ بعثُ جمعيّة اللّسانيّات العرفيّة العالميّة⁷ (سنة 1989) ومجلّتها اللّسانيّات العرفيّة (سنة 1990) وذلك بعد عقد تقريرا من بعث مجلّة العلوم العرفيّة⁸ (1977) وتأسيس جمعيّة العلوم العرفيّة⁹ بأمريكا (1979). وإلى هؤلاء ينضاف الكثير من الأعلام الذين يسهم بعضهم في توسيع دائرة الدّرس اللّسانيّ العرفيّ ويسهم بعضهم في ترسيخه بالتّأليف التّبسيطيّ في شكل دروس (تايلور 1996، 2002). ومنذ ذلك الزّمن ما اتّفكت جمعيّات لسانية عرفيّة محليّة أو وطنيّة تتأسّس في بلدان كثيرة أغلبها أوروبّيّ. ويظلّ تأخّر

1 Extended Standard Theory (EST).

2 Government and Binding theory.

3 Minimalism (Minimalist Program).

4 Tripartite Parallel Architecture.

5 Conceptual Metaphor Theory (CMT).

6 Mark Johnson.

7 International Cognitive Linguistics Association (ICLA).

8 Journal of Cognitive Science.

9 Cognitive Science Society.

البلاد العربيّة في هذا المجال صارخا صريحا، فعسى أن يكون هذا دعوة إلى ذلك إذا توفّر سبيل إلى إنشاء دراسات عرفيّة عربيّة عامّة كانت أو مخصوصة بمجال منها يعينه من قبيل اللسانيّات. ولعلّ توفّر بعض الدّراسات في هذا المجال - رغم احتشامها واقتضاها واكتفائها بقضايا الاستعارة - يمثّل لبنة أولى يمكن البناء عليها. ولعلّ أحسن ما به يمكن ختم هذا العرض الأوّلي لأسس اللسانيّات العرفيّة عدد من النّقاط تحتزل ما عليه ثار وما عليه قام هذا التّوجّه الذي استوى موجة فتّارا فمدرسة متكاملة الأسس في الدّرس اللّغويّ بلغ أثرها الدّرس العرفيّ نفسه.

فمن خصائص الأنحاء الشّكلية، انصباب التّحليل فيها على دقائق الإعراب والصّرف لما يتوفّر فيها من أسس شكلية تقبل الوصف والرّصد والضّبط، ومنها استقلال اللّغة مكوّنا من مكوّنات الدّهن واكتفاؤها بذاتها ولعلّ أبرز من رسّخ ذلك هو مبدأ المنظوميّة¹ كما تبلور في أعمال فودور، ومنها كون الإعراب المكوّن الرّئيسيّ بل هو المكوّن الوحيد في اللّغة (مركزيّة الإعراب) وما يتبع ذلك من تحديد للنّحو الكونيّ على أساس إعرابيّ ليس غير. ومنها قيام التّمثيلات الدّلالية على أساس شكليّ منطقيّ لها في الحواشيب ما يضاهيها ولها أسس منطقيّة كافية (الشّروط الضّروريّة والكافية، السّمات الدّلالية²، البنية الموصفيّة³ وما يتّصل بها من تمثيل الأوّليات الدّلالية⁴ المنطقيّة).

ونظفر بخصائص الأنحاء العرفيّة - في الأغلب - في ما يعبر عنه أصحاب النّظريّات في كتاباتهم لتأسيس مواقفهم وبيان الخروج عن السّابق من أنماط الوصف والتّحليل، ومنها دراسة اللّغة من زاوية وظائفية عامّة ومن زاوية وظائفية نفسيّة (عرفيّة) في إطار اجتماعيّ والمعتمد في ذلك على كلّ الملكات أو الآليات من قبيل الإدراك والانتباه والمفهمّة⁵ والمعنى والمقولة والخطاطات وزوايا النّظر⁶ ومقام التّخاطب في إطار التّفاعل الاجتماعيّ والغايات التّواصلية من حيث قيامها على المقاصد والتّخطيط والتّدكر وما إليها. ومنها العناية الأساسيّة بالدّالة ومفهمتها،

-
- | | |
|----------------------------|---|
| Modularity. | 1 |
| Semantic feature(s). | 2 |
| Qualia structure. | 3 |
| Semantic primitives. | 4 |
| Conceptualization. | 5 |
| Vantage(s), vantage point. | 6 |

ومنها كون اللغة ملكة من ملكات عرفية تستوجب دراستها وصلها بها فلا هي مكفية بذاتها ولا هي معزولة عنها، ولذلك وجب أن تُدرس في إطار عرفي متكامل فيه جميع الأبعاد الجسدية والبيئية والثقافية الجماعية (لانفاكر، جاكندوف، ...). ويمثل هذا صدى لتطور العلوم العرفية بمختلف مناحيها إلى الجسدية والبيئة، ولذلك تتصور جميع العمليات اللغوية على أنها عمليات عرفية في جوهرها. ومن خصائص الأنحاء العرفية اعتماد طريقة في التمثيل استعارية أيقونية (انظر طريقة لانفاكر وطلمي من جهة وطريقة جاكندوف من أخرى وفيها بعض من الأيقونية والمنطقية الشكلية). ومنها السعي إلى إقامة الوصف التحوي على أرضية عرفية نفسية عصبية فالثوابت اللغوية ثوابت عرفية ذهنية في أساسها وليست شكلية ولذلك وجب اعتماد جميع الأطر النظرية التي تهم بالإنسان عامة من قبيل الأتروبولوجيا (ساير ومن لف لفه) وعلم النفس (الجشطلت والنظرية الطرازية وما إليها) وما إلى ذلك.

علاقة اللسانيات بالعلوم العرفية

يمكن أن تناول العلاقة من زاويتين: إفادة اللسانيات من العلوم العرفية وإفادتها إياها وذلك من حيث الحقائق والنتائج ووجوه التناول. وتحلى إفادة اللسانيات العرفية من العرفية عامة ومن علم النفس العرفي بوجه خاص تواتر المفاهيم المعتمدة في مختلف النظريات من قبيل الخطاطة والتصوير الذهني¹ والجشطلت والمسح² والطراز³ ونظرية الإبصار وما إليها عند لانفاكر ولايكوف وطلمي وجاكندوف على سبيل المثال. ومن الحاسوبية تستعار مفاهيم أخرى من قبيل الحوسبة واللغة وأنواع الذاكرة الحاسوبية وما إليها عند جاكندوف وشومسكي ومن علوم الدماغ تستعار مفاهيم الشبكية والترابطات والتوزع والتزامن في المعالجة. ومن المبادئ الموجهة للدرس اللساني العرفي الالتزام بأمرين: الالتزام بالتعميم⁴ والالتزام العرفي⁵، وهما مبدآن سطرهما لايكوف (1990) وتبلورا في كتابات عرفية عديدة بوجوه عديدة:

-
- | | |
|----------------------------|---|
| Mental Imagery. | 1 |
| Scanning. | 2 |
| Prototype. | 3 |
| Generalization commitment. | 4 |
| Cognitive commitment. | 5 |

يتمثل الالتزام بالتعميم في أن يستوعب الدرس اللساني العرفي جميع المظاهر في النشاط اللغوي، وليس لهذا المبدأ صلة مباشرة بالتعميم المعهود من سعي إلى إدراك الخصائص الكلية، فمما ترفضه اللسانيات العرفية تناول اللغة على أنها منظومات مستقل بعضها عن بعض (صوتي، صرفي، إعرابي، دلالي، معجمي، تداولي... إلخ) وبدلاً من ذلك تسعى إلى دراستها جميعاً في تفاعلها وتكاملها واشتغالها معاً، ببيان انبثاقها من الأرضية العرفية العامة وتفاعلها معها.

ويتمثل الالتزام العرفي في السعي إلى إقامة حقائق لغوية توافق الحقائق العرفية الثابتة في سائر العلوم العرفية. ويندرج هذا الالتزام اندراجاً طبيعياً في الالتزام السابق إذ لا يستقيم تعميم في شأن اللغة ما لم يستقيم من زاوية عرفية عامة، ولذلك وجب أن تراعى طبيعة العرفية وخصائصها في إقامة النظرية اللسانية فيلغى منها كل ما ليس ذا أرضية عرفية.

ومن المبادئ الأخرى التي وجهت الدرس اللساني العرفي عامة وعليه قامت بعض النظريات فيها بنجد الفرضية الرّمزية¹ والفرضية القائمة على الاستعمال². وقوام الفرضية الرّمزية كون اللغة تقارنا بين الصوت والمعنى وقوام النحو تنظيم ذلك التقارن الرّمزي على درجات مختلفة من التركيب والبناء، وهو جليّ ظاهر في نظرية النحو العرفي عند لانفاكر وفي أعمال طالبي (2000). وقوام فرضية الاستعمال أن النحو الذهني عند الفرد إنما هو تجريد لاستعمالات عديدة في الواقع فلا مجال للفصل بين المعرفة والاستعمال كما هو الحال في التوليدية (النحو المضمر/النحو المظهر أو القدرة والإنجاز)، فالمعرفة هي الاستعمال والعكس قائم إذ العارف باللغة هو العارف بما به يكون استعمالها. ولهذه الفرضية حضور كبير في ما تعلق بالاكتساب اللغوي (طوماسلو 2000) وبالتغير اللغوي عامة والإنحاء خاصة في أعمال ويليام كروفت (1996) وهابني وجماعته (1991) مثلاً، وإن لم تنتف في سائر النظريات اللسانية العرفية جميعها.

ومن الموضوعات المتواترة عند أعلام النظريات اللسانية العرفية ما به تسهم اللسانيات العرفية في المباحث العرفية العامة. ولعلّ شومسكي يمثل أبرز الأعلام في هذا الشأن حيث يطرق بتواتر علاقة الملكة اللغوية بالذهن أو الذهن/الدماغ

Symbolic thesis. 1

Usage-based thesis. 2

وتموضعها فيه ويذهب إلى أنها عضو ذهنيّ كما يطرق علاقة اللسانيّات بعلم النفس. ولعلّ أبرز ما تفيد به اللسانيّات العرفيّة الدرس العرفيّ يتمثّل في توصّلها إلى العود بالنشاط اللّغويّ إلى أرضيّة ذهنيّة العصبيّة بأن جعلت منه مهارة من جملة مهارات عرفيّة يمتلكها البشر، وهي مهارة محكومة بالمبادئ العرفيّة العامّة لا بمبادئ لسانية خاصّة باللّغة دون سائر الملكات العرفيّة. فاللّغة متناولة في حركيّتها واشتغالها تمثّل مدخلاً لفهم الكثير من مظاهر العرفنة البشريّة من حيث طبيعتها وتغيّرها خلال الزّمن ونشوؤها أو اكتسابها وهو ما تقصر دونه المداخل الشكليّة المعهودة.

العرفنة: ماهيّتها، اشتغالها ووظيفتها

ما انفكت مجالات العلوم العرفيّة تتوسّع وتتعمّد وتتداخل، يضاف إلى ذلك سعي إلى التّحدّر في بنية الدّماغ وتوسّع في مجال البحث إلى المحيط والبيئة التي يعيش فيها الكائن المعرف. فالعلوم العرفيّة علوم متظافرة تدرس العرفنة من حيث طبيعتها (ما هي العرفنة؟) ومن حيث اشتغالها (كيف تشغل العرفنة؟) ومن حيث وظيفتها (ماذا تفعل العرفنة؟). وتبلور هذا الثّالوث من القضايا على طورين أوّلها قوامه الحاسوب في ما يعرف باستعارة الحاسوب وهو الطّور الحوسبيّ وثانيهما قوامه الدّماغ وهو الطّور الترابطيّ في ما يعرف باستعارة الشبكات.

خلال الطّور الحوسبيّ (السّنوات 1970)، قام تصوّر العرفنة على أساس معالجة المعلومات فجرى تعريف العرفنة بكونها معالجة المعلومات في الدّماغ، وما تفعله العرفنة يتمثّل في تمكين الفرد من السّلك الذكيّ من قبيل حلّ المشاكل وفهم الأشياء، وتشغل العرفنة اشتغال الحاسوب حيث تشفر المعلومات في شكل تمثيليّ رمزيّ تعمل عليه قواعد تشبه الخوارزمات (اللّوغارتمات) في لغة البرمجيّات الحاسوبية. وغير خفيّ ما للذكاء الاصطناعيّ من أثر في بلورة هذا التّصوّر إذ كان المعتقد في هذا الطّور أنّ العمليّات الذهنيّة بعناصرها وآليّاتها تقبل التّمثيل بمعزل عن بنية الدّماغ في شكل يشبه الرّموز والخوارزمات التي يعمل عليها الحاسوب وهي عبارة عن برميّة تتضمّن صراحة جملة من الأوامر تحدّد خطوة فخطوة مسار المعالجة للوصول إلى الحلّ، وهو ما يطلق عليه "الاستعارة الحاسوبية" أو "استعارة الذّهن حاسوباً"¹.

ولكن الأشياء تبدلت خلال الطور الترابطي (السنوات 1980) حيث تبينت صعوبة اختزال العرفة البشرية والإحاطة بما ماهية واشتغالا وفعلا على منوال الحاسوب، وكان التوجه إلى الدماغ أساسا في تصوّر العرفة فلا يمكن الحديث عنها ما لم تربط بنشاط الدماغ، وما لم تكن الحقائق المتعلقة بما مدعومة بحقائق علوم الأعصاب ومكتشفاته المتزايدة، بل يذهب بعض علماء العرفة إلى أن معرفة الدماغ هي الموصلة إلى ماهية العرفة والموقف على أسس اشتغالها. فحدث التحوّل من الحاسوب أساسا ونموذجا إلى الدماغ أرضية. وساعد على تحقيق تلك التقلّة تطوّر تقنيّ وتقدّم معرفيّ كبيران في علوم الدماغ في السنوات 1970 تبلور في إطاره عند علماء الأعصاب العرفيّين ما يعرف بالمعالجة المتوازية الموزعة¹. وقوامها أن العمليات العرفيّة متوازية لا سلسليّة وأنّ العمليات العصبيّة التي تصاحبها موزعة ممتدّة على القشرة الدماغية ولا تنحصر في موقع واحد بعينه وتشكّل في عقد مترابطة (ماك للاند وروملهارت 1986)².

وإذ كان الدماغ أداة طبيعيّة كانت العرفة وظيفته في ضمان الحياة للكائن المعرف في بيئته، ولهذا الأمر اتّسعت دائرة العناية في العرفة لتشمل موقع الجسد في العالم فتحوّلت العناية من رصد الأنشطة الذهنيّة الصّرف إلى ما به يكون ممارسة المهارات والملكات العرفيّة في عالم الأشياء والواقع، وهو ما يطلق عليه المناسبة البيئية³. وهذا المبدأ ذو منابت نفسيّة عرفيّة يعني أنّ النتائج التي تحصل في الأعمال المخبريّة يجب أن تقبل الانطباق ضرورة على مظاهر السلوك في الأوساط الطّبيعيّة اليوميّة العاديّة (كوهين 1989، وبنوغراد 1993). وصاحب جميع ذلك تحوّل في مظاهر الدّراسة في علم النفس فخرجت من المخابر تُسبر فيها المباحث المعهودة فيها إلى دراسة المهارات الجارية في الأوضاع الواقعيّة، ومن مجرد صوغ برمجيات ذكيّة إلى بناء روايت تقدر على العيش في بيئة حقيقيّة وعلى التفاعل مع عناصر تلك البيئة، في علم الذكاء الاصطناعيّ. واتّسع لجميع ذلك مفهوم العرفة لتشمل كلّ مظهر تستجيب به الذات المعرفة لكلّ ما يطرأ في محيطها الاستجابة المناسبة وهي الملكة التي بها تتفاعل الذات مع محيطها تفاعلا عاقلا ذكيّا.

1 Parallel Distributed Processing.

2 McClelland & Rumelhart.

3 Ecological validity (validité écologique).

ولئن مثلت الثقل من الحاسوب نموذجاً إلى الدماغ في المباحث العرفية فإن الدماغ نفسه لا يكفي بذاته أساساً للعرفة وحيداً بل إن اعتماد العرفة في علاقتها بالمحيط والجسد حالاً في ذلك المحيط ووسائل العرفة وتوزعها جعلت من العناية تنحو إلى البحث في مظاهر التفاعل بين الدماغ والمحيط إطاراً عاماً يمثل نظاماً إطاراً للعرفة، وهذا ما يطلق عليه العرفة المتوسطة¹. ويصاحب هذا التوجه نزعة أخرى توازيه إلى توسيع مكونات العرفة في الطور الترابطي (الدماغ وما خرج عنه من عناصر المحيط) لتضم كذلك جميع النظم الحركية².

خاتمة

لعل أفضل ما يختتم هذا التمهيد تقرير بسيط مداره أن قيام العلوم العرفية لم يكن صدفة أو طفرة. وهو أمر محتاج إلى كتاب برأسه ولكن بعض الإشارات العامة تثبت بها التضاريس العامة يفيد بوجه من الوجوه على نقائصه، ويمكن العود في توجه آخر إلى مباحث الفكر واللغة والعقل والجسم والروح والمادة منذ فجر التاريخ الحديث ولكننا لا ندعي الإحاطة بجميع ذلك والمهم أن نشير إلى توفر حقائق علمية تثبت ما سبق أو تكشف الجديد وإلى قيام نظريات تحوّر القدم أو تبدأ جديداً وذلك على امتداد القرن التاسع عشر والنصف الأول من العشرين. ففي اللغة وما حايثها نجد أعمال بروكا³ (1861، 1865) في العاهات اللغوية التطبيقية حيث ثبت ارتباط بعض الأنشطة اللغوية بمواقع مخصوصة في الدماغ تلتف هذه فتعطل تلك في ما أصبح يعرف بمنطقة بروكا ونجد كذلك أعمال فرنيكا⁴ (1874) في فهم اللغة مواصلة لنفس التوجه الذي غرس بواذر اللسانيات العصبية. وفي مجال الأعصاب نشأت بواذر قياس النشاط الذهني قياساً زمانياً يهتم العمليات الذهنية وخاصة في أعمال دوندرس⁵ (1865) كما كان التنشيط الكهربائي لبعض المواقع في دماغ القرد في أعمال شرنقوتون⁶ (1901) وظهور بنية الخلايا في الدماغ

1 Situated cognition (cognition située)

2 Dynamic systems.

3 P. Broca. (1824-1880)

4 C. Wernicke. (1848-1905), 1874. Der Aphasische Symptomencomplex.

5 F. C. Donders.

6 C. Sherrington.

عند برودمان¹ (1909). أمّا في المباحث التّفسيّة فقد كانت الدّعوة إلى اعتماد مقاربة تجرّيبية ميكانيستية للعمليات الفكرية ومظاهر الوعي في أعمال برنتانو² (1874) كما ظهرت بوادر نظرية الجشطالت عند فون إيرنفلس³ (1890) ثمّ تبلورت في أعمال كوهلر وكفكا⁴ في ما بين السّنوات 1920 و1940، وفيها تركّزت فكرة الإدراك الإجماليّ والعمليات العرفيّة النّازلة⁵.

وكانت أبحاث بارتلات (1932) في التّمثيل الخطاطيّ واشتغال الذاكرة وما رافقها من بداية خروج عن السلوكيّة بظهور لبوادر السلوكيّة الجديدة، وتأسيسها لما سيُعرف بعد ذلك بالترابطيّة، في أعمال هول⁶ (1943) ثمّ كان أن دُحضت أسسها دحضاً مطلقاً بناءً على كون الدّماغ نظاماً حركياً يتكوّن من نظم متفاعلة دائمة التّشاطر، في أعمال لاشلي⁷ وخاصّة منها محاضراته في ندوة هيكسون سنة 1948 في باسيدا بكاليفورنيا ثمّ قيام مطارحات نظرية بين شومسكي وسكينر منتصرين للسلوكيّة ما بين 1957 و1959 ويعتبر هذا التاريخ في الكثير من الدّراسات نهاية للسلوكيّة. أمّا في الإعلاميّة والحوسبة الآليّة فكانت نظرية الكائنات الآليّة (وهي بوادر الروبوتية في الذكاء الاصطناعيّ) ومحاكاة النّظام العصبيّ المركزيّ في أعمال ماككولخ وبيتس⁸ (1943) وظهور كتاب فينار في السيبرنيتية (1947). واقترب بذلك قيام نظرية الإخبار في صياغتها الرّياضيّة في أعمال شانون⁹ (1949) ثمّ اعتماد مبادئها في دراسة الذاكرة وعمليات التّحكّم العرفيّ في أعمال عدد من الباحثين لعلّ أبرزها مقال ميلار¹⁰ (1956).

ولقد أشرنا إلى أنّ ظروف الحربين العالميتين الأولى والثّانية بما اكتنفها من حاجة تقنيّة حربيّة تطوّرت لها تقنيات الطّيران وكيمياء الأسلحة وتقنيات

-
- | | |
|--|----|
| K. Broadman. | 1 |
| F. Brentano. (1938-1917). | 2 |
| C. Von Ehrenfels. | 3 |
| Koffka, Köhler. | 4 |
| Holism, top-down processes. | 5 |
| C. L. Hull. 1943. Principles of Behavior. | 6 |
| Karl Lashley (1890-1958), Symposium Hixon, Pasadena, California, 1948. | 7 |
| W. McCulloch & W. Pitts. 1943. A Logical Calculus of the Ideas Immanent in Nervous Activity. | 8 |
| Shannon .C. 1949. Mathematical Theory of Communication. | 9 |
| Miller, G.-A. 1956. The Magic Number Seven, plus or minus two, Psychological Review, 63, 2, 81-97. | 10 |

التواصل وغيرها وجميعها تطبيقات سلمية بعد ذلك وما انجر عنها من تشوهات وكوارث تطوّرت لها تقنيات الطبّ والمداواة وعلوم الأعصاب وما إلى ذلك وجميعها مثلت حاضنة لما ستتألف منه العلوم العرفية في انتظار أن تنصهر في علم واحد. ولعلّ العبارة الإنجليزية في أفراد علم العرفنة سابقة للفرنسية المحافظة على تعدّد علومها¹.

ومهما يكن من أمر فإنّ العرفنة بحث في ما به يكون الذكاء في النظم البيولوجية الطبيعية، وإذ كان حامله الأساسيّ حاملاً عصبيّاً فإنّ البرنامج المستقبليّ متوجّه إلى الكشف عن تجذّر الذكاء في الحامل العصبيّ، وبالكشف عن ذلك يكشف الإنسان عمّا به كان إنساناً كائناً ذكياً فرداً ونوعاً منشئاً للحضارات عمارة وفناً وعلماً. ولكنّ الطريق طويلة إلى ذلك. أو لم يعرف ثول² (1982) التعقّل أيّ الذكاء بما معناه: إذا كان لشخص ما هدف ما ويعلم أنّ عملاً ما يؤدّي إلى ذلك الهدف فإنّه يختار ذلك العمل؟

1 Cognitive Science, Fr: Sciences Cognitives.

2 Newell A. 1982. The Knowledge Level, Artificial Intelligence, 18, 87-127.

القسم الثاني

في بعض النظريات اللسانية العرفية

في اللسانيات التوليدية

مقدمة

قد لا يفيد الخوض في تاريخ التوليدية نشأة وتطوراً خلال العقود الستة الماضية، ولكن ذلك يظلّ عملاً أساسياً يغنينا عنه انتشار هذه النظرية المدرسة، ولذلك يكون اهتمامنا مقصوراً على طور الأدنوية وما حايثه من التنويعات في النهج التوليدي.

ولذلك جعلنا هذا الباب فصلاً أولاً في البرنامج الأدنوي (شومسكي). بما يقوم عليه برنامج البحث ومفاهيم عامة عاملة من قبيل النحو الكوي والنحو المخصوص؛ والمبادئ والبرامترات؛ والنحو الذهني؛ واللغة عضواً ذهنياً ثم اشتغال النحو الأدنوي معجماً وحوسبة ذهنية. وثانيها في الهندسة الثلاثية المتوازية كما تبلورت في أعمال جاكندوف قائمة على عدد من المبادئ - وإن لم تكن من خصوصياتها - منها التوليفية ولا مركزية الإعراب ولا اتجاهاية الحوسبة، وعلى عدد من أسس الهندسة النحوية من قبيل التصافحات ثنائية وثلاثية واشتغال المعالجة النحوية في إطار المعالجة الذهنية العصبية على أساس التوازي والتوزع.

هذا في المظهر النحوي النظري يضاف إليها فصل ثالث في المعالجة اللغوية يتضمن الاتجاهات الكبرى أولاً فنظرية اللّمات (كما تبلورت في أعمال لوفلت وغيرها من الأعمال). بما تقوم عليه من تصوّر لبنية المعجم الذهني وانتظام العناصر فيه وجملة الآليات العاملة في المعالجة المعجمية من استحضار و/أو بناء وجميع ذلك في إطار نحوي ذهني عام يجمع المكونات الدلالي والإعرابي والصرفي. وإذ كان هذا الفصل لصيقاً بالمشغل الأساسي في اللسانيات التفسيرية واللسانيات العصبية رأينا من المفيد تخصيص فقرة لنظرية اللوغونات لما لها من أثر في المعالجة اللغوية عامة والمعالجة المعجمية بالخصوص وإن لم تدرج في النهج التوليدي الذي قام عليه هذا الباب.

البرنامج الأدنوي

تمثّل الأدنوية¹ طورا وريثا ومغيرا لما سبقه من أطوار التّوليدية، تعود بوادره إلى النّصف الثّاني من ثمانينيات القرن الماضي واستوى بمعالمه برنامجا لبحث بظهور المقالات المجموعة تحت عنوان "البرنامج الأدنوي"² (شومسكي 1995) وقد مثّلت منطلقا لما أصبح يعرف بعد ذلك بالأدنوية³.

برنامج البحث

حدّد شومسكي (1995، 17) برنامج البحث في اللّسانيّات في عدد من المسائل طرحت في أطوار التّوليدية المتعاقبة منذ نشأتها وعولجت بمقاربات متنوعة ولكنها حافظت على الحلول الجوهرية وإن تبدّلت في بعض جزئياتها: ماذا يعرف الشّخص عندما يتكلّم بلغة ما (مخصوصة)؟ كيف اكتسب هذا الشّخص تلك المعرفة؟ كيف يُجري هذا الشّخص تلك المعرفة في الاستعمال؟ كيف تطوّرت خصائص الذّهن/الدّماغ في علاقتها بالملكة اللّغوية في مستوى النّوع البشري؟ كيف تتجلّى هذه الخصائص في نشاط الدّماغ وميكانيزماته؟ وقد اجتمعت هذه المسائل في "المعرفة اللّغوية: طبيعتها وأصولها واستعمالها" (شومسكي 1986).

1 Minimalism.

2 Minimalist Program.

3 خیرنا الأدنوية على "الاختصاري" لأنّ الاختصاري لا يؤدّي - في رأينا - المعنى الإنجليزي لأنّ الاختصار ضدّ الطول والتفصيل، بمعنى أنّ للّحو صياغتين واحدة مطوّلة وأخرى مختصرة وهذا غير موجود في تصوّر شومسكي إذ تبلور البرنامج الأدنوي نتيجة لضغط حقائق عرفيّة تبين بها أن لا وجود لقواعد كثيرة معقدة متشابكة كما كان يُتصور، في الأطوار السابقة من التّوليدية، وإنّما هي من أبسط ما يكون. فقيام البرنامج الأدنوي لا صلة له ببرنامج مطوّل كان أو سيكون يقتضي اختصارا. فالّحو برنامج يولوجي، لا يطول فيختصر وإنّما هو أدنوي بمعنى قائم على أفضل ما يكون، وهي فكرة قامت عليها نظرية الأفضلية (Optimality Theory).

وأما ما يعرفه الشخص عندما يتكلم بلغة مخصوصة فمعناه أن له لغة ل تولد أوصافا بنويّة¹ (هي جملة الخصائص الصوتيّة والإعرابيّة والدلاليّة التي تكون عبارة ما) من حيث مثلت اللغة التي يملكها مولدا محدودا لمجموعة غير محدودة من الأوصاف البنيويّة، وكل واحد من هذه الأوصاف يعين بدوره الأوصاف البنيويّة لعبارة بعينها. وذاك ما يسميه شومسكي "اللغة المضمرّة"² فلهذا الشخص لغة مضمرّة³ فرديّة⁴ مفهوميّة ذاتيّة نسبيّة⁵:

هي مضمرّة بمعنى باطنة من حيث هي قدرة مخزونة تمثل حالا في الذهن/الدماغ موجودة في ذاتها وجودا مستقلا عن سائر الأشياء في الكون. وهي فرديّة من حيث تعلقت بالشخص العينيّ المفرد دون سائر الأفراد المتتمين إلى مجموعته اللغويّة والذين يمتلكون نظائر أو أشباه ما يملك ويمكن أن تشمل المجموعة اللغويّة عن طريق السحب، سحب الفرديّ على الجماعيّ. وليس من المفروض أن يكون الشخص واعيا بمحصول تلك المعرفة عنده بل ليس من اليسير أن يجعل واعيا بذلك. وهي مفهوميّة ذاتيّة نسبيّة - في المعنى المنطقيّ الصّناعيّ - من حيث كانت مخصّصة من زاوية المفهوم دون الماصدق - والعبارة لشومسكي (1995، 15) - ويعرّف كينز⁶ المفهوم الذاتيّ النسبيّ⁷ بكونه كناية عن مجموعة الصّفات التي يمتلكها الفرد عن شيء أو موجود ما سواء كانت تلك الصّفات أساسيّة أو ثانويّة. وهذا المفهوم الذاتيّ نسبيّ لأنّه يختلف باختلاف الأفراد والمكان والزّمان⁸. وفي ضوء هذا، يكون ماصدق اللغة المضمرّة مجموعة الأوصاف البنيويّة أي ما يمكن تسميته بنية اللغة المضمرّة. ومن حيث المبدأ يكون للغتين مضمرتين مختلفتين نفس البنية ولكنّ ذلك غير متوفّر إجرائيا، فالتحو الكونيّ يسمح بوجود لغات متعدّدة. وتعود بؤادر فكرة اللغة المضمرّة - في حدود ما أمكننا الاطلاع عليه - إلى شومسكي (1986، 21 وما بعدها) حيث ينطلق من فكرة أوّو

Structural description(s).	1
I- language.	2
Internal.	3
Individual.	4
Intensional.	5
Keynes: Formal Logic.	6
Intension.	7

8 نقلًا عن: مهدي فضل الله (1990، هامش 47، ص 62-63).

ياسيرسن¹ (1924) القائلة بوجود "مفهوم للبنية" في ذهن المتكلم على درجة من التحدّد تقوده في صياغة عبارات خاصّة به أو عبارات جديدة ما سبق له أو لسائر الناس أن سمعها. وعندها اقترح شومسكي تسمية تلك البنية الذهنيّة 'لغة مضمرّة'. فيكون النّحو بناء على ذلك نظريّة في اللّغة المضمرّة. وإذا كان النّحو نظريّة وكانت اللّغة المضمرّة موضوعه فمن الواجب أن يكون الموضوع موجودا حتّى يمكن الحكم للنّظرية بالصّواب أو عليها بالخطأ.

وأما في المبحث المتعلّق بكيفيّة اكتساب الشّخص المتكلم بلغة لتلك المعرفة، فالمفترض في نظريّة النّحو الكونيّ وجود حال بدئيّة² فيها قدرة على اكتساب اللّغة المضمرّة أي عدد من الوسائل التي يجهّز بها الذّهن فطريّا أو وراثيّا وتشتغل منذ بداية التعرّض للأقوال والعبارات لاستخلاص النّحو من الكلام المسموع في المحيط الاجتماعيّ. ونظريّة النّحو الكونيّ تقوم كذلك على بيان ما به يكون التّفاعل بين الحال البدئيّة وعوامل التّضج العصبيّ العرفيّ عند الطّفل وعوامل المحيط والبيئة. ويفترض شومسكي وجود آليّة اكتساب لغويّ³ عند الطّفل بما يتمكّن من بناء نحو ذهنيّ يستخلصه من الأقوال الخليط بأن يهتدي إلى البنية الكامنة فيها جميعا ويستبطنها لتستوي في ما يسمّيّه اللّغة المضمرّة.

ويمثّل الذّهن/الدّماغ نظاما معقّدا من المكوّنات المتفاعلة منها الملكة اللّغويّة، وهو نظام خاصّ بالجنس البشريّ لا مثيل له عند سائر الأجناس ومتوفّر عند جميع أفرادهم توقّرا واحدا. وعندما يحدث الاتّصال ما بين هذه الملكة والمعطيات (الكلام الجاري في محيط الطّفل الاجتماعيّ)، تنتقي الملكة لغة مخصوصة هي العربيّة - مثلا- أو غيرها وفق المجموعة البشريّة. وهذه اللّغة المخصوصة بدورها تحدّد جملة من الظواهر الممكنة تتجاوز بكثير المعطيات التي تعرّض لها الطّفل، فهو لا يتعرّض لجميع الأقوال بما فيها من القواعد والأبنية والمعاني وإنّما يتعرّض لنماذج محدودة مهما كثرت ومنها يُكوّن اللّغة العربيّة. ويكون تمثيل هذه العمليّة كما يلي (شومسكي 1988، 35):

المعطيات ← الملكة اللّغويّة ← اللّغة ← عبارات ذات بنية⁴.

1 Otto Jespersen.

2 Initial state.

3 Language Acquisition Device.

4 Data → language faculty → language → structured expressions.

فإذا نشأ الطفل مجهّزاً بالملكة اللغوية في مجموعة بشرية تتكلّم العربية، أو لهجة مخصوصة منها هي اللهجة التونسية مثلاً، تنتقي الملكة المعطيات المفيدة من الأقوال الجارية في محيطه ويبنى الطفل اللغة معتمداً تلك المعطيات بوجه تحدده بنيتها الداخلية، وباكتمال ذلك البناء تحلّ اللغة العربية في الذهن. وبحلولها في الذهن تبلغ الملكة اللغوية طور الاكتمال والتضج به يكون الطفل قادراً على التكلّم بالعربية وفهما دون إشكال. وبنضج الملكة واكتمال النحو في الذهن/الدماغ يكون قد حصل عند الطفل ما به يكون قادراً على معرفة ما لم يُعلّم إياه قطّ أو سمعه إنتاجاً وفهماً، وذلك من قبيل الاهتمام إلى أنّ كلمة ما تنتمي إلى لغته أو لا تنتمي أو صياغة جمع من مفرد على وجه مقبول أو تأويل قول على غير معناه الحرفي وما إلى ذلك.

وتتكرّر عند شومسكي فكرة الفردية (1988، 36 و1995، 15) ولكن بمفهومين مختلفين متكاملين، فاللغة ظاهرة فردية من حيث كانت نظاماً ذا تمثيل في ذهن/دماغ فرد معين. ولذلك يستحيل أن تجد شخصين لهما نفس اللغة وإن كانا توأمين نشأ في محيط واحد ولكن هذا الاختلاف لا يمنع من التواصل، والتواصل ممكن ما اتفق الطرفان في اللغة إلى درجة ما (1988، 36). أمّا الفردية في اللغة المضمرّة فهي بالمعنى الذي سبقت الإشارة إليه قبل هذا. فالأطفال المنتمون إلى مجموعة لغوية واحدة يبني الواحد منهم نحواً ذهنياً يشبه النحو الذهني الذي يبنيه الآخر رغم تعرّضهم لتجارب مختلفة متباينة في مجموعتهم اللغوية من قبيل الاختلاف في الجهات أو الحيّ أو المستوى الطبقيّ، وهذا أساس يثبت به وجود آلية الاكتساب اللغويّ بشكل فطريّ. فمجموعة الأطفال هذه تشترك في امتلاك قيود داخلية تقود الواحد منهم في بناء النحو الذهنيّ وفق مبادئ واحدة مشتركة فيكون الاتفاق بينهم في النحو عند انتهاء مرحلة الاكتساب.

وأما جريان تلك المعرفة في الاستعمال فيمثل برنامج نظرية أو نظريات في الإنجاز¹ بما تتضمن من عمليات إنتاج الأقوال ومن عمليات تحليلها. يكون ذلك بالبحث في ما يتوفّر في الذهن/الدماغ من آليات القرن بين الصوت والمعنى أو بين المدرك والرمز. وهي نظم متداخلة مع النظم العرفية بصورة عامّة وجزء منها. ولهذا صلة بما يطلق عليه شومسكي اللغة المظهرة² (1986، 19) من زاوية كونه

Performance. 1

Externalized language. 2

نَحَقَّقَا فِيزِيَايَا لِّلْغَةِ الْمَضْمَرَةِ فِي مَسْتَوِيْنِ فَرْدِيَّ يَكُونُ بِهِ كَلَامُ شَخْصٍ بَعِيْنِهِ أَوْ جَمَاعِيَّ يُمَثِّلُ لُغَةً مَا مِمَّا يَسْمَحُ بِهِ النَّحْوُ الْكُوْنِيَّ.

النَّحْوُ الْكُوْنِيَّ وَالنَّحْوُ الْمَخْصُوْصُ

النَّحْوُ الْكُوْنِيَّ¹ هَدَفٌ بَعِيْدٌ يَسْعَى كُلُّ لِسَانِيٍّ إِلَى تَحْدِيْدِهِ، وَقَدْ رَكَزَهُ شُوْمَسْكِي مِنْذُ أَوَاخِرِ الْخَمْسِيْنِيَّاتِ وَبَدَايَةِ السِّتِيْنِيَّاتِ مِنَ الْقَرْنِ الْمَاضِي، وَيَتَلَخَّصُ الْمَوْقِفَ الْأَسَاسِيَّ فِي النَّحْوِ التَّوْلِيْدِيَّ فِي أَنَّ اللَّغَةَ تُدْرَسُ لَا مِنْ حَيْثُ كُوْنُهَا ظَاهِرَةٌ مَجْرَدَةٌ أَوْ مَوَاضِعَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ وَإِنَّمَا مِنْ حَيْثُ مَا يَفْهَمُهَا بِهِ النَّاسُ وَيَسْتَعْمَلُونَهَا، أَيْ أَنَّ الْمَشْغَلَ الْأَسَاسِيَّ يَتِمَثَّلُ فِي مَا بِهِ تَحَلُّ الْمَلِكَةُ اللَّغُوِيَّةُ فِي الدِّمَاغِ، هُوَ مَا يَجْعَلُهُ شُوْمَسْكِي فِي ثَنَائِيَّةِ اللَّغَةِ الْمَضْمَرَةِ وَاللَّغَةِ الْمَظْهَرَةِ وَيُمَثِّلُ التَّوَجُّهَ الذَّهْنِيَّ عِنْدَهُ.

وَمِمَّا يِعَابُ عَلَى النَّحْوِ التَّوْلِيْدِيَّ إِهْمَالُهُ الْمَظَاهِرَ الْجَمَاعِيَّةَ الثَّقَافِيَّةَ فِي اللَّغَةِ وَلَكِنْ ذَلِكَ غَيْرُ ثَابِتٍ إِذْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلدَّارِسِ مَوْقِفٌ ذَهْنِيٌّ دُونَ أَنْ يَهْمَلَ ضَرُورَةَ الْبَعْدِ الْجَمَاعِيَّ كَمَا يَتَجَلَّى فِي أَعْمَالِ شُوْمَسْكِي. وَيَبْرُرُ جَاكَنْدُوْفُ (1997، 3) عَدَمَ الْعَنَايَةِ بِالْبَعْدِ الْجَمَاعِيَّ عِنْدَ 'شَيْخِهِ' شُوْمَسْكِي بِسَبَبِ إِجْرَائِيٍّ فِي بِنَاءِ النَّظَرِيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّ الْأَوَّلِيَّةَ - نَظَرًا إِلَى قَصْرِ الْعُمُرِ وَقَصْرِ الْيَدِ - كَانَتْ لَتَحْدِيْدِ الْخَصَائِصِ الْمَجْرَدَةِ الَّتِي تَخْدُمُ التَّعْبِيرَ عَنِ الْحَاجَاتِ فِي اللَّغَةِ، وَلَكِنْ ذَلِكَ لَا يَعْنِي نَفْيًا لَوْجُودِ خَصَائِصٍ فِي اللَّغَةِ مَوْرَدَهَا الْمَحِيْطُ الْجَمَاعِيَّ الَّذِي تَجْرِي فِيهِ.

وَالنَّحْوُ فِي التَّوْلِيْدِيَّةِ نَحْوَانُ: مَخْصُوْصٌ وَكُوْنِيَّ. النَّحْوُ الْمَخْصُوْصُ² نَظَرِيَّةٌ فِي لُغَةٍ مَخْصُوْصَةٍ تَصِفُ مَا بِهِ يَكُونُ الْاِقْتِرَانُ بَيْنَ تُمَثِيْلٍ ذَهْنِيٍّ وَعِبَارَةٍ لُغَوِيَّةٍ وَيَكُونُ بِهِ تَحْدِيْدُ الشَّكْلِ وَالْمَعْنَى. وَالنَّحْوُ الْكُوْنِيَّ نَظَرِيَّةٌ فِي الْمَبَادِئِ الثَّابِتَةِ الَّتِي تَحْكُمُ الْمَلِكَةَ اللَّغُوِيَّةَ الْبَشَرِيَّةَ وَفِي بَرَامِطَرَاتِ التَّغْيَرِ الْمَقْتَرَنَةِ بِتِلْكَ الْمَبَادِئِ. وَالنَّحْوُ الْكُوْنِيَّ هُوَ الْمَلِكَةُ اللَّغُوِيَّةُ (شُوْمَسْكِي 1988، 61) غَايَتُهُ تَحْدِيْدُ الْمَبَادِئِ الَّتِي تَقْوُدُ اشْتِغَالَ تِلْكَ الْمَلِكَةِ. فَهُوَ رَصْدٌ لِلْحَالِ الْبَدِئِيِّ فِي الْمَلِكَةِ اللَّغَوِيَّةِ قَبْلَ تَعَرُّضِهَا لِأَيِّ مِنَ الْمَعْطِيَّاتِ وَالتَّجَرُّبَةِ. أَمَّا النَّحْوُ الْمَخْصُوْصُ فَيُرْصَدُ حَالًا لِلْمَلِكَةِ اللَّغَوِيَّةِ بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضَتْ لِلْمَعْطِيَّاتِ اللَّغَوِيَّةِ فِي التَّجَرُّبَةِ الْجَمَاعِيَّةِ.

Universal Grammar (UG). 1

Particular grammar. 2

ويتضمن النحو الكوني جملة من المبادئ تطرّد ولا تعرف الشذوذ لأنّها تمثل الملكة اللّغويّة في ذاتها (شومسكي 1988، 62)، وهي إطار لكلّ لغة مخصوصة وأساس لعملية الاكتساب. أمّا اللّغات المخصوصة فتختلف وتباين. يعود ذلك الاختلاف إلى عدد من البرامترات التي تتحقّق بها المبادئ في تفاعلها مع المعطيات في التجربة التي يتعرّض لها الطّفل في طور الاكتساب، وهذه المعطيات تحدّد جملة من الخيارات المتنوّعة لا تشملها مبادئ النحو الكوني. ويشبه شومسكي (1988، 62) الملكة اللّغويّة بآلة معقّدة تشغل بأزرار تصفّف على شاكلة ما، لهذه الآلة حالان: حال سكون لا تصفّف للأزرار فيه هو حال الملكة اللّغويّة مطلقاً حيث تتحدّد المبادئ الكونيّة، وحال اشتغال تُصفّف فيه الأزرار بوجه من الوجوه فيشتغل النظام في ضوء ما جعل له وفي ضوء ما صفّفت عليه أزواره، هو حال البرامترات التي تشتغل بها الملكة اللّغويّة في تحقّقاتها المختلفة. وتولّي المعطيات اللّغويّة التي يتعرّض لها الطّفل تحديد التّصفيف الذي يكون لتلك الأزرار أي تحديد قيم البرامترات، فيكتسب الطّفل لغة مخصوصة بنحوها الذي يمثّل نظام الاقتران فيها بين البنية والمعنى. وفي ضوء البرامترات يمكن للّغات المتباعدة تاريخياً أن تتشابه إذا ما حدث أن اشتغلت فيها نفس البرامترات ويمكن للّغات المتقاربة أن تتباعد إذا ما اشتغلت فيها برامترات مختلفة، أو للّهجات المتفرّعة عن أصل واحد أن تتباين أو تتشابه إذا ما اشتغلت فيها أو في بعضها برامترات واحدة أو مختلفة.

وفي هذا الإطار نشأت في التّوليدية ثنائيّة المبادئ والبرامترات¹ أساساً للمقاربات اللّسانية. والغاية منها -عند شومسكي (1995، 25)- العود بالخصائص اللّغويّة إلى قسمين: الثّابت في اللّغات² والمخصوص في اللّغات³. يتضمّن الثّابت المبادئ بما فيها البرامترات بوجه يكون فيه كلّ برامتر مقترناً بمبدئ من مبادئ النحو الكوني ويتضمّن المخصوص القيم المخصوصة للبرامترات.

المبادئ والبرامترات

إذا أمكن لأيّ إنسان أن يكتسب أيّ لغة شريطة أن يتعرّض لواحدة من اللّغات تعرّضاً كافياً كمّاً ومدّة، فهو مجهّز سلفاً أي وراثياً بأدوات الاكتساب وهي

-
- | | |
|--------------------------------|---|
| Principles & Parameters (P&P). | 1 |
| Language-invariant. | 2 |
| Language-particular. | 3 |

التَّحَوُّ الكَوْنِيّ مَنْ حَيْثُ هُوَ جِهَازٌ سَابِقٌ عَنْ كُلِّ تَجَرِبَةٍ لُغَوِيَّةٍ قَوَامُهُ عَدَدٌ مِنَ الْمَبَادِئِ، هِيَ مَبَادِئُ التَّحَوُّ الكَوْنِيّ. وَيُفْتَرَضُ فِي التَّوْلِيدِيَّةِ أَنَّ الْمَبَادِئَ الكَوْنِيَّةَ هِيَ مَا يَجْعَلُ عَمَلِيَّةَ الْاِكْتِسَابِ سَهْلَةً يَسِيرَةً عِنْدَ الطِّفْلِ كَمَا تَتَفَاضَلُ التَّنْظِيرَاتُ اللَّسَانِيَّةُ بِكَفَائَتِهَا فِي إِقَامَةِ نَظَرِيَّةٍ تَفَسِّرُ الْاِكْتِسَابَ عَلَى أَسَاسِ الْمَبَادِئِ الكَوْنِيَّةِ.

وَبِاخْتِلَافِ التَّجَارِبِ يَكُونُ الْاِخْتِلَافُ فِي الْاِكْتِسَابِ، فَعَلَى الطِّفْلِ أَنْ يَكْتَسِبَ كُلَّ مَا هُوَ خُصُوصِيٌّ فِي لُغَةِ أَهْلِهِ. فَالْمَبَادِئُ الكَوْنِيَّةُ تَمَكِّنُهُ مِنَ الْاِكْتِسَابِ مُطْلَقًا وَالْبَرَامَتَرَاتُ تَمَكِّنُهُ مِنَ اِكْتِسَابِ لُغَتِهِ بِخُصُوصِيَّاتِهَا الْمُتَّصِلَةِ بِالْمَعْجَمِ فِيهَا وَبِبَعْضِ الْقَوَاعِدِ الْجَارِيَةِ فِيهَا دُونَ سَائِرِهَا. وَفِي ضَوْءِ هَذَا يَكُونُ فِي الْمَلَكَةِ اللَّغَوِيَّةِ مَسْتَوِيَانِ: كَوْنِيٌّ مُحْكَمٌ بِالْمَبَادِئِ تَتَّفَقُ فِيهِ جَمِيعُ اللَّغَاتِ وَخُصُوصِيٌّ مُحْكَمٌ بِالْبَرَامَتَرَاتِ تَخْتَلِفُ فِيهِ اللَّغَاتُ. وَمِنْ غَايَاتِ التَّنْظِيرَةِ اللَّسَانِيَّةِ الْكَشْفُ عَنْ تِلْكَ الْمَبَادِئِ وَالْبَرَامَتَرَاتِ. وَيُمْكِنُ - مِنْ زَاوِيَةِ إِجْرَائِيَّةٍ - اِعْتِبَارُ مَا اطَّرَدَ مِنَ الظُّوَاهِرِ فِي اللَّغَاتِ مَبْدَأًا كَوْنِيًّا وَمَا كَانَ خُصُوصِيًّا بِرَامَتَرَاتٍ تَتَحَقَّقُ بِهِ تِلْكَ الْمَبَادِئُ فِي تَجَرِبَةٍ لُغَوِيَّةٍ بَعِينِهَا.

وَمِنْ نَمَازِجِ الْمَبَادِئِ وَالْبَرَامَتَرَاتِ مَبْدَأُ الرَّأْسِيَّةِ وَبَرَامَتَرُ مَوْقِعِ الرَّأْسِ¹، وَهُوَ ذُو صِلَةٍ بِتَرْتِيبِ الْكَلِمِ فِي اللَّغَاتِ. فَالْمَبْدَأُ الكَوْنِيّ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ مَرْكَبٍ رَأْسٌ وَمَتَمِّمٌ:

(مَرْكَبٌ (رَأْسٌ، مَتَمِّمٌ))

حَيْثُ يَعْنِي الْفَاصِلُ عَدَمَ التَّرْتِيبِ. وَفِي جَمِيعِ اللَّغَاتِ يَكُونُ لِكُلِّ مَرْكَبٍ رَأْسٌ يَحْدَدُ نَوْعَهُ كَامِلًا فَلَنَا فِي الْعَرَبِيَّةِ مِثْلًا الْمَرْكَبِ الْاِسْمِيِّ ذُو الرَّأْسِ الْاِسْمِيِّ وَالْمَرْكَبِ الْحَرْفِيِّ بِرَأْسٍ حَرْفِيٍّ وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

فَفِي قَوْلِنَا "سَيَّارَاتُ السَّبَاقِ" تَمَثَّلُ "سَيَّارَاتُ" رَأْسُ الْمَرْكَبِ تَسْمُهُ بِالْاِسْمِيَّةِ إِذْ كَانَتْ اِسْمًا وَبِالْجَمْعِيَّةِ إِذْ كَانَتْ جَمْعًا فَالْتَّعَدُّ مُتَعَلِّقٌ بِالسَّيَّارَةِ وَلَيْسَ بِالسَّبَاقِ، وَيَسَمَّى كَذَلِكَ مَوْقِعَ الْمَرْكَبِ كَامِلًا رَفْعًا أَوْ نَصْبًا أَوْ جَرًّا مِنْ حَيْثُ كَانَتْ الْعَرَبِيَّةُ مِمَّا يَتَحَقَّقُ فِيهِ الْإِعْرَابُ تَحَقُّقًا صَرَفِيًّا ظَاهِرًا. وَفِي قَوْلِنَا "فِي سَيَّارَاتِ السَّبَاقِ" يَكُونُ الْحَرْفُ رَأْسًا وَالْمَرْكَبُ الْإِضَافِيُّ مَتَمِّمًا، وَكَذَا الْمَرْكَبُ الْاِسْمِيُّ مِنَ الْمَوْصُوفِ وَالصِّفَةُ "الْفَرَسُ الْأَبْيَضُ الصَّغِيرُ".

وَالْمَهْمُ أَنْ جَمِيعَ اللَّغَاتِ تَقُومُ فِيهَا الْمَرْكَبَاتُ عَلَى رَأْسٍ وَمَتَمِّمٍ، وَهَذَا حَالُ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِنْجِلِيزِيَّةِ وَغَيْرِهَا. وَلَكِنْ بَيْنَ هَذِهِ اللَّغَاتِ اِخْتِلَافًا عَلَى دَرَجَاتٍ: فَهِيَ

متَّفقة في المبدأ حيث لكلّ مركّب رأس ولكنّ موقعه قد يكون قبل المتّمّ وقد يكون بعده أو متوسّطاً. قارن في ما يلي 'الفرس الأبيض الصّغير' حيث الرّأس أوّل والمتّمّ بعده وما يقابله في الفرنسيّة حيث يتوسّط الرّأس فيكون واحد من متّمّيه قبله والآخر بعده وما يقابله في الإنجليزيّة حيث يرد الرّأس آخراً بعد متّمّيه:

racing cars	les voitures de course	سيّارات السّباق
in the racing cars	dans les voitures de course	في سيّارات السّباق
the little white horse	le petit cheval blanc	المهر الأبيض الصّغير

فاللّغات الثلاث متَّفقة في مبدأ كونيّ قوامه (رأس، متّمّ) وهذا مبدأ من التّحو الكونيّ جزء من الملكة الفطريّة يستوي فيه الأطفال العربيّ والفرنسيّ والإنجليزيّ، ولكنّ العربيّة تحقّق ذلك المبدأ بالحفاظ على الرّأس أوّلاً¹ في جميع الأحوال (على الأقلّ في السّمادج المعروضة)، أمّا الإنجليزيّة فتجعل الرّأس آخراً² وأمّا الفرنسيّة فتجعل الرّأس وسطاً، وإنّ أمكن العود به إلى واحد منهما بتتبّع قسمة المركّب إلى رأس ومتّمّ وفق مبدأ الثنائيّة³. وهذه برامترات يتنوّع في ضوئها تحقّق المبدأ. فعلى الطّفل أن يهتدي إلى ذلك فيتعلّم قاعدة مخصوصة بلغة مخصوصة قوامها قيود مخصوصة. ويمكن توسيع هذا للنظر في الكثير ممّا تنوّع به المبادئ حسب برامترات من قبيل ترتيب عناصر الجملة في الإثبات والاستفهام والأمر وظواهر اشتقاق الكلم وتركيبها وما إلى ذلك. وخلاصة الأمر أنّ التّحو الكونيّ يتضمّن من حيث هو ملكة لغويّة فطريّة نظاماً ثابتاً من المبادئ الكونيّة ومجموعة محدودة من البرامترات التّحويّة تفرض قيوداً على التّنوع البنيويّ في ما بين اللّغات.

التّحو الذّهنيّ

يسعى شومسكي إلى تحديد العوامل الكامنة وراء إمكانيّات التعبير المتناهية (اللاّحدودة) في اللّغة: فكلّ شخص ينتج ما لا نهاية له من الجمل ويفهمها وإن لم يسمعها من قبل في حياته. فهو يستبطن طريقة في التّوليف بين عدد محدود من

Head-first. 1

Head-last. 2

Binarity, binary branching. 3

العناصر المحفوظة في الذاكرة. تلك هي الملكة اللغوية¹. والملكة قسمان محفوظان في الذهن هما المعجم الذهني والنحو الذهني، فالأول منهما عدد من الوحدات والثاني عدد محدود من مبادئ التوليف تمثل النظام الحوسبي. ومما يُطرح في هذا المستوى من المباحث: كيف تترابط المبادئ المعجمية بالمبادئ غير المعجمية العاملة في الأبنية الصرفية والجملية؟ وماهي العلاقة بين النحو الذهني والمعالجة؟ وماهي العلاقة بين النحو الذهني والدماغ؟

هناك ثلاثة مواقف في تناول العلاقة بين النحو الذهني - من حيث هو شيء حاصل في الدماغ على المدى البعيد- وعمليات المعالجة في إدراك الخطاب وإنتاجه: أولها، وهو أضعفها، يقوم على أن لا وجود لعلاقة ضرورية بين مبادئ التوليف المشغلة للنحو الذهني ومبادئ المعالجة، وفي هذا التصور يكون النحو وصفا شكلياً لجملة الظواهر المتواترة في الاستعمال اللغوي، وتكون المعالجة من طبيعة أخرى، ومن تبعات هذا الموقف أن اللسانيات شيء وعلم النفس اللغوي شيء آخر.

وثانيها يقوم على أن قواعد النحو الذهني مخزنة في الذاكرة ونظام المعالجة اللغوية يعتمدها خلال معالجة الجملة، فيكون النحو الذهني، تبعاً لهذا التصور، مكوناً إثباتياً² بالمفهوم الحاسوبي.

وثالثها أن قواعد النحو الذهني يتضمنها نظام المعالجة، فهي جزء منه، وتمثل هذه القواعد تعاليم³ تقود بناء الجمل وفهمها، وهذا يوافق الذاكرة التراتبية⁴ في علم الحاسوب.

ولعل المفاضلة بين المواقف الثلاثة لا تغني شيئاً، فالمهم أن نظرية الإنجاز من واجبها أن تميز بين البنية اللغوية المخزنة في الذاكرة طويلة المدى والأبنية الحادثة أثناء اشتغال الذاكرة.

وأما في علاقة النحو بالدماغ، فتثار قضايا من قبيل آخر تتصل بما سبق وتختلف عنها. فالمعرفة باللغة وباستعمالها حاصلة في الدماغ بوجه ما. وتعتمد هذه المسئلة على طبيعة الموقف الذي يكون من علاقة النحو الذهني بالمعالجة إذ الدماغ

Language faculty. 1

Declarative. 2

Instruction(s). 3

Procedural memory. 4

هو أداة تلك المعالجة، وإذا كان الدماغ أداة المعالجة كان من الضروري أن تفيد اللسانيات من علوم الأعصاب. ويمكن لهذه الحجة أن تنعكس بناء على اعتبار دراسة العاهات اللغوية (الأفازيا مثلاً) مفيدة في الدرس اللغوي إذ يتضمن ذلك تسليمًا ضمنيًا - والرأي لجاكندوف (1997، 9) - بحلول النحو في البنية العصبية. ولكن هل يمكن التوسل بناء على ذلك بوسائل شكلية لتفسير اللغة باعتماد الخلايا العصبية؟

يذهب الكثير من الدارسين (سورل 1992، إدلن 1992 وغيرهما) إلى أن المقاربات الشكلية والحاسوبية لوظائف الدماغ غير مفيدة، وإلى أن الأساس الصحيح لأي نظرية يجب أن يكون بنية الخلايا العصبية. ولكن البحوث العصبية ما تزال الآن بعيدة نسبيًا عن الإحاطة بالظاهرة إذ لم تُثبت بعد حلول النحو الذهني في البنية العصبية.

وباعتماد الدراسات في العاهات الدماغية وتقنيات التصوير الدماغية تيسر معرفة بعض المواقع في الدماغ من حيث امتدادها ووظائفها، ولكن باستثناء بعض المناطق الدنيا المحدودة لا يُعرف بالتحديد كيف تؤدي سائر المناطق وظائفها. ويُعرف كيف تؤثر بعض الموصلات العصبية عند تعطّلها على اشتغال الدماغ عامة كما هو الحال في مرض باركنسون أو في التوبة العصبية، ولكن ذلك لا يكشف عن وظائف الدماغ الجزئية الدقيقة ولا يُطلع على ما به يخزن الدماغ الكلمات المفردة ويستحضرها. كما يُعرف الكثير عن الخلايا العصبية المفردة أو المركبات منها من حيث اشتغالها ولكن لا يكاد يُعرف شيء عما به تُركّب تلك الخلايا العصبية الكلمات بما في ذلك شكلها الصوتي وإن كان من اليقين أنها تفعل ذلك بوجه من الوجوه.

فإذا كانت اللغة ملكة ذهنية مخصصة، يكون من المفروض أن تختلف عن سائر الملكات العرفية. وهذا الافتراض نتيجه عزل اللسانيات عن علم النفس العرفي، وهذا الافتراض - كما يذهب إلى ذلك جاكندوف مثلاً (1997، 10) - لا ينفي كون اللغة ملكة ذهنية ناشئة عن طريق التخصص: تخصص بعض الميكانيزمات العصبية الدماغية السابقة في الوجود بما تؤديه من وظائف. وهذا بالتحديد أساس الهندسة التطورية¹.

من ذلك أن عددا من الظواهر الذهنية كانتظام حقل الإبصار والموسيقى والتحكم الحركي، يقوم الواحد منها على علاقة الجزء بالكل أي تركب الكل من الأجزاء في شكل سلمٍ تراتبي. وكذا اللغة. ولئن ذهب بعض الفرضيات إلى كون اللغة مشتقة من وظائف أخرى أو هي مبنية بناء استعاريا من واحدة من الملكات العرفية (كالفين 1990، كوربلس 1991) فإن اللغة ناشئة من اختصاص بعض الأجزاء من الدماغ بوظائف متطورة من أصل واحد مشترك.

اللغة عضوا ذهنيا

يمثل الذهن -عند شومسكي (1979، 83)- تماما مثل الجسم، نظاما من الأعضاء يمكن تسميتها بالأعضاء الذهنية¹ قياسا على الجسم. وهي أعضاء منتظمة وفق برنامج جيني يحدد وظائفها وأبنيتها ونموها، وذلك في ضوء ما يكون لها من تفاعل مع البيئة. والذهن نظام معقد من الملكات المتفاعلة يتكوّن من أعضاء ذهنية²، ويتواتر في كتابات شومسكي استعمال ثنائية ذهن/دماغ² إشارة منه - في اعتقادنا- إلى عضوية الذهن وذهنية الدماغ، فالدماغ عضو فيزيائي لا شك فيه ووظيفته نظام رمزي كامل هو الذهن.

ومن حجج المنتصرين لتصور شومسكي الذهن نظاما من الأعضاء واللغة عضوا منها، كون القلب والدماغ والكبد مثلا أعضاء متباينة في وظائفها وفي أبنيتها المخصصة ولكنها جميعا عائدة إلى خلايا لها نفس الوظائف الاستقلابية وجميعها ينمو حسب مخططات وقيود وراثية واحدة. فعلم الحياة يدرسها جميعا من حيث خصوصياتها في مستوى العضو الواحد ومن حيث المشترك بينها في المستوى الخلوي منها والاستقلالي والتطوري. ويصح الأمر نفسه على الأعضاء الذهنية، فاللغة والإبصار والتحكم الحركي متميزة بوظائفها وفي العديد من الأحوال بمواقعها في الدماغ، ولكل منها خصائصه الذاتية، فاللغة متفردة بالقطع الصوتية وبالأسماء تفرّد الإبصار بالألوان، ولكن جميعها يحلّ في خلايا عصبية لها نفس البنية والتخطيط، تطوّرت في اتجاه التخصص الوظيفي من أساس خلوي جيني مشترك لا تخصص فيه. وهذا الأمر يمثل سبيلا إلى وجوب البحث عن

Mental organ(s). 1

Mind/brain. 2

قيود الاكتساب والتعلم والسلوك بصفة عامة في المستوى الخلوي (جاكندوف 1997، 8-11).

وفرضية النحو الكوني أساس لإقامة نظرية نفسية بيولوجية موحدة، وإذ يكون ذلك يكون من المعقول تقليص المسافة الفاصلة بين الأساس غير اللغوي (الخالى من اللغة) وما آل إليه التطور باستحداث اللغة في الدماغ. وهي المسافة التي قطعها التطور. وقد تبين من خلال ظاهرة الاكتساب اللغوي بما يتضمنه من مظاهر نحوية ونفسية ونموية وما يوازيها من تفرعات عصبية أن التطور في اتجاه اللغة لا يكون بتوسيع الدماغ البدائي - خلافا لما يذهب إليه (قود 1980) وإنما بحصول وظائف حادثة تؤدّيها أبنية ليس لها ذلك في الأصل.

الأدنى

سمّيت مرحلة 1993-1995 وما بعدها بالأدنى لقيامها على توجه عملي ونظري في التوليدية قوامه الاقتصاد عامة والاكتفاء بالأدنى الضروري خاصة. يكون ذلك في عمليات التمثيل بمستوياتها وفي عمليات الاشتقاق بمراحلها وأطوالها. فكان التوجه العام إلى اختصارها بشكل يضمن النجاعة والإلمام في حدود دنيا وبأقل ما يكون من وسائل التمثيل والعناصر. وهذا التوجه فيه طعم 'المجهود الأدنى' إذ يسعى إلى التخلي عن كل العناصر الزائدة¹ في التمثيلات وفي عمليات الاشتقاق (شومسكي 1995، 130). وهذا ما يعبر عنه في بعض الدراسات اللاحقة على ظهور 'البرنامج' بجعل الجهاز على أبسط ما يكون أي جعل الأنحاء على أقصى درجات البساطة الممكنة، فاللغة نظام على غاية من الكمال ذو هندسة من أفضل ما يكون (شومسكي 1998، 1999، 2001، 2002).

ويجعل شومسكي نظم الملكة اللغوية قسمين: الأول منهما نظام عرفي يحفظ المعلومات ويخزنها والثاني عدد من نظم الإنجاز، تعود هذه النظم إلى المعلومات المحفوظة في النظام العرفي وتستخدمها بوجوه متنوعة، وهي مخصصة في قسم منها باللغة ولذلك فهي جزء من الملكة اللغوية.

وبين النظام العرفي ونظم الإنجاز تفاعل بواسطة عدد من المستويات التمثيلية اللغوية:

1 'least effort', 'superfluous elements'.

يستفاعل النظام العرفي مع نظامين فيكون له معهما تصافحان¹، أولهما النظام النطقي-الإدراكي² وهو ما تتحوّل به التمثيلات الصوتية إلى أصوات أو العكس. وثانيهما النظام المفهومي-القصدي³ يكون فيه تأويل الأبنية إلى مفاهيم أو العكس. ولذلك يتضمّن جهاز التحوّلين من التصافح أولهما الشكل الصوتي في مستوى التصافح النطقي-الإدراكي والثاني الشكل المنطقي في مستوى التصافح المفهومي-القصدي. ويتضمّن النظام العرفي في كلّ لغة نظاما حوسيباً⁴ ومعجماً⁵. والتصافح مستوى أو علاقة بين مكونين يكون بموجبها تأويل عنصر أو عناصر من المكوّن الواحد إلى عنصر أو عناصر من المكوّن الآخر. ويمثّل التصافح واحداً من أبرز الأدوات التمثيلية التي تقوم عليها هندسة التحوّل (اللغة) في البرنامج الأدنوي.

وتوفّر الأوصاف البنيوية (التحوّل) كلّ المعلومات المتعلقة بخصائص كلّ واحدة من العبارات اللغوية من حيث الصوت والمعنى. وتلك المعلومات هي ما تتولّى نظم الإنجاز تأويله وذلك بتحقيقها صوتاً أو إعراباً أو دلالة. وتتضمّن هندسة التحوّل (اللغة) عدداً من النظم الرمزية هي عبارة عن مستويات تمثيلية بما فيها مستوى الشكل الصوتي ومستوى الشكل المنطقي، وهما يعيّنان الخصائص الصوتية والخصائص الدلالية تبعاً، وذلك كما كانا محدّدين في اللغة. ويوجد مستوى آخر هو مستوى البنية العميقة⁶ يربط بين النظام الحوسبي والمعجم.

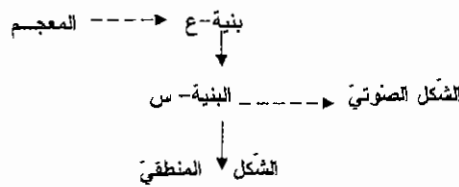
ويجب أن تتوفّر ثلاثة شروط في مستوى الشكل الصوتي من زاوية الكفاءة⁷: يجب أن يكون كونيّاً من حيث يكون قابلاً لأن يعرض التمثيل الصوتي لكلّ عبارة لغوية ممكنة في اللغات الطبيعية ما وجد منها وما أمكن وجوده. ويجب أن يكون تصافحاً بمعنى أن يكون لعناصره تأويل في النظم الحسية-الحركية، أي يمكن تحويل تلك الخصائص إلى صوت منطوق بفعل نطقي عضليّ.

Interface(s).	1
Articulatory-perceptual system.	2
Conceptual-intentional system.	3
Computational system.	4
Lexicon.	5
D-structure.	6
Adequacy.	7

ويجب أن يكون شاملاً. بمعنى أن ذلك التأويل الحسيّ-الحركيّ شامل لجميع اللّغات بوجه يكون فيه الإمام بجميع الخصائص الصوتيّة في النظام اللّغويّ دون غيرها.

وتصحّ الشّروط نفسها في شأن الشّكل المنطقيّ إذ من الواجب أن يلمّ بكلّ ما يتعلّق بمعنى العبارة في جميع اللّغات، ومن الواجب أن يكون كونياً من حيث يكون لكلّ فكرة تقبل أن تجري في عبارة لغويّة، فيه تمثيل لها، ومن الواجب أن يكون تصافحاً من حيث يكون لمضمونه تأويل في جميع التّظم المكوّنة للذهن/الدماغ والتي يكون لها دور في التّفكير والإحالة والتّخطيط وما إلى ذلك. ومن الواجب أن يكون شاملاً من حيث يكون فيه التأويل الدلاليّ واحداً في جميع اللّغات تماماً مثل الشّكل الصّوتيّ.

وفي ضوء هذا التّصور يكون في كلّ نحو ثلاثة مستويات من التّصافح: تصافحان خارجيّان في مستوى التّمثيل الصّوتيّ ومستوى التّمثيل المنطقيّ، وتصافح داخليّ في مستوى البنية العميقة. وفي هذه المستويات يجري تحليل العناصر إلى أدقّ الدّرجات وهي السّمات¹ الصّوتيّة² والانتقائيّة³ والمقوليّة⁴ وما إليها، وفي كلّ تصافح يكون التأويل تامّاً⁵:



المعجم الأدنويّ

تتكوّن اللّغة في التّصور الأدنويّ من مكوّنين: معجم ونظام حوسبيّ. يوفرّ المعجم الوحدات التي تدخل النّظام الحوسبيّ، والنّظام الحوسبيّ يستعملها لتوليد العبارات. فالعبارة الواحدة إنّما هي عمليّة اشتقاق تتضمّن اختياراً لوحدات

Feature(s).	1
Phonological.	2
Selectional.	3
Categorical.	4
Full interpretation (FI).	5

معجمية وحوسبة تبني أزواجاً في مستوى تمثيلات التصافح (شومسكي 1995، 168-169)، منها أزواج صوت/معنى مثلاً في مستوى تصافح الشكل المنطقي والشكل الصوتي.

ويحدّد المعجم العناصر التي ينتقيها النظام الحوسبي ويديرها في تكوين العبارات اللغوية. والعناصر المعجمية عبارة عن تزاوجات بين الشكل الصوتي¹ (ش ص) والشكل المنطقي² (ش م) مختصرها: تزاوجات ش ص- ش م³.

ويقدم المعجم من المعلومات ما يحتاج إليه النظام الحوسبي بأفقر ما يكون أي دون إطناب وفي أفضل صياغة أو تشفير⁴. معنى ذلك أنّ كل وحدة معجمية (أو مدخل معجمي) تحمل أقل ما يكفي من الخصائص اللغوية التي بها تندرج في علاقة بسائر الكلمات في الجملة عند التركيب. كأن يقترن بالوحدة 'شرب' عدد من الخصائص منها كونها من مقولة الفعل ويقود هذا إدراجها في البنية الإعرابية في موضع الأفعال مسندة إلى عنصر معجمي آخر يكون من مقولة الأسماء، ومنها دلالتها على الحركة المعلومة مجردة من كل تفصيل كتناول شيء سائل بالفم، ومنها ما يتصل بذلك تنتقي به عدداً من العناصر يكون بعضها مشروباً ومن سماته الضرورية أن يكون سائلاً ويكون بعضها شارباً أي حياً ذا عضو أو أعضاء يكون بها تناول السائل. ومن جملة ما يقترن كذلك بهذه الوحدة 'شرب' دلالتها على الامتصاص مطلقاً فيكون محدثها من غير الأحياء من التراب أو القماش والمشروب من السوائل دائماً، كما يقترن بها دلالتها على الحفظ أو الفهم فيكون الحدث عاقلاً إنساناً والمشروب ممّا يحفظ أو يفهم كالشعر أو الدّروس وغيرها.

وعناصر المعجم قسمان: مقولات ملبئة⁵ أي ذات مضمون دلاليّ تضمّ الاسم والفعل (والصفة في الإنجليزية) إذ الصفات جزء من الاسم في العربية، ومقولات وظيفية⁶ تضمّ الحروف.

Phonological form (PF). 1

Logical form (LF). 2

PF-LF pairings. 3

Optimal coding. 4

Substantive categories. 5

Functional categories. 6

وكلّ متكلم بلغة ما يملك معرفة بكلّ المعلومات الدّقيقة المفصّلة عن الكلمات فيها، وعلى كلّ نظريّة لسانيّة أن تعكس تلك المعرفة وتمثّل لها، وإذ يكون ذلك وجب أن تتضمّن نوعاً من المعجم. وللمعجم عند شومسكي (1995، 235) تصوّر تقليديّ يتحدّد فيه بكونه قائمة من الشّواذ¹ - والعبارة له - أي كلّ ما لا يمكن أن يتولّد وفق مبادئ كونيّة عامّة. ولا يعني ذلك - كما هو منتشر عند الكثير - أنّ المعجم ثانويّ هامشيّ وإنّما هو ممّا لا يمكن ضبطه أو التنبؤ به في ضوء قواعد أو مبادئ مضبوطة في إطار النّحو الكونيّ.

وهذه المبادئ نوعان: مبادئ تمّ النّحو الكونيّ ومبادئ تمّ اللّغة المخصوصة تحكم المظاهر الصّوتيّة والصّرفيّة وعمليات الخيارات من إمكانيّات برامتيّة وكلّ ما يندرج في تنوّع اللّغات. فالمعجم يوفرّ أفضل تشفير لهذه الخصوصيّات اللّغويّة الفرديّة²، فكلّمة 'كتاب' في العربيّة-مثلاً- تمثّل أفضل تشفير للمعلومات التي تكفي لبناء تمثيل في الشّكل المنطقيّ وتسمح للمكوّن الصّوتيّ ببناء تمثيل للشّكل الصّوتيّ، ومن تلك الخصائص الفرديّة أنّ جمعها على 'كُتب' وتصغيرها على 'كتيّب' وما إلى ذلك. وفي ضوء هذا يكون المعجم خزّاناً³ (أو رصيذاً) من الخصائص الفرديّة المتعلّقة بالوحدات المعجميّة المخصوصة، ومدار هذه الخصائص تحديد الشّكل الصّوتيّ وتحديد المقولة الإعرابيّة وتحديد الخصائص الدّلاليّة.

ومن أبرز القضايا في هذا الشّأن ما يتعلّق بالرّؤوس المعجميّة (الأفعال والأسماء والصّفات والحروف) من حيث الانتقاء الدّلاليّ⁴ والخصائص المحوريّة⁵ التي تحدّد بنية الموضوعات التي يميّزها⁶ الرّأس، كما تحدّد الدّور المخصوص الذي يحمله كلّ واحد منها.

ويرى شومسكي أنّ الرّبط بين الأدوار والموضوعات عمليّة يسهل التّكهّن بها ولذلك ليس من الضّروريّ التّنصيب عليها جميعاً في المداخل المعجميّة المخصوصة ضمّاناً للاقتصاد في النّظريّة وفي التّمثيل. فكلّ فعل لا يملك دوراً

-
- | | |
|----------------------|---|
| Exception(s). | 1 |
| Idiosyncratic. | 2 |
| Repository. | 3 |
| Semantic selection. | 4 |
| Thematic properties. | 5 |
| License. | 6 |

يسنده إلى مفعول لا يكون له مفعول بكلّ بساطة، وكلّ فعل يملك عددا من الأدوار الدلالية يرد وجوبا في بنية تستجيب لذلك. فالانتقاء الدلاليّ في هذا التّصوّر محكوم بالأدوار المحوريّة لأنّ السّمات الدلاليّة في موضوع ما، يجب أن توافق الدّور المحوريّ¹.

وتثار في شأن المعرفة المعجميّة قضية هامّة تتّصل بما به يكون اكتسابها، وفي ذلك فرضيتان: فرضيّة بيستسكي² (1982) وفرضيّة قرمشاو³ (1981):

يذهب بيستسكي إلى أنّ الأوّلّيات المحوريّة (مُحدث، متحمّل، هدف...) ذات أولويّة إستيميّة إذا ما قورنت بالأوّلّيات المقوليّة (اسم، فعل، صفة، حرف) فيكون الانتقاء المقوليّ -تبعاً لذلك- ناتجاً عن الانتقاء الدلاليّ تماماً كما ينتج التّفريع المقوليّ عن الخصائص الدلاليّة. فمكتسب اللّغة ينطلق من الخصائص الدلاليّة ليقوم تحليلاً أوّلّياً للبنية اللّغويّة:

خصائص دلاليّة < تفريع مقوليّ

انتقاء دلاليّ < انتقاء مقوليّ

أمّا فرضيّة قرمشاو فمدارها أنّ اكتساب المقولة الإعرابيّة التي تكون لوحدة معجميّة ما يقوم جزئيّاً على التّحقّق البنيويّ القياسي⁴. والتّحقّق البنيويّ القياسيّ لما دلّ على الأشياء هو الاسم ولما دلّ على الأحداث هو الفعل، إلخ. يحصل ذلك جزءاً من المعرفة المعجميّة بمحصول الخصائص الدلاليّة.

ويرى شومسكي (1995، 32) أنّ قد يستقيم - نظريّاً - كون الأوّلّيات المحوريّة ذات أولويّة إستيميّة، لكن لا أحد يقدر على إثبات ذلك إجرائيّاً. فإذا ما افترضنا أنّ الطّفل يملك في المنطلق مفهوم المحدث أوّلّيّة محوريّة مثلاً، هل يكون من الممكن أن نتصوّر أنّه يتوصّل بناء على ذلك إلى تحديد الفاعل في الجملة من حيث حدوده - مركّباً اسميّاً - ومن حيث موقعه فيها؟ ثمّ إنّ الطّفل يتعامل مع جمل كاملة في طور الاكتساب وليس مع أفعال مخصوصة معزولة، فالجمل هذه تعرض أفعالا ذات انتقاء دلاليّ ومقوليّ في آن جارية في سياقات ومقامات حقيقيّة. فالمظهران الدلاليّ المحوريّ والمقوليّ يتظافران في بناء المعرفة باللّغة، ووسائل حصول هذه

Thematic role(s). 1

Pesetsky, D. 2

Grimshaw, J. 3

Canonical structural realization. 4

المعرفة (المعجمية) لا يمكن أن تنعكس بصورة واحدة من خلال الشكل الذي يكون لها عند اكتمالها ونضعها.

النظام الحوسبي

يثبت شومسكي (1995، 7) توفر نظام حوسبي¹ واحد في اللغات الطبيعية وقدر محدود من التنوع المعجمي والتنوع اللغوي صري بالأساس. ويتضمن النظام الحوسبي أربعة مستويات تمثيلية هي مستويات الاشتقاق في بناء العبارة اللغوية. ويبني النظام الحوسبي للغة البشرية من الوحدات المعجمية أبنية إعرابية من خلال عمليتين أساسيتين هما الانتقاء² والصهر³:

الانتقاء عملية يجري بمقتضاها اختيار وحدة معجمية وإدراجها في عملية الاشتقاق. والصهر عملية تأخذ بنيتين إعرابيتين وتدمجهما في واحدة. وتتواصل عمليات المكون الحوسبي على الوحدة المعجمية إلى أن تبلغ مستوى الاقتران بين الشكل المنطقي والشكل الصوتي.

وجميع العمليات الحوسبية محكومة بشرط التضمن⁴، وهو شرط ضروري في جميع اللغات حيث كل بنية تنشئها الحوسبة تتضمن عناصر موجودة مسبقا في الوحدات المعجمية التي انتقيت ولا يضاف إليها أي عنصر جديد خلال الحوسبة ما عدا إعادة توزيع الخصائص المعجمية. وإن حدث أن حذفت وحدة معجمية فمعناه كونه غير مرئية في مستوى التصافح (شومسكي 1995، 228).

ويفترض شومسكي أن الحوسبة تجري جريانا واحدا في بناء العبارة اللغوية بمكونيها (البنية والدلالة) ثم تفرق في مستوى التأويل إلى قسمين مختلفين في التكوين. فالعناصر التي يمكن تأويلها في التصافح النطقي-الإدراكي لا يمكن تأويلها في التصافح المفهومي-القصدي. والعكس صحيح. وتنشأ في مستوى التصافح النطقي-الإدراكي عملية التهجية⁵ يتحقق بها الصوت. وللمكون الصوتي خصائص ترتبط بإنتاج الأوامر إلى النظام الحسي-الحركي لإنتاج الإدراك.

Computational system CHL	1
Selection.	2
Merge.	3
Inclusiveness condition.	4
Spell-out.	5

والخصائص المعجمية نوعان: خصائص لا تؤوّل إلا في مستوى التصافح النطقي-الإدراكيّ وهي الخصائص الصّوميّة الشّكلية، وخصائص لا تؤوّل إلا عند التصافح المفهوميّ-القصديّ وهي الخصائص المفهوميّة الدّلائية. وانفصال هذه الخصائص قوامه ما يكون في تأويلها.

ويقوم تصوّر جهاز النّحو على هذه الشّاكلة عند شومسكي (1995، 167-172، جاكندوف 1997، 11-20) على عدد أدنى من الضّرورات المفهوميّة وعلى عدد من الافتراضات. فإذا كان من الضروريّ أن تكون اللّغة مسموعة منظوقة، وجب أن يتضمّن النّحو تصافحا بين النّظام الحوسبيّ والنّظام النطقيّ-الإدراكيّ. وإذا كان من الضّروريّ أن تعبّر اللّغة عن الفكر بوجه من الوجوه، يستوجب هذا تصافحا بين النّظام الحوسبيّ والنّظام

المفهوميّ-القصديّ. وإذا قامت اللّغة على كلّ يندرج في جمل، اقتضى هذا تصافحا بين النّظام الحوسبيّ والمعجم.

ومن الافتراضات أن يشتغل النّظام الحوسبيّ على التّمثيلات فهو يأخذ تمثيلات شكل ما ثمّ يحوّلها. وهو يجري اشتقاقات عوض أن يفرض قيودا متعدّدة متزامنة. ويستدعي هذا الافتراض تصوّرين هما الاشتقاق والقيود. وهما مدخلان لا يتناقضان فبالاشتقاق تحدث الأبنية ذات البناء الجيد¹ على مراحل متتالية كلّ واحدة منها خطوة تمثّل دخلا² يكون خرجه³ شيئا ينضاف إلى سابق بالزيادة أو بالنقل أو بغيرهما وهذا بدوره دخل للخطوة الموالية. وذاك مظهر التّرتيب في اشتغال النّظام الحوسبيّ. أمّا القيود فمجموعة من الشّروط يجب أن تستجيب لها البنية ذات البناء الجيد.

ومن نماذج القيود ما يجري في ارتباط مستوى البنية العميقة (البنية-ع) رأسا بالمعجم، وهي تمثيل 'صاف' أو صرف للبنية المحوريّة (الأدوار الدّلائية) تعرض العلاقات المحوريّة بواسطة قيود تفرضها نظريّة س' في ضوء مبدأ الإسقاط. ولا تقوم قيود التّمثيلات المتعلّقة بنظريّة الرّبط ونظريّة الحالة الإعرابية والنظريّة المحوريّة، إلخ إلا في مستوى التصافح وأساس تبريرها خصائص التصافح أي وجوه تأويلها بنظم الإنجاز (شومسكي 1995، 170-171).

Well formedness. 1

Input. 2

Output. 3

ولئن كان شومسكي يميل إلى مرحليّة الاشتقاق بترتيبها فإنه يعتبر ذلك الترتيب تجريدياً، ولا يعني تتابعا زمانياً في عمليّات المعالجة في الدماغ بل هو مجرد إظهار لطبيعة الملكة اللغويّة. ويظلّ المكوّن الإعرابيّ -عند شومسكي- المكوّن التوليديّ الأساسيّ في النظام الحوسبيّ، وهو ما يطلق عليه جاكندوف (1997، 15) مركزيّة الإعراب¹، أمّا المكوّنان الصوّميّ والدلاليّ فمكوّنان تأويليّان². يعود هذا الافتراض القائم على مركزيّة الإعراب إلى تصوّر النّحو على أنّه حوار زميّة تولّد الجمل النّحويّة (المقبولة).

وقد نشأ هذا التّصوّر في عهد كان المعلّ فيه في الدّراسات العرفيّة على سلسلة من المراحل المتعاقبة المرتّبة ولكن تبين بعد ذلك أنّها تشتغل متزامنة. وهو تصوّر موافق لاشتغال الدّهن/الدماغ كما يأتي بيانه.

Syntactocentrism. 1

Interpretive. 2

نظرية الهندسة الثلاثية المتوازية

يقتضي جهاز النحو عند جاكندوف تمهيدا تُعرض فيه بعض الأسس التي قام عليها تصوّر هذا الجهاز خلفيّة نظريّة وانتماء مدرسيًا نظريًا وردودا على مواقف نظريّة، ولجاكندوف موقع مخصوص في النظرية التوليدية إذ تشبّع كثيرا وطويلا بها ولكنه ظلّ متابعا لما يجدّ في علوم الأعصاب والإدراك وما إليها من حقائق ويسعى إلى إدراجها في البحث اللسانيّ التوليديّ، وهذا ما انتهى به إلى تركيز مبدأ التوازي والتزامن في تصوّر النحو من حيث مكوناته واشتغاله، وهي أسس تخالف منطلقات توليدية كلاسيكية حافظ عليها جمهور التوليديين، ومنها مركزية الإعراب ومرحلية الاشتقاق وقضايا الإطناب¹.

ويتجلى من أعمال جاكندوف المتأخّرة (1997، 2002 مثلا) سعيه إلى شرح إشارات تضمّنها البرنامج الأدنويّ وتعميق النظر فيها يتّخذها سبيلا إلى إقامة تصوّر نظريّ يستمدّ حصانته من الخوض فيها بإثبات الانتماء إلى المؤسسة التوليدية ويثبت خصوصيته وقوّته من موارد نظرية أخرى ليستوي في نهاية المطاف قاطرة تجذب البحث التوليديّ إلى أرضية نفسية عرفية موسّعة. ولذلك نجد في كتاباته ما به يكون التّابع المخلص لشومسكي والخارج عنه في آن. فقوام نظريته عدد من الأفكار الأساسية -منطلقها التّصافح- منها توازي المكونات في النحو، ولا مركزية الإعراب إذ بتوازي المكونات تنتفي المركزية، ولا اتّجاهية المعالجة وقوام جميع ذلك التوليفية.

التوليفية

من خصائص اللّغة البشريّة التي لا تتوفّر في سائر النظم التّواصلية أنّها تسمح في آن بتكوين عدد غير محدود من الأقوال وفهمها في عدد غير محدود من الموضوعات. يعود ذلك إلى خصيصة أساسية فيها قوامها الانطلاق من عدد محدود

من العناصر يجري التّوليف بينها بوجوه غير محدودة. ذاك ما يطلق عليه جاكندوف التّوليفيّة¹، وهي عماد النّظرية التّوليدية. وإذ لا يسع الدّماغ البشريّ حفظ ذلك العدد اللّامتناهيّ وجب أن يكون فيه أدوات محدودة وطاقة على توليد اللّامحدود، فالأدوات وحدات تمثّل مادّة التّوليف هي المعجم بعناصره والطّاقة هي قواعد التّوليف متمثلة في النّحو تركيبا واشتقاقا وتوسيعا وتضمينا وإدراجا وتحويلا ونقلًا وما إلى ذلك.

لا مركزية الإعراب

يسعى جاكندوف إلى التّخلّي عن مركزية الإعراب إذ يذهب إلى أن بعض المسلمات التّوليدية عامّة وفي البرنامج الأدنويّ خاصّة (شومسكي 1995) لا يناسب طبيعة الحوسبة أو المعالجة العرفيّة وأساسها التّزامن والتّوزّع. تقوم النّظرية التّوليدية في مختلف أطوارها على اعتبار الإعراب المكوّن التّوليديّ الأساسيّ أمّا المكوّنات الآخران (الصّوميّ والدّلاليّ) فتأويليّان. وقوام هذه الرّؤية تصوّر النّحو على أنّه خوارزمية تولّد الجمل التّحويّة وذلك في زمن كانت الغلبة فيه لاشتغال الخوارزمات في الحاسوبية وكان من الوارد تصوّر النّحو على أنّه عدد من الخوارزمات تشغل بشكل تكراريّ متّبعة عددا من الخطوات المرتبة في إنتاج الجمل.

ولكن تبين منذ الثّمانينيات من القرن الماضي في الحاسوبية وما قارنها من العلوم العرفيّة أنّ الخوارزمات يمكن أن تشغل بشكل متزامن متواز، ويمكن أن تكون نموذجا مقبولا في تمثيل الاشتغال الذّهنيّ. فيكون من "المهمّ أن تلغي مركزية الإعراب من الاعتبارات المتعلّقة بالحوسبة النّاجعة، خاصّة إذا ما كان الطّموح إلى دمج اللّسانيّات في سائر العلوم العرفيّة" (جاكندوف 1997، 15).

ومن الحجج الّتي يوردها جاكندوف في نفي مركزية الإعراب، تأخّر قيام الإعراب في سلسلة التّطوّر اللّغويّ. فمن الفرضيات القائمة في هذا المجال ما يذهب إليه بيكرتن² (1990) من أنّ البشر الأوائل كانوا قادرين على اتّخاذ الأصوات رموزا بالمواضعة، هي اللّغة الأولى³ الّتي لا إعراب فيها. وكانت العلاقة الأساسيّة

Combinatorality. 1

Bickerton. 2

Protolanguage. 3

في ذلك تربط ما بين صوت أو تشكّل صوتي ومعنى بتوسّط عناصر التّداول والمقام أي ربط مباشر بين البنية الصّوتيّة والبنية الدّلاليّة بأبسط ما يكون وفي أفقر المظاهر، وهذا أمر ملموس في الكثير من الحالات من قبيل لغات البيدجين ولغة الأطفال في مستوى الاكتساب خلال طور الكلمتين. فالإعراب تطوّر لاحق حادث في تاريخ اللّغة ويبدو أنّه مستحدث عند الإنسان العارف، وبتبلور الإعراب أمكن توليف الكلمات في جمل دالّة دلالة كافية بمعزل عن المقام والتّداول بما يحكمها من مظاهر إعرائيّة من قبيل ترتيب الكلمات وتصريفها ووسمها الإعرائي¹ وما إلى ذلك.

لا اتّجاهيّة الحوسبة

تناسب لامركزيّة الإعراب والتّوازي على أساس التّصافح والتّزامن في المعالجة نفى الاتّجاه في تكوّن الأبنية اللّغويّة. إذ يمكن البدء من أيّ بنية من الثّالث (الصّوتيّة، الإعراب، الدّلالة) ثمّ العبور إلى البنية الأخرى بتوسّط التّصافحات. فيمكن مثلاً الانطلاق من البنية الصّوتيّة وإقامة البنية الدّلاليّة والبنية الإعرائيّة بواسطة التّصافحات، إذ النّحو في أساسه غير اتّجاهي. ويرتبط هذا الأمر بطبيعة المعالجة اللّغويّة فمادّتها بنية لغويّة متكاملة بمكوّناتها المختلفة ولا أولويّة للواحد منها على الآخر من زاوية الإنتاج و/أو السّماع.

هندسة النّحو

النّحو في تصوّر جاكندوف خوارزمية تشغل على أساس التّوازي مكوّناتها ثلوث يضمّ الدّلالة والإعراب والصّوتيّة. وكلّ واحد من هذا الثّالث نحو توليديّ في ذاته، أي له أوليّاته² الخاصّة به ومبادئ التّوليف³ بينها. ويمثّل كلّ واحد من هذا الثّالث مستوى مستقلاً بنفسه ولكنّه يرتبط بالمستويين الآخرين بمجموعة من قيود التّصافح (التّناسب). فالجملة ذات البناء الجيّد تتضمّن ثلوثاً من الأبنية ذات التّكوّن الجيّد ترابط ترابطاً جيّداً في ما بينها بتوسّط تلك القيود (جاكندوف 2002، 198). وينبثق الوصف البنيويّ للجملة من تناسب الأبنية في كلّ عناصر الثّالث. فالنّحو

1 Case marking.

2 Primitives.

3 Combinatorial principles.

في مجمله مكوّنات ثلاثة تشغل اشتغالا منظوميا ويمكن تصوّره على أنّه ثالث خوارزميّ أساسه التّوازي وقوامه التّصافح على أساس التّناسب بين المكوّنات المتصافحة.

التّصافحات

التّصافح عند جاكندوف وريث لفكرة التّأويل التّام في مستوى الشّكل الصّوتيّ ومستوى الشّكل المنطقيّ في التّحو التوليديّ. وقد استعمل شومسكي 'التّصافح' في مناسبات عديدة تختلف فيها درجة التّحديد والتّدقيق (شومسكي 1995).

وأساس التّصافح مطلقا عند جاكندوف (1997، 2002) في ما يلي: ليكون التّصافح لابدّ من توفر أركان ثلاثة: صفيح أوّل وصفيح ثان وقواعد تناسب بينهما. الصّفيح الأوّل هو النّظام أو جملة التّمثيلات الّتي يتضمّنّها ذلك النّظام الأوّل والّتي يشغل عليها التّصافح، والصّفيح الثّاني هو النّظام أو جملة التّمثيلات الّتي يتضمّنّها ذلك النّظام الثّاني والّتي يشغل عليها التّصافح. أمّا قواعد التّناسب¹ فهي ما به يتحقّق التّصافح بين النّظامين على أساس التّناسب أي ما به تتحوّل عناصر الصّفيح الأوّل إلى نظائرها من عناصر الثّاني والعكس، واحدا بواحد.

التّصافحات النّظقيّة-الإدراكية

يتمثّل إحداث الأصوات (أو التّقطيع) في جملة من الأوامر الحركيّة تتشكّل في الدّماغ بناء على تمثيلات صوتيّة وتصدر إلى أعضاء التّطو والتّصويت فتحققها في شكل نشاط عضليّ حركيّ تكون به الأصوات المنطوقة المسموعة. وهذه الأوامر ليست لغويّة في طبيعتها وإنّما هي انعكاس لتلك التّمثيلات في شكل حركيّ-عضليّ. وفي هذا المستوى يكون تحوّل² التّمثيلات إلى أوامر عصبيّة، وهذا مظهر تصافحيّ أساسيّ. ومقابل هذا يكون الإدراك السّمعّي تحويلا للأصوات إلى تمثيلات صوتيّة. وإذ تنغلق الدّائرة نبيّن أنّ التّمثيلات الصّوتيّة

Correspondence rule(s). 1

Conversion. 2

مستقلة في تصوّرها ووجودها وهي تمرّ عبر تصافحين لها مع النّظام الحركيّ التّطقيّ عند الإنتاج ومع النّظام الإدراكيّ السّمعّي عند التّحليل، ونفس الأمر يكون عند التّصافح مع النّظام البصريّ كتابة وقراءة. ومفهوم التّحويل عند جاكندوف لا صلة له بالمفهوم التّوليدي الجاري من قبيل عمليّات الإقحام أو النّقل أو التّغيير، وهو ما يجري فيه مصطلح التّحويلات¹ في العربيّة، وإنّما هو عبارة عن مطابقة بين عناصر من تمثيل صوتيّ وعناصر من أوامر عصبيّة نطقية على أساس التّناسب واحدا بواحد، وبعبارة مبسّطة إذا كان في الذّهن تمثيل لصوت "ب" مثلاً فهو يتضمّن جميع الخصائص الصّوتية التي هي هويّة هذا الصّوت وموطن هذا التّمثيل البنية الصّوتية الذّهنية، فإذا ما همّ المتكلّم بنطق الحرف "ب" مفرداً أو في سياقات مختلفة، صدرت أوامر عصبيّة من المراكز المختصّة بالتحكم في عضلات معيّنة إلى تلك العضلات لتؤدّي حركة مخصوصة كلاً بما يقتضيه دوره في إنجاز ذلك الصّوت من قبيل انقباض الشّفتين وانغلاق الغشاء وانضغاط النّفس ثمّ نزيز الحبال الصّوتية وما إلى ذلك. فالتّناسب بين هذه الحركات كلاً بأمره العصبيّ والسّمات كلاً بأمره العصبيّ يمثّل تصافحا تتحوّل بمقتضاه الثّانية إلى الأولى بالتّناسب. ويمكن الإطالة في هذا بالحديث عن التّزامن أو التّناسق ما بين أعضاء النّطق في إنجاز الصّوت الواحد، ولكن يمكن العود إلى الكثير من الدّراسات في هذا الأمر وخاصة تلك المتعلّقة بالصّوتية التّفريعية² في أعمال جون قولدسميث³ على سبيل المثال.

ويقتضي التّصافح الصّوتيّ-الحركيّ ثلاثة مكوّنات:

صفيح صوتيّ هو مجموعة من التّمثيلات الصّوتية تكون جاهزة لتزوّل تأويلاً حركياً، وهذا صفيح أوّل هو مستوى الصّوتية/الأصوات.
وصفيح حركيّ هو مجموعة من التّمثيلات الحركية تُسقط عليها التّمثيلات الصّوتية، وهذا صفيح ثان هو مستوى التّمثيلات الحركية.
وقواعد التّناسب تتوسّط ما بين الصّفيحين الصّوتيّ والحركيّ لقيام التّرابط بين العناصر في كلّ منهما ليستوي التّصافح.

Transformation(s). 1

Autosegmental phonology, Nonlinear Phonology. 2

Goldsmith, John. 3

التصافح الصوتي-الإعرابي

يقوم النظام الإعرابي على أوليات هي مقولات إعرابية (اسم، فعل، حرف، إلخ) ومقولات وظيفية (العدد، الجنس، التخاطب، الحالة الإعرابية، الزمن)، وهو محكوم بمبادئ توليفية هي مبادئ البنية المركبة (س') ومبادئ التبعية وبالمطابقة وبالوسم الإعرابي وما إليها. أمّا النظام الصوتي فأولياته السمات التمييزية والمقطع والكلمة والمركب الصوتي أو المركب التنغمي والتبرة والمخطط التنغمي. وتتضمن مبادئ التوليف الصوتي قواعد البنية المقطعية وإسناد التبرة والانسجام الحركي وما إليها. ويقوم التصافح بين النظامين على المزاوجة بين الوصف البنيوي الإعرابي والوصف البنيوي الصوتي في كل قول، فالتنغم - مثلاً - مقيد بالبنية الإعرابية وليس مشتقاً منها (جاكندوف 1997، 27).

التصافح المفهومي-الإعرابي

يجري جاكندوف البنية المفهومية مقابل ما يسميه شومسكي النظام المفهومي القصدي مأخوذاً في دلالاته على نظام التمثيلات الذهنية التي ليست جزءاً من اللغة في ذاتها وإنما هو موطن التفكير والتخطيط والتذكر وتكون المقاصد وما إلى ذلك. وهو ما يسمّى في الكتابات العرفية عامة بالنظام العرفي. فالبنية المفهومية هي ما تعبر عنه اللغة، وإذا كان ذلك، لا تمثل اللغة الأداة الوحيدة الجارية في التعبير عنها، والبنية المفهومية - عند جاكندوف (1997، 33) - مستوى تمثيلي مركزي في النظام العرفي. أمّا أولياته فهي عناصر أو وحدات ممثلة في الذهن من قبيل تمثيلات الأشياء المادية والأحداث والخصائص أو الصفات والأزمنة والكميات والمقاصد وما إليها. وتقوم مبادئه على توليفات مفهومية صرف لها ما يجانسها في التوليفات الإعرابية لا محالة دون أن تكون إياها.

ويذهب جاكندوف إلى أن هذه المبادئ في طبيعتها علائقية ذهنية صرف أساسها توالف المفاهيم على أساس الإخبار أو الاختصاص أو التخصيص والتحويل والتسوير والتسبة وما إلى ذلك. كما تتوالف فيه المفاهيم وفق قواعد يحدث لها الاقتضاء والاستدلال وتركيب المفاهيم بشكل متصل بالمعرفة الموسوعية والتفاعل مع الكون والتجربة. ومن خصائص هذا التوالف الأساسية كونه لا خطياً وإنما قوامه التعلّق.

يكون التصافح المفهومي-الإعرابي على أساس قواعد التناسب ونماذج ذلك أن البنية السَلَمِيَّة في الإعراب تناسبها البنية السَلَمِيَّة المفهوميَّة: علاقة الرأس بالمتَّم¹ مناسبة لعلاقة المسند بمتعلقاته² وعلاقة الرأس بالمخصَّص³ مناسبة لعلاقة المقولة بالمحوّر⁴ وعلاقة الرأس بالمضاف⁵ مناسبة لعلاقة المسوّر بالمتغيّر المحدود⁶. ويطابق التصافح المفهومي-الإعرابي ما يطلق عليه في النظرية التوليدية 'الشكل المنطقي'. ولئن لم تكن البنية المفهوميَّة في ذاتها جزءاً من اللغة فإن قواعد التناسب في التصافح جزء من اللغة (التحو).

التصافح الثلاثي

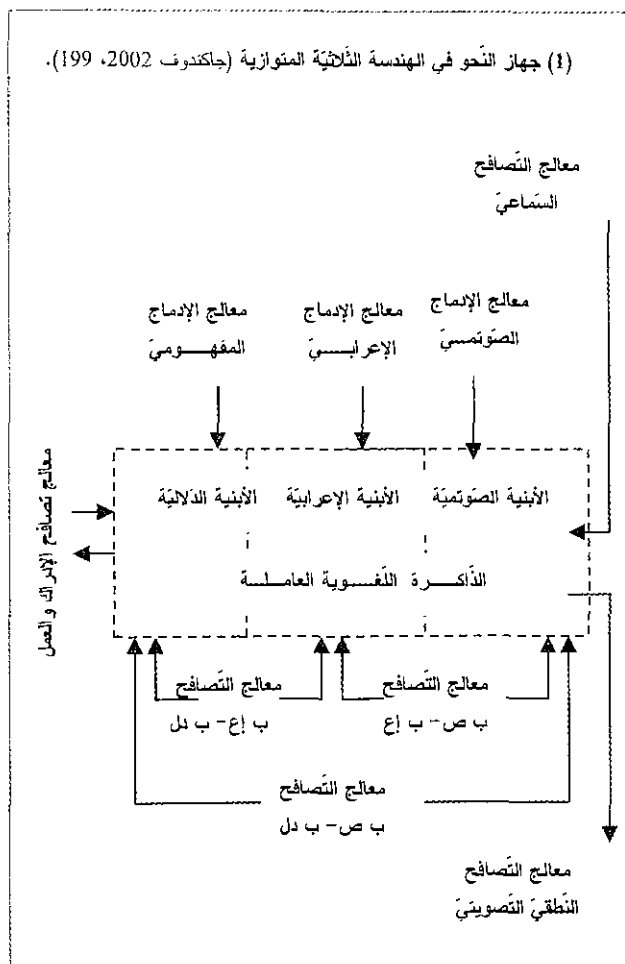
من القضايا المتصلة بمنظومة المكونات المتصافحة المتوازية وجوه قيام التناسب بين تلك المكونات بالمستويات المتعددة والمختلفة في الواحد منها. وإذا كان التصافح الصوتي-المفهومي من أقلّ التصافحات إشكالا فإن التصافح المفهومي-الإعرابي والتصافح الصوتي-الإعرابي مشكلان من عدد من الوجوه أهمها كون البنية الإعرابية غير موافقة للبنيتين الأخرين مجتمعين ومفترقتين، وهذا يستوجب البحث في أيّ المستويات الإعرابية يكون صفيحا صوتيّا وصفيحا مفهوميّا (جاكندوف 1997، 91). ومن المفروض نظرياً أن يكون التصافح بين كلّ من البنية الصوتيّة والبنية المفهوميّة من جهة والبنية الإعرابيّة، من جهة أخرى، في مستوى واحد. وهذا ضامن لسبر التصافحات الثلاثيّة (صوتي-إعرابي، إعرابي-مفهومي، صوتي-مفهومي) في آن واحد.

فالوحدة المعجميّة محدّدة صوتيّا ومفهوميّا بالتقارن الرأسيّ بين شكلها الصوتي ومعناها دون حاجة إلى وسيط توليفيّ إعرابي. ومن نماذج ذلك، الوحدات التي لا تخضع في استعمالها لقيود البنية الإعرابيّة من قبيل حروف الجواب (نعم، أجل) أو خوالف تفيد التعجّب وما إليه من الانفعالات من قبيل (آه، آي...) أو ترنّامات من

Head-to-complement.	1
Predicate-to-argument.	2
Head-to-specifier.	3
Category-to-modifier.	4
Head-to-adjunct.	5
Quantifier-to-bound variable.	6

قبيل (ترالالا، دم دم...)، إلخ. وهي قسم من الرصيد المعجمي لكل منها شكل صوتي ومعنى ولا قيد عليها من الإعراب.

ولو كان للإعراب فيها أثر أي أن تحديدها يقتضي تصافحا إعرابيا تُنتقى بمقتضاه وتدرج في الأبنية التوليفية الإعرابية، لامتنع الاقتران بين الصوت والمعنى فيها. ورغم ذلك فالتناسب بين الصوت والمفهوم قائم فيها. كما يكون الاقتران الرأسي بين الصوت والمعنى في طور الكلمات-الأحادية من أطوار الاكتساب اللغوي، حيث يستعمل الطفل الكلمة المفردة للتعبير أو ما يسمّى بـ'الكلمات-الجمل'، وهذا أمر يستوجب واحدة من فرضيتين: أولاهما أن لا وجود للإعراب في البداية وإنما هو شيء حادث لاحق على الاكتساب المعجمي فهو يمثل مرحلة من مراحل الاكتساب متقدمة.



ولكنّ السّؤال يطرح من زاوية أخرى هنا: ما أثر ذلك على ما استقرّ قبله؟ هل الإعراب موجود عند الطّفل ولكنّه لا يستطيع استعماله؟ إن كان لا إعراب له وإنّما هو شيء حادث، هل يكون ظهور الإعراب وتبلوره قادحين لإعادة تنظيم جذريّ لما حصل في المراحل السّابقة من الاكتساب اللّغويّ، في ضوء ما تقتضيه قيود الإعراب؟ ولكنّ الأولى أن يُعتبر المتكلّم في مرحلة الكلمة المفردة غير متّبع للإعراب ولا مقيّدا به وأنّ ظهور الإعراب عنده ليس جديدا حادثا يعيد تنظيم الحاصل إعادة جذريّة وإنّما هي مجموعة أخرى من القيود والإمكانيّات تنضاف إلى ذلك الحاصل (جاكندوف 1997، 95).

ومن الحجج الّتي يعرضها جاكندوف في تبرير كون التّصافح الصّوتيّ-الإعرابيّ-المفهوميّ جاريا في مستوى واحد، ظاهرة البؤرة¹ (التّثير) والمحور² (المحورة) في البنية الإخباريّة تجريان بأدوات صوتيّة من قبيل التّنبير والتّنغيم دون أثر ظاهر للإعراب، وإذا ما حدثتا بأدوات إعرائيّة (التّقديم أو التّأخير، إلخ) فهما تقتضيان دائما تنبيرا وتنغيمًا بالإضافة إلى المظاهر الإعرائيّة.

الهندسة الثلاثيّة المتوازية في المعالجة الذهنيّة

للهندسة الثلاثيّة المتوازية أثر في تصوّر المعالجة الذهنيّة عامّة وفي المعالجة اللّغويّة خاصّة، فقوام اشتغال الدّهن عند جاكندوف هو الاشتغال المنظوميّ (جاكندوف 1997، 41-46). يشفّر الدّهن/الدّماغ المعلومات في عدد محدود من الأشكال التّمثيليّة المتباينة يسمّيها جاكندوف "لغات الدّهن" حيث تجري كلمة لغة على وجه الاستعارة.

وكلّ واحدة من تلك اللّغات منظومة تمثيليّة³ أي نظام شكليّ له مجموعة من الأوّلّيات المخصوصة به ومجموعة من مبادئ التّوليف المخصوصة به. ويختصّ بكلّ واحدة من تلك اللّغات منظومة في الدّهن. وبين المنظومات اتّصال وتواصل عن طريق التّصافحات. فالدّهن في عمومه قائم على نوعين من المنظومات المتباينة في طبيعتها ومادّتها ومبادئها: منظومات تمثيليّة ومنظومات

Focus, focalization. 1

Topic, topicalization. 2

Representational module(s). 3

تصافحية¹. ومهمة المنظومة الواحدة منها إقامة التواصل بين مستويين في التشفير أي بين منظومتين تمثيليتين (أ) و(ب) وذلك بأن تترجم -وإن جزئياً- المعلومات وقد صيغت بشكل مخصوص في (أ) إلى الشكل الذي تصاغ به في (ب)، يجري ذلك وفق قواعد التناسب.

فالمظهر الصوتي في اللغة إذا ما أخذ من زاوية حصوله عن طريق السمع لا يمثل المظهر الوحيد الحاصل من الإدراك السمعي. فالسمع إذ تعلق بكل صوت يكون مورداً لعدد متنوع من المعلومات التي تنهض بتحليلها أو بتشفيرها منظومات مختلفة، منها منظومة التعرف على الشخص المتكلم باعتماد نبرات صوته وخصائصها غير اللغوية أي تلك التي لا دور لها في الفهم وهي تؤدي وظيفة التعرف تماماً كما تؤديها منظومة البصر من حيث النتيجة وإن اختلفت الوسائل حيث يكون التعرف في البصر باعتماد سمات بصرية.

ومنها منظومة الإدراك السمعي ذي الغايات العامة من قبيل موقعة مصدر الصوت في المكان أو تحديد المسافة الفاصلة بينه وبين الذات السامعة أو تمييز الصوت المقصود من جملة أصوات أخرى وما إلى ذلك، ومنها منظومة تحليل الأصوات اللغوية في شكل تمثيل صوتي خطوة نحو تمثيله إعرابياً ودلالياً لتحليله أو تأويله. فكل واحدة من هذه العمليات تصب في منظومة تمثيلية خاصة وإن كان المنطلق واحداً هو حصول صوت مدرك في السمع.

وللمنظومة الصوتية تصافحات أخرى عديدة مع نظام الإبصار أبرزها تلك التي يكون بها ترجمة العلامات الخطية إلى منطوق مقروء والعكس، أو ترجمة المنطوق إلى إشارات والعكس في اللغات الإشارية (لغات الصم والبكم). وفي (2) تمثيل عام للتصافحات ما بين مختلف المنظومات الذهنية الموسعة إطاراً عرفياً عاماً للتصافحات اللغوية (جاكندوف 1997، 190).

ونتبين من التمثيل في (2) ما يسعى جاكندوف إلى إثباته أساساً لاشتغال ما يطلق عليه المنظومية التمثيلية، إذ يتلقى المستوى التمثيلي الواحد (ليكن صوتياً أو إعرابياً أو مفهوماً) دخلاً من عناصر متفرقة مجتزأة مصادرها متنوعة مختلفة، ويتولى دمجها أو الصهر بينها في شكل موحد يتخذ درجة تقوم عليها عمليات المعالجة في المراحل اللاحقة عليها في المستويات التمثيلية التالية (جاكندوف 1997، 103).

المعالجة المعجمية في الهندسة الثلاثية المتوازية

تخزن الكلمة في الذاكرة طويلة المدى على هيئة ترابطات بين سمات صوتية وإعرابية ودلالية وليس جريان الوحدة المعجمية في البنية المركبة الإعرابية مجرد إدراج¹ - كما هو الأمر عند شومسكي حيث يقوم تصوّره هذا على اعتبار البنية الإعرابية جملة من المواضع (المحلّات) التي تملأ بمادّة هي الوحدة المعجمية مثلاً- وإنّما الوحدة المعجمية نفسها من حيث كانت ثلاثية التكوين وثلاثية التصافح هي ترابط ثلاثي نووي من الصوتية والإعراب والدلالة، وجريانها في الجملة يقوم على الموافقة بين المستويات الثلاثة في التصافحات. فالكلمة الواحدة بدورها - في منظور جاكندوف - قائمة على التصافح الثلاثي (جاكندوف 2002، 130)، فكل كلمة "أسد" مثلاً فيها بنية صوتية تشغل بقواعد التكوين المقطعيّ والعروضيّ بالتوليف بين القطع (الحروف والحركات) وبنية إعرابية تشغل بقواعد التكوين الإعرابيّ من حيث تحمل سمات الاسمية والإفراد وقابلية العدّ وبنية دلالية تشغل بقواعد التكوين الدلاليّ من حيث تحمل سمات مفهومية من قبيل كون المفهوم شيئاً نوعاً من الحيوان بكلّ ما يمثّل الأسديّة. فالوحدات المعجمية نتاج لقواعد التصافح، والمعجم كاملاً يعتبر جزءاً من مكونات التصافح. وقواعد التناسب بين البنى الثلاث (الصوتية والإعرابية والدلالية) تشغل في مستوى الكلمة المفردة اشتغالها في مستوى التراكيب الكبيرة:

وحدة معجمية: > بنية صوتية، بنية إعرابية، بنية مفهومية<.

المعجم: ثوالث > بنية صوتية، بنية إعرابية، بنية مفهومية<.

يقلق هذا التّصوّر الثلاثيّ للوحدة المعجمية خصوصاً ولجهاز النحو عموماً، جميع الأشكال التي تمثّل لجهاز النحو في مختلف الأطوار التوليدية، وفيها يفترض أنّ الإدراج المعجميّ يقوم على إدراج الوحدة المعجمية في كليتها في أبنية مركبة إعرابية، يعني ذلك أنّ الأبنية الصوتية والمفهومية تجرّج خلال الاشتقاق الإعرابيّ، وهي في جميع ذلك معيّنة غير فاعلة ولا تظهر إلّا عندما يكون الاشتقاق قد بلغ مرحلة التصافح بالشكل الصوتيّ أو الدلاليّ (المنطقيّ) حيث يكون التأويل الصوتيّ والتأويل الدلاليّ. ولئن توفّر في البرنامج الأدنى مفهوم الدمج الذي يقوم على أن

الوحدة المعجمية في كليتها تسقط الأبنية الإعرابية الأولى، فإن هذه العملية لا تختلف كثيرا عن الإدراج إذ يظلّ مشكل الجرجرة قائما ذلك أن قواعد التهجئة توفر المادة الصوتية التي تنطبق عليها القواعد اللاحقة، فنعود من جديد إلى الجرجرة، فالبرنامج الأدنى نفسه يسمح بجرجرة المعلومات الصوتية المعجمية غير مرئية خلال الاشتقاق الإعرابي.

ولهذا الموقف تبعات مهمة تمسّ استقلالية الإعراب إذ لا يستقيم الدفاع عن هذه الاستقلالية حتى إذا ما اعتمدت حجة كون الإعراب لا يرى المعلومات الصوتية والمفهومية المقترنة بالوحدة المعجمية المدرجة خلال عمليات الاشتقاق الإعرابي.

ولتجاوز المأزق الذي تسبّب فيه كون الإدماج المعجمي أول، يقترح بعض الباحثين أن تفرغ الوحدة المعجمية من مضمونها الصوتي - وبعضهم يضيف مضمونها المفهومي - فيقتصر الاشتقاق الإعرابي على المعلومات الإعرابية المعجمية الظاهرة لقواعد الإعراب في المنطلق وهي سمات من قبيل المقولة والشخص والعدد وسمات الوسم الإعرابي والتفريع المقولي الإعرابي، وكل ما يكون في هذا المخرج - عند جاكندوف - تأخير موقع الإدراج المعجمي عن الاشتقاق الإعرابي. وإذا ما تأخّر موقع الإدراج تظلّ السمات الصوتية والدلالية خارج الاشتقاق في ما بين البنية العميقة والبنية-س، دون أن تخرج مطلقا عن الإعراب، فهذه السمات حاضرة ولكن بشكل غير مرئي في البنية - س ولا تصبح ظاهرة إلا إذا مرّ الاشتقاق بالتصافح المناسب (الصوتي، الدلالي).

ويتبيّن ممّا مضى أنّ فكرة الإدراج من أساسها غير مستقيمة إذ تعارض التّصوّر الطّبيعيّ للوحدة المعجميّة ثالثا > بنية صوتيّة، بنية إعرابيّة، بنية مفهوميّة، وذلك ما به يمتنع تصوّر إدراجها في أيّ مستوى من مستويات الاشتقاق دون أن يكون لذلك تمثيل خليط مرتبك. فيكون تبعا لذلك من الواجب اعتبار المعلومات الثلاث مفصّولا بعضها عن بعض فصلا تامّا ومتناسقة وجوبا بتوسّط قواعد التّناسب التي تكوّن التّصافحات. فالاشتقاق، عند جاكندوف، يقوم على الأساس نفسه وهو التّوازي والتّزامن بين الأبنية الثلاث وقد استقلّت الواحدة منها عن الآخرين. فدور الوحدة المعجميّة - في تصوّره - لا يتمثّل في إدراجها في الاشتقاق الإعرابي وإنّما في أنّها تميز¹ التّناسب بين بعض الرّموز النّهائيّة أو القريبة

من النهائية في كل من البنية الصوتية والبنية الإعرابية والبنية المفهومية. والإجازة معناها الجمع والتوحيد بين مواد الأبنية الثلاث لتكوين الكلمة في تمام مظاهرها الثلاثة. فيكون تمثيل الوحدة المعجمية "كتاب" على سبيل المثال ثلوثا من الأبنية المتناسبة المتوازية المتصافحة كما في ما يلي:

- البنية الصوتية المعجمية: جملة المعلومات الصوتية: كلمة (kitaab)
 - البنية الإعرابية المعجمية: المعلومات الإعرابية: اسم (مفرد، معدود، مذكر)
 - البنية المفهومية المعجمية: المعلومات المفهومية: شيء (نوع: كتاب/).
- فالوحدة المعجمية تؤخذ على أنها قاعدة تناسب والمعجم كاملا يؤخذ على أنه جزء من منظومة التصافحات (بنية صوتية - بنية إعرابية، بنية إعرابية - بنية مفهومية)، ومن هذا المنظور لا يتمثل دور الوحدة المعجمية في كونها مادة الإدراج في الاشتقاق الإعرابي بل في إجازة التناسب بين الرموز (القرينة من) النهائية من البنية الإعرابية والبنية الصوتية والبنية المفهومية. فلا حاجة إلى قواعد الإدراج المعجمي ولا إلى ترتيب فيها (جاكندوف 1997، 89-90).

يقوم البرنامج الأدنوي على وجود تصافح خاص بين المكوّن الحوسبي والمعجم، ولكن ذلك غير وارد في الهندسة الثلاثية المتوازية وفيها يُعتبر التصافح المعجمي جزءا من التصافحات الأساسية الثلاثية لا مستقلا في ذاته. ففرضية الإجازة تتيح الحفاظ على استقلال كل نمط من المعلومات في كل مستوى من المستويات التمثيلية.

ويعمد جاكندوف إلى مجالات إدراكية ذهنية يقرب باعتماد نماذج منها مفهوم المعجم وتكوّنه ومشابته لسائر المكوّنات الذهنية، من ذلك ارتباط صورة بصرية بصورة تذوقية. فالنظر إلى طعام ما يصاحبه التعرّف على مذاقه، وذلك يمثل ترابطا بين تمثيلين بصريّ وتذوقيّ. ويخترن الدماغ الكثير من ذلك في تمثيلات لمثل هذه الترابطات، وهي لا تختلف عن ترابطات الصوت بالمفهوم في المظهر الشكليّ، وكلاهما على درجة من الاعتبار واحدة.

فالمعجم بهذا التصوّر مثل سائر المكوّنات الذهنية مجموعة من الترابطات مختزنة بين قطع مختلفة من تمثيلات متنوعة، ودوره في المعالجة هو نفسه الذي لسائر المكوّنات الذهنية من حيث كان تصافحا بين تمثيلين أو تمثيلات يربط بينها، وهذا أساس مهمّ لوضع النحو الذهنيّ في إطار عرفيّ عامّ يستوجب وضع النظرية اللسانية في علوم العرفنة (راجع التمثيل (2)).

الاهتداء المعجمي

لنظرية جاكندوف مظهر نفسي لغوي يهتم المعالجة اللغوية إدراكا وإنتاجا. ويمكن عرض الاتجاهين تباعا في شكل محطات أو مراحل تحدث عند الواحدة منها جملة من عمليات المعالجة¹ المتنوعة المتكاملة المتناسقة تؤديها جملة من المكونات تمثل مجتمعة معالجا². وتجري المعالجة في مستويين من الذاكرة هما الذاكرة العاملة³ والذاكرة طويلة المدى⁴، ويقوم الاهتداء المعجمي في نظرية الهندسة الثلاثية المتوازية على أربعة مكونات (جاكندوف 2002، 207 وما بعدها):

- الإنشيط⁵: هو عملية تكون بها إثارة الوحدة المعجمية في الذاكرة طويلة المدى، ومتابها يكون ذلك إشارة من الذاكرة الصوتية العاملة إلى البنية الصوتية المحفوظة للوحدة المعجمية، كما يكون بالتداعي عن طريق الإنشيط الانتشاري ما بين الوحدات المعجمية المترابطة.
- الربط⁶: هو استحضار الوحدة من الذاكرة طويلة المدى عن طريق إحداث نظير منها أو نسخة منها.
- الإدماج⁷: هو عملية توليف بين الوحدة المعجمية المستحضرة ووحدة أو وحدات أخرى في بنية أكبر وفق مقتضيات البنية الإعرابية، مثلا. كما يكون في هذه العملية المحافظة على عدد من الوحدات المترشحة التي تتساوى حظوظها في التعبير عن مفهوم ما في عبارة ما، ريثما تجري عملية ضبط التناسق.
- ضبط التناسق⁸: هي عملية تجميع لكل الإمكانيات التي يمكن أن يكون بها الإدماج ومقارنة بعضها ببعض، وإلغاء ما لا يصلح منها بإبطال جميع العمليات السابقة. كما يكون بها التثبت من حدوث الإدماج على أحسن وجه في جميع المستويات بوجه يكون به التناسق فيها جميعا.

Processing.	1
Processor(s).	2
Working memory.	3
Long-term memory.	4
Activation.	5
Binding (copying).	6
Integration.	7
Resolution.	8

خاتمة

يقوم البرنامج الأدنى على وجود تصافح خاص بين المكوّن الحوسبي والمعجم، ولكن ذلك غير وارد في الهندسة الثلاثية المتوازية وفيها يُعتبر التصافح المعجمي جزءاً من التصافحات الأساسية الثلاثية لا مستقلاً في ذاته. ففرضية الإجازة تتيح الحفاظ على استقلال كل نمط من المعلومات في كل مستوى من المستويات.

معالجة الكلام في الإطار التوليدي نظرية اللّمات نموذجاً

من الأنشطة الأساسية الغالبة في العرفنة، إنتاج الكلام وفهمه. وهو موضوع نفسيّ ولسانيّ نفسيّ ولسانيّ عصبيّ. ولئن مثلت التوليديّة عامّة ومنوال الأدنويّة والهندسة الثلاثيّة خاصّة إطاراً نظريّاً عامّاً فإنّ بعض المناويل التّفسيّة اللّسانية اتّخذت منها إطاراً يكون البحث فيه في قضايا إنتاج الكلام وتحليله وهو ما يجتمع في ما يطلق عليه مفهوم المعالجة. وتمثّل نظريّة اللّمات واحدة من نظريّات عديدة في إنتاج الكلام وتأويله. ومن المباحث المطروحة في هذا ما تعلّق بالتمثيلات التّحويليّة (الصّوتيّة، المعجميّة، الصّرفيّة، الإعرابيّة، الدّلاليّة) من حيث طبيعتها وتكوّنها وتخزينها واستحضارها ومن حيث استعمالها في المعالجة إنتاجاً وتأويلاً. والأبحاث في هذا المجال نوعان: نفسيّة و/أو لسانية نفسيّة وهي الغالبة ونوع آخر يتّخذ من النّظريّة اللّسانية إطاراً وفيها يقيم جهازاً متكاملًا في إنتاج القول وتأويله. وقد كان اختيارنا لنموذجين يمثّلان منطلقاً لتوسيع الأبحاث، هما نظريّة اللّمات ونظريّة اللّوغونات. ولعلّنا نحيل خلال هذا الفصل على دراسات مفيدة في نقطة جزئيّة أو أكثر يستكمل منها القارئ سائر القضايا بتفاصيلها.

معالجة الكلام: الاتجاهات الكبرى

تعدّدت المناويل في معالجة الكلام عامّة وفي الاهتمام المعجميّ على وجه الخصوص، وتداخلت كذلك بشكل يجعل التّمييز بينها صعباً. وذلك عائد إلى تعدّد الظواهر المطروقة وتشعبها، ويمكن - حسب ما يرى كينيث فورستر¹ (1989) - تقسيمها إلى عدد من المجموعات:

أ- مجموعة من المناويل قوامها مبدأ أساسي هو الإنشيط¹ (مجموعة الإنشيط). وفيها اتجاهان كبيران يتمثل الأول منهما في نظرية اللوغونات كما تبلورت في أعمال مورطون، ويتمثل الثاني منهما في منوال الشبكة المتوازية المتفاعلة² كما تبلور في أعمال ماكلاند وروملهارت³ (1981) وما شابهها من المناويل الترابطية⁴. وتتفق هذه المجموعة في إقامة المعالجة اللغوية على مبدأ الاهتداء المتوازي وعلى مفهوم الإنشيط الانتشاري⁵.

ب- مجموعة من المناويل يطلق عليها فورستر (1989، 76) "النظريات الحوسبية في الاهتداء المعجمي"⁶، وقوامها أن الاهتداء المعجمي يشبه استحضار المعلومات المخزنة في الحاسوب وأن سرعة الاهتداء في كل منهما مرتبطة بما به يكون تخزين المعلومات من حيث تصنيفها وتنظيمها.

ج- مجموعة ثالثة مزيج من المجموعتين (أ) و(ب) في بعض المبادئ، وقوامها أن الاهتداء المعجمي أساسه إنشيط يشتغل في نظام يتأسس على عمليتين إنشيط وفحص. يكون بالإنشيط البحث عن جملة من الوحدات تترشح للعبارة ثم تعرض تلك الوحدات على آلية الفحص للتأكد من صلاحيتها وفيها يكون اختيار أفضل المترشحين. ومنطلق عملية الإنشيط المظهر الشكلي في الوحدة المعجمية أما المظهر الدلالي المقامي فذو دور ثانوي فيه وإن كان دوره أهم في نهاية طور الاختيار. ولعل أفضل ممثل لهذه المجموعة من النظريات نظرية "الإنشيط والفحص"⁷ كما تبلورت في أعمال طافت وهبلي⁸ (1986)، ونظرية اللّمات كما تبلورت في أعمال لوفلت⁹ (1989).

Activation.	1
Parallel-interactive-network model.	2
McClelland & Rumelhart.	3
Connectionist models.	4
Spreading activation.	5
Computational theories of lexical access.	6
Activate and check.	7
Taft and Hambly.	8
Lemma Theory (Levelt).	9

نظرية اللّغات

تمثّل الفرضيّة الأساسيّة التي يقيم عليها لوفلت نظريته في كون العمليات الجارية في تكوّن الكلام موجهة معجميًا أي أنّ عمليات التركيب النحويّة والصّوتيّة تجري بتوسّط المداخل المعجميّة. فالرسالة ما قبل-الكلاميّة¹ تقدح² الوحدات المعجميّة، وتقدح خصائص هذه الوحدات المعجميّة الصّرفيّة والإعرابيّة والصّوتيّة بدورها عمليات التّشفير³ الكامنة في توليد الأقوال. وتسمّى هذه الفرضيّة الفرضيّة المعجميّة⁴ إذ يمثّل المعجم فيها الوسيط الرئيسيّ بين بناء المفاهيم والتركيب النحويّ والصّوتيّ، وتنفي هذه الفرضيّة أن يتوفّر في رسالة المتكلّم ما يقدح شكلًا إعرابيًا محدّدًا دون آخر من قبيل البناء إلى المعلوم أو إلى المجهول أو غير ذلك من أبنية الإعراب. يكون ذلك دائمًا بتوسّط الوحدات المعجميّة التي تقدحها الرسالة. وهذه الوحدات المعجميّة المنقدحة بما لها من الخصائص النحويّة وترتيبها في عمليّة الانقذاح تجعل المركّب النحويّ يولّد بنية إعرابيّة مخصوصة. وتقوم هذه النظريّة على تصوّر للانتظام الداخليّ للمداخل المعجميّة وعلى نمط مخصوص في المعالجة من حيث الاهتمام والإنتاج.

يقوم إنتاج الكلام - عند لوفلت - على خطوتين كبيرتين: خطوة المخطّط الأكبر⁵ تتلوها خطوة المخطّط الأصغر⁶. يقوم المخطّط الأكبر على بلورة القصد التّواصليّ⁷ في شكل سلسلة من الأهداف الرئيسيّة أو الكبرى والأهداف الثانويّة أو الفرعيّة. كما يقوم على انتقاء المعلومات التي يتحقّق بالتعبير عنها كلّ واحد من الأهداف الثانويّة. ويقوم المخطّط الأصغر على تشكيل الرسالة ببناء المعلومات التي تتضمنها بوجه يقود السّامع إلى تبيّن القصد التّواصليّ.

يجري في المخطّط الأكبر انتقاء المعلومات بما يصاحب ذلك من عمليّات عرفيّة قوامها التّخطيط وترتيب المعلومات واستحضارها باشتغال الذاكرة وتحديد

Preverbal message. 1

Trigger. 2

Encoding procedures. 3

Lexical hypothesis. 4

Macroplanning. 5

Microplanning. 6

Communicative intention. 7

مراتب أبعاضها في سلسلة الكلام عند التعبير واعتماد العناصر التداوئية المقامية المباشرة وغير المباشرة. ويجري في المخطط الأصغر تأشير المفاهيم وتوزيعها على سلّم من درجات البروز والعناية تتحدّد بمقتضاه مواقع المفهوم محوريًا كان أو لا محوريًا ويتحدّد نوعه من حيث جدّته أو قدامته، جميع ذلك من زاوية إخبارية. ويكون عندئذ تحديد البناء القضويّ في الرسالة وما يصاحب ذلك من زاوية النظر الّتي تُنقل منها العناصر ومن تعالق يكون بين تلك العناصر في ضوء ما يقتضيه مضمون الرسالة من خصوصيّات عرفيّة إدراكيّة عامّة أو فرديّة تخصّ المتكلّم، بما في ذلك تحديد الأزمنة وما يوازيها من مظاهر تضمن استقامة الاهتمام أو الفهم عند السّامع. ومنتهى المخطط الأصغر اكتمال القول في شكل رسالة ما قبل - كلاميّة.

بنية المعجم: المداخل المعجميّة وانتظامها

المعجم عند لوفلت (1989، 182) خزينة من المعارف الإثباتيّة¹ المتعلّقة بالكلمات في اللّغة. تقوم الوحدة المعجميّة على أربعة أنواع من السّمات على الأقلّ: سمات معنويّة تجمع كلّ ما يكون المفهوم المقترن بها وهي أساسيّة في انتقاء الوحدة المعجميّة، وسمات إعرائيّة تتضمّن مقولة الوحدة (اسم، فعل، حرف، إلخ) وكلّ ما له صلة بالإعراب، وسمات صرفيّة تجمع كلّ الخصائص المحدّدة للبنية الاشتقاقيّة والتّصريفيّة. والتركّب الصّرفيّ، وسمات صوتيّة تضمّ كلّ المعلومات الّتي همّ القطع² الصّوتيّة المكوّنة للوحدة ومقاطعها ومواقع الثّبرة فيها وما إلى ذلك. كما يتوفّر عدد آخر من المعلومات تخزّن مع الوحدة المعجميّة بعضها تداوليّ وبعضها أسلوبيّ وانفعاليّ يكون به اندراجها في سياق دون آخر.

وجميع هذا المعلومات مترابط ترابطًا نظاميًا بوجهين: داخليّ يكون في مستوى المدخل المعجميّ وخارجيّ يكون في ما بين المداخل. وتمثّل هذه الترابطات بنية المعجم الدّهنيّ الدّاخلية (لوفلت 1989، 183).

ويميّز لوفلت بين الوحدة المعجميّة³ والمدخل المعجميّ⁴. فالمدخل المعجميّ يمكن أن يتضمّن عددا من الوحدات المعجميّة المترابطة داخليًا بوجه من الوجوه

1 Repository of declarative knowledge.

2 Segment.

3 Lexical item.

4 Lexical entry.

كأن تكون تصارييفَ لفعل واحد مثلاً، أو لاسم واحد أو مشتقة من أصول حرفية واحدة. فهذه الوحدات متميزة داخلياً ولكنها منتمة إلى 'عائلة واحدة' هي المدخل المعجمي، والفويرقات بينها تقود عملية الانتقاء في تكوين الكلام، كأن يُنتقى من المدخل (ك ت ب) مثلاً وحدة من خصائصها المضي والمعلوم والتذكير والإفراد وما إلى ذلك فتكون 'كتب'.

والعلاقات بين المداخل المعجمية نوعان: علاقات ذاتية¹ وعلاقات ترابطية²:
 أ- العلاقات الذاتية: أساسها السمات المتعلقة بالمدخل المعجمي (المعنوية والإعرابية والصرفية والصوتية) وتتعلق بها المداخل المعجمية لاشتراكها فيها بعضها أو جميعها من قبيل التضمن أو الاندراج كأن تندرج 'كلب' في 'حيوان'، و'أزرق' في 'لون'، ومن قبيل كلمة وأخرى أخت لها في الاندراج كأن تندرج 'قط' و'كلب' في 'حيوان'. أو ما يكون بين وحدة وأخرى مرادفة لها أو قرينة منها في المعنى من قبيل 'عال' و'مرتفع'. وتتكون بهذه العلاقات الحقول الدلالية. كما تتربط الوحدات ترابطاً صرفياً اشتقاقياً عند اتفاقها في الجذع أو الحروف الأصول من قبيل 'وطن، وطنية، مواطن، مواطنة' وما إلى ذلك. ومن العلاقات الصوتية ما تتربط به وحدات تشترك في الصوت الواحد في بدايتها أو في نهايتها، ومثل هذا الترابط الصوتي يتجلى أحياناً في زلات اللسان أو سبق القول وما شاكلهما أثناء الإنتاج. أمّا الترابط الإعرابي فممّا يصعب إثباته مخبرياً أو إجرائياً (لوفلت 1989، 184)، وإن توفّر في الاستعمال ما به يثبت الاقتران بين بعض الأفعال وما يتعدى به الواحد منها من الحروف الأدوات، وهذا لا يمثل أساساً إحصائياً كافياً يثبت به التعلق الإعرابي بين الوحدات المعجمية.

ب- العلاقات الترابطية: هي ما تتوارد به الوحدات المعجمية دون توفر أساس دلالي ضرورة. يقوم ذلك على أساس التصاحب المتواتر في الاستعمال. كأن يتربط 'حرب' و'موت' وما من علاقة دلالية مباشرة بينهما. فكلما جرت الأولى في سياق ما واردتها الأخرى عن طريق الأولنة³ دون أن يكون

Intrinsic. 1

Associative. 2

Priming. 3

موضوع الحديث مقتضيا إياها ضرورة. ويمكن أن يتسع الترابط ليشمل كل ما يحضر في الذهن من الوحدات المعجمية عن طريق التداعي مطلقا وهو ترابط معقد تتعدد فيه الوسائط المفهومية على درجات ثم تحبو تلك الوسائط ليستوي الترابط مباشرا.

استعمال الوحدة المعجمية: استحضر أو بناء

يعرض لوفلت إلى قضية أساسية في جميع المباحث المتصلة بالمعجم من حيث كان جزءا من الجهاز المنتج للأقوال، ومدارها على ما به يكون استعمال الوحدات المعجمية وتجهيزها جزءا من الرسالة ما قبل-الكلامية. ولهذا المبحث وجه آخر يتعلق بالمكوّن المعجمي جزءا من جهاز التحليل والفهم في الكلام المسموع. وفي ذلك فرضيتان: الاستحضر¹ والبناء².

الاستحضر عود إلى رصيد موجود جاهز محفوظ بشكل ما لانتقاء وحدة صالحة للقول أمّا البناء فإجراء لآلية يكون بها توليد الوحدة المعجمية توليدا آنيا أو آن-قوليا أي زمن إنتاج القول وهو بناء مستأنف كلما كانت الحاجة إليه. ويمثل المظهران موقفين نظريين تتردد بينهما جميع النظريات المتعلقة بإنتاج القول وتحليله. وأساس الاستحضر اعتبار المعجم الذهني رصيда سلبيا من المعارف الإثباتية المتعلقة بالكلمات، أي أنّه جملة من الوحدات محفوظة في الذهن، مكتملة عدا ونوعا، خصائصها مثبتة مسجلة وهي جاهزة لتنتقى حسب الحاجة. وهذا حال قسم كبير من الوحدات المعجمية التي تمثل رصيда سلبيا جاهزا للاستعمال على ذمة المكونات النشطة من نظم معالجة المعلومات والمساهمة في الاستعمال اللغوي³ (ميلر 1978، 62).

أمّا البناء فممنطقه تساؤل في ما به يمكن لشخص عاديّ سويّ أن يعالج آلاف الوحدات المعجمية في وقت سريع جدا أثناء الإنتاج وأثناء الفهم. يضاف إلى ذلك أنّ قسما من الوحدات المعجمية مثل قائمة الأعداد الطبيعية غير منته عدا، فإذا ما تصوّرناها محفوظة في شكل قائمة في الذاكرة يستغرق حفظها زمنا مديدا ويستحيل أن يسعها الدماغ. فمن المفروض أنّ المتكلم يجري قاعدة في تركيبها عند الحاجة

Retrieving. 1

Constructing. 2

دون أن يعود إليها واحدا واحدا في رصيد محفوظ في الذاكرة (ميلر 1978، 62). ويحدث للمتكلّم ما يسمّى بالفراغ المعجمي¹ إذ تنقطع به السبيل عند البحث عن كلمة لا تحضره فينشئ كلمة أخرى قريبة منها في المعنى أو عند الحاجة إلى كلمة في شكل تصريفيّ أو اشتقاقيّ لم يسبق له أن حفظه فيعمد إلى إجراء قاعدة تصريفيّة أو اشتقاقيّة إجراء فورياً يصوغ به الكلمة على الشكل المناسب، وهو في الحالتين معتمد على معرفة عمليّة قوامها مهارة يملأ بها الفراغ بوحدة ينشئها آن القول (بوتروورث 1989، 108)². كما يتوفّر في اللّغات نماذج إصاقيّة لا يمكن أن يستقيم فيها تصوّر الرّصيد المعجميّ في شكل إثباتيّ، من ذلك اللّغة التّركيّة. وهي نموذج في تركيب الكلمات بالصّاق الصّرافم العديدة في سلسلة طويلة. فيستحيل نظريّاً أن يخرّن المتكلّم بالتّركيّة جميع التّوليفات التي تحدث بهذا الشكل، وإنّما الأولى أن تكون له معرفة تراثيّة³ معجميّة بها يركّب الكلمات ويجريها آتياً عند الإنجاز. ويكون المتكلّم في ضوء هذا مزوّداً بمكوّن حوسبيّ قويّ وظيفته التّركيب المعجميّ ينتج بها الكلمات إنتاجاً فورياً.

ومن القضايا المتّصلة بهذا، العبارات الجاهزة أو المسكوكة من حيث الحفظ أو الإنتاج. فللمتكلّم رصيد منها جزءاً من معجمه الذّهنيّ، وفيها يقترن المفهوم المفرد بعبارّة مركّبة، إذا ما قورنت بسائر الوحدات المعجميّة العاديّة، فعبارّة 'كانت تشخر زادت بف' من العاميّة التّونسيّة مثلاً بنية مقطعيّة تنغيمة موحّدة في المظهر الصّوتيّ، معناها ثخن يمثّل كلاً أو وحدة لا يمكن تفكيكها إلى معاني أبعاضها، وتجري في سياقات محدودة تفيد فيها (زاد الطّين بلّة)، فيكون استعمالها محدوداً ولا تنطبق فيها قواعد التّصريف (تبذل الصّمائير أو الأزمنة) انطباقها النّظاميّ المعهود، فيمتنع فيها ما يلي:

- كانوا يشخروا زادوا بف.
- يشخروا زادوا بف.
- ماهمش يشخروا باش يزيّدوا بف.
- كان يشخر زاد بف.

1 Lexical gap.

2 Butterworth, 1989.

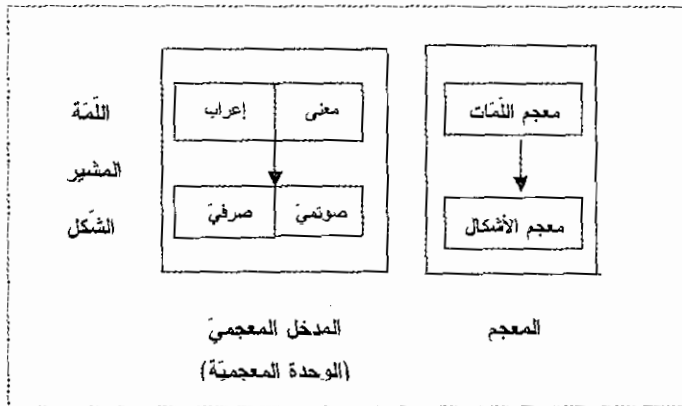
3 Procedural knowledge.

وتظلّ العبارات الجاهزة في مظهرها الذهنيّ تخزينا واستحضارا غير واضحة المعالم، فهي مداخل معجميّة يتكوّن الواحد منها من وحدات معجميّة كثيرة تنقذح انقذاح المداخل المعجميّة 'المفردة' في مستوى الرّسالة ما قبل- اللّغويّة.

تمثيل المدخل المعجمي: اللّمة والشكل الصّرفصوتي

يعتمد لوفلت جهازا في تمثيل المدخل المعجميّ قوامه ثنائيّة الشكل والمعنى، وأساسه أنّ المكوّنين منفصلان في التمثيل وفي المعالجة. وهي نوعان معالجة دلاليّة إعرائيّة ومعالجة شكلية صرفصوتيّة. وتشتغل المعالجتان مستقلّتين، في مستويين مختلفين في التّشفير فيكون التّشفير الصّرفصوتيّ أساسيّاً في تحديد المظهر الصّوتيّ - دون تدخّل المكوّن الدلاليّ الإعرابيّ. وينقسم المدخل المعجميّ في ضوء ذلك إلى قسمين: قسم يضمّ المعلومات الدلاليّة والإعرائيّة قوامه اللّمة¹ (وهي تسمية اقترحها كمبن وهويرز² (1983))، وقسم يضمّ المعلومات الصّوتيّة والصّرفيّة هو الشكل الصّرفصوتيّ³.

ويوسّع لوفلت هذه القسمة لتشمل المعجم الذهنيّ مطلقاً فيجعله قسمين: معجم اللّمات ومعجم الأشكال، وفيه تقارن كلّ لمة الشكل المناسب لها، وتقوم على هذا فرضيّة قوامها أنّ استحضار اللّمات سابق على استحضار الأشكال في تشفير الكلام. إجمال ذلك في التمثيل التّالي حيث يمثّل السّهم المشير المعجمي⁴:



Lemma(s). 1

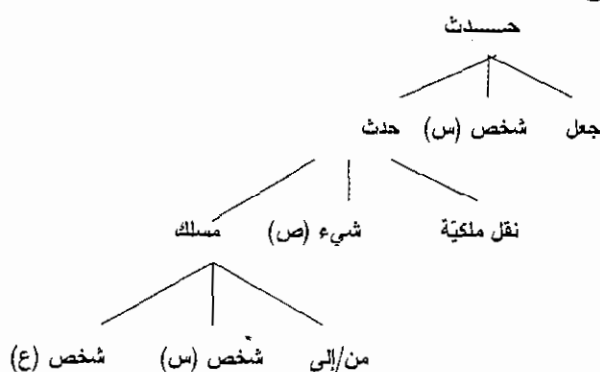
Kempen and Huijbers. 2

Morphophonological form. 3

Lexical pointer. 4

ومن أمارات انقسام الوحدة المعجمية المفردة والمعجم الذهني في عمومته إلى مستويين تمثيليين (لّمات وأشكال) ظاهرة الكلمة التي على طرف اللسان¹ حيث ينقذح المفهوم وما يتعلّق به من خصائص مقولّة إعرائية ويتعطّل الاهتداء إلى الشّكل الصّرفصوتيّ. ونفس الظّاهرة تمثّل دليلا على أسبقية استحضار اللّمة على الشّكل.

ويعرض لوفلت بنية اللّمة بما تتضمّنه من معلومات دلاليّة وإعرائية في إطار توليديّ متداول معهود يعود في عمومته إلى ما قبل الأدنوية. فالمعلومات الدلاليّة تحدّد الشّروط المفهومية التي يجب أن تتوفر في اللّمة حتّى تنقذح، فلمّة 'أعطى' مثلا تتضمّن المعلومات الدلاليّة التالية: حدث² يكون بأن يجعل³ شخص (س) حدثا تنتقل به ملكيّة شيء (ص) خلال مسلك³ ينطلق من (س) وينتهي إلى شخص آخر (ع):



وتمثّل هذه الخصائص المفهومية البنية المفهومية التي يجب أن تطابقها الرّسالة من حيث أبنيتها الفرعية. فعناصر هذه البنية متغيّرات (س، ص، ع) تتعلّق بالواحد منها واحدة من الوظائف هي الأدوار الدلاليّة. وتحدّد المعلومات الإعرائية وما يستتبعه ذلك من وظائف نحويّة وخصائص إعرائية، فلمّة 'أعطى' فعل نوويّ يمثّل مصدر الوسم الإعرائيّ ويحمل علامات التّصريف المناسبة:

أعطى تحديد مفهوميّ: جعل (س)، (انتقال ملكيّة (ص)، (من/إلى (س، ع)).

Tip-of-the-tongue. 1

Cause. 2

Path. 3

الموضوعات المفهومية:	(س، ص، ع)
المقولة الإعرابية:	ف (فعل)
وظائف نحوية:	(فاعل، مف، 1، مف، 2)
برامترات تصريفية:	زمان، مظهر، جهة، شخص، عدد، نبرة، إلخ.
وباكتمال ركني اللّمة ينقدح المشير المعجمي ليكون التّقارن المناسب بينها وبين الشّكل الصّرفصوميّ "أعطى".	

الاهتداء المعجمي

يمثّل مبحث الاهتداء المعجمي¹ إلى الكلمات مبحثا أساسيا في إنتاج الأقوال، وقوامه قضيتان هما: كيف يتحدّد الاهتداء من زاوية مفهومية؟ وكيف يجري ذلك الاهتداء أي كيف يتمّ الاختيار بين الكلمات بمراعاة نسق الكلام السريع؟

وتبلغ سرعة المتكلم العاديّ 150 كلمة في الدّقيقة الواحدة فمعدّل دفع الكلام كلمة في كلّ 400 مليثانية، ويمكن أن يتضاعف ذلك الدّفق في حال السّرعة العالية فيكون كلمة كلّ 200 مليثانية. هذا من زاوية الدّفق، أمّا الاختيار فمداره أنّ المتكلم الكهل يملك في رصيده المعجميّ 30 ألف كلمة تقريبا وعليه أن يختار الوحدة المعجميّة المناسبة من هذا الرّصيد. فله 30 ألف إمكانيّة اختيار ولكنّه لا يجد مشكلا أو تباطؤا في ذلك رغم سرعة الكلام. يمثّل جميع ذلك مهارة عرفيّة مشتركة بين النّاس، ورغم ذلك تندر زلّات اللّسان. فقد وجد قارنهام وجماعته² (1982) في إحصاء شمل نصوصا بلغ عدد الكلمات فيها 200 ألف، 191 زلّة لسان فقط، وهو ما يناسب زلّة واحدة لكلّ ألف من الكلمات تقريبا. ويفرض مثل هذا الواقع قيودا على كلّ نظريّة في الاهتداء ذلك أنّ عليها أن تراعي في ما تقيمه من الفرضيّات ثالوثا من المظاهر: اتّساع الرّصيد وسرعة الكلام وندرة الأخطاء.

وفي المعالجة الذهنيّة أثناء إنتاج الأقوال فرضيتان أساس الأولى المعالجة المتوازية³ وأساس الثّانية المعالجة المتراكزة⁴.

1 Lexical access.

2 Garnham & al. 1982.

3 Parallel processing.

4 Convergence.

ويتوقف لفرضية التوازي حجج عديدة أساسها سرعة المعالجة الفائقة أثناء إنتاج الأقوال. ويكون من الخطأ أن نتصور أن الاهتمام إلى لمة ما يقتضي استعراضا تنابعيا لجميع اللّمات، وهي تعدّ بالآلاف في المعجم الذهني، يستقصيها واحدة واحدة إلى أن يكون العثور على الوحدة المناسبة منها، لما يقتضيه ذلك من زمن في المعالجة طويل. ويستتبع ذلك آلاف عمليات الفحص إلى أن يكون العثور على اللّمة المناسبة وهذا تعارضه سرعة الكلام الفائقة الظاهرة.

ومن الحجج الأخرى التي تسند المعالجة المتوازية ظاهرة المزج وهي من زلات اللسان المتواترة وفيها يكون انقذاح بالتوازي بين وحدتين معجميتين متقاربتين في المعنى أو في الشكل فيكون المنجز لفظا فيه بعض ممزوج من الوحدتين.

أمّا فرضية التراكز فقوامها التقارن الأحادي بين اللفظ والمعنى أي أن اللفظ الواحد مقترن بمعنى واحد اقترانا شرطيا يثار الواحد بحضور الآخر، ونفي للتّرادف المطلق. وأساس هذا التقارن انقذاح مباشر للشكل الصرفصوتي انطلاقا من المفهوم، حيث يثير كلّ مفهوم شكلا صرفصوتيا مخصوصا به في الذاكرة، وفي هذا تفسير للسرعة الفائقة في الكلام وقلة زلات اللسان مقارنة بذلك.

ومن النماذج البارزة الدّاعمة لفرضية التراكز في الاهتمام المعجمي أسماء الأعلام حيث لا يحتمل انقذاح اللّمة خيارا بين شكلين أو أكثر وإنّما يكون بالاقتران الرّاسي بين الاسم ومسمّاه واحدا بواحد، وهذا ما يجعل العملية على غاية من السرعة والثبات.

جهاز المعالجة اللّغوية

يتكوّن جهاز المعالجة اللّغوية من جملة من النّظم تشغل متوازية متفاعلة في تزامن للواحد منها دخل يستلم به مادّة يحوّلها أو يركّبها أو يحلّلها فستوي خرجا له يكون دخلا لما يليه من النّظم. فإذا تمثّلنا الكلام إنتاجا اقتضى ذلك أن يكون له مادّة تتحوّل ومراحل يسلكها ذلك التّحوّل وعناصر تشغل بإحداث ذلك التّحوّل على امتداد تلك المراحل. فالجهاز تمثيل لهندسة تبين بها العناصر

من حيث مواقعها ووظائفها وتفاعلها وجميعها مفترض في الذهن. وهو جهاز يفترض وجوده عند المتكلم مطلقاً في مظهره مرسلًا للخطاب ومتلقياً له أو منتجاً ومحللاً أو عبارة متداولة مركباً ومفككاً. وهو في الحالين مجهز بالآليات واحدة يشاركه فيها بنو جنسه. والمعالجة اللغوية جزء من المعالجة العرفية العامة وإن تميزت بعدد من الخصائص تبعاً لطبيعة الوحدات الرمزية اللغوية التي تشغل عليها.

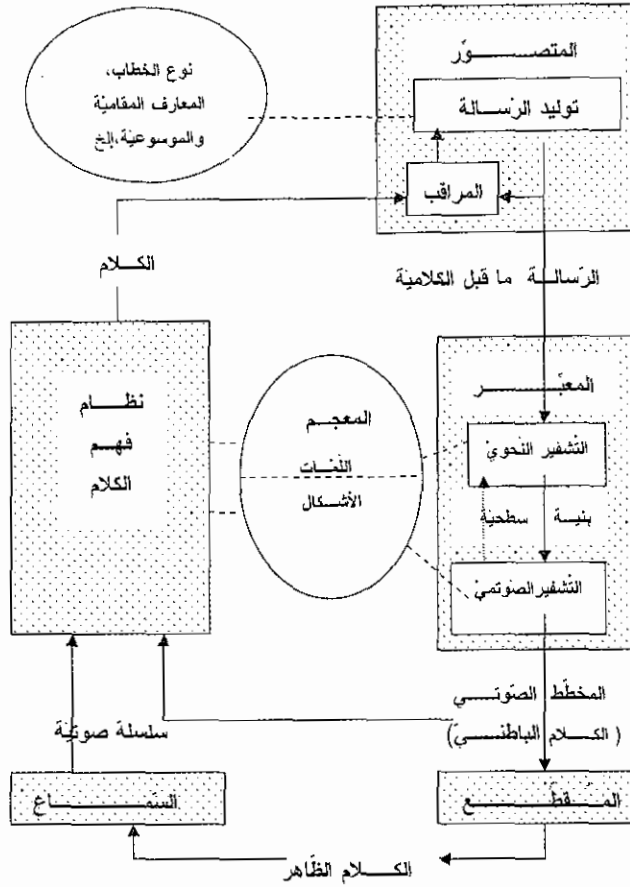
يتكوّن الجهاز من أربعة من المكونات (لوفلت 1989، 8-28):

- أ- **المتصور**: يمثل المتصور¹ ما يطلق عليه 'النظام العرفي' حيث تنشأ جميع المتصورات (المفاهيم) وتحفظ ويجري التوليف بينها. ويضمّ القصد إلى الكلام بما يصاحب ذلك من انتقاء المعلومات التي يراد التعبير عنها وترتيبها وفق ملابسات المقام ومقتضياتها التواصلية وجميع العمليات العرفية العليا في علاقتها بالذاكرة والانتباه والتخطيط وما إليها. وتنشأ في هذا المستوى الرسالة ما قبل-الكلامية، أو عبارة أخرى يتهيأ المضمون الذهني ويكتمل قبل أن يأخذ تشكلاً لغوياً إذ يمكن تأديته أو تشكيله بأدوات أخرى من قبيل الإشارة أو الرسم أو ما شابه من الموارد الرمزية.
- ب- **المعبّر**: يمثل المعبر² نظاماً به تكون صياغة الرسالة ما قبل-الكلامية صياغة لغوية أي تشفيرها تشفيراً نحوياً بالاهتداء إلى اللّامات (المظهر المعنوي الإعرابي) من المعجم وإجرائها في أبنية مقولية إعرابية تتشكل بها الرسالة في بنية سطحية تكتمل باشتغال المشفر الصّرفصوتي الذي يتولّى تكوين المخطط الصّوتي بالاهتداء إلى المعلومات الشكلية التي للوحدات المعجمية، وهو ما يتحوّل بعد ذلك إلى حركات نطقية بفعل المقطّع. وفي هذا الطّور تستوي الرسالة كلاماً داخلياً يكون دخلاً للمكوّن اللاحق.
- ج - **المقطّع**: يتولّى المقطّع³ إنجاز المخطط الصّوتي وتقسيمه إلى وحدات نطقية تحقّقها أعضاء النطق والتصويت بآباء الأوامر العصبية-العضلية التي بها يتحوّل المخطط إلى كلام ظاهر.

Conceptualizer. 1

Formulator. 2

Articulator. 3



د - نظام فهم الكلام أو المحلل: يمثل نظام فهم الكلام¹ (أو المحلل) آلية يكون بها تمكين النظام التصوري من استرجاع² كل من الكلام الداخلي والكلام المنجز الظاهر وذلك لتحقيق المراقبة الذاتية وبها يراقب المتكلم نفسه من حيث ما قصد في مستوى المتصور وما صاغ في مستوى المعبر وما بلغ في مستوى الكلام الظاهر المسموع. فالتكلم يسمع نفسه ويفهم كلامه كما يفعل سامعه وهذا يمكنه من المراقبة الذاتية بالإصلاح إن أخطأ وبالتصحيح إن زلّ لسانه وما إلى ذلك.

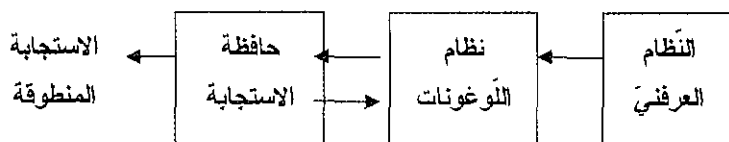
Speech-comprehension system. 1

Feedback. 2

ويذهب لوفلت إلى أن جميع هذه المنظومات متعامل بحول الواحد منها دخلا يصله من سابقه إلى خرج يسلمه إلى لاحقه وفق وظيفته المخصوصة كما يبين في (3).

نظرية اللوغونات

تمثل نظرية اللوغونات¹ نظرية عامة في الاهتمام المعجمي في إنتاج الكلام وفي تحليله، تبلورت في أعمال مورطون² من خلال العناية بالتعرف على الكلم، جزءا من تحليل الكلام، ثم توسعت في أبحاث عديدة أخرى لتشمل الإنتاج. ويتكوّن جهاز إنتاج الكلام (لوفلت 1989، 202 وما بعدها) في نظرية اللوغونات من أربع محطّات: النظام العرفي ونظام اللوغونات³ وحافطة الاستجابة⁴ فالاستجابة المنطوقة⁵:



والنظام العرفي موطن لجميع الوظائف المفهومية والتحوّية وللوظائف الذهنية الرمزية العليا. وهو مصدر للمعلومات التي تثير اللوغونات. وتمثل كل وحدة معجمية في الذهن في شكل لوغون، واللوغون آلية تجمع المعلومات أو المؤشرات التي يكون بها سبر صلاحية كلمة للتعبير عن مفهوم ما. فهو يسجل كل معلومة يمكن أن تثبت بها صلاحية كلمة لذلك المفهوم. وتنشط اللوغونات جميعها بصفة متوازية متزامنة في السبحث عن المعلومات المخصوصة بكل واحد منها، فنظام اللوغونات آلية قوامها الاهتمام المتوازي. ولكل لوغون عتبة⁶ إثارة إذا ما تجاوزتها المعلومات المجمعة انقذ ذلك اللوغون أي يجعل الشكل الصرفصوتي متوفرا للاستعمال، فيرسل عندئذ اللوغون شفرة صوتية إلى ما يسمى بحافطة الاستجابة حيث تستقر تلك الشفرة زمنا وجيزا لتصدر حافطة الاستجابة الأوامر النطقية

-
- | | |
|------------------|---|
| Logogen Theory. | 1 |
| Morton. | 2 |
| Logogen system. | 3 |
| Response buffer. | 4 |
| Spoken response. | 5 |
| Threshold. | 6 |

الحركية لإحداث الاستجابة المنطوقة وينزل عندها مستوى نشاط اللوغون إلى درجة الصفر، كما يمكن أن تُعيد حافظة الاستجابة الشفرة الصوتية إلى نظام اللوغونات حيث ينشط اللوغون المعني من جديد لترتفع عتبة الإثارة فيه ويرسل الشفرة الصوتية نفسها من جديد إلى حافظة الاستجابة. ويمكن لهذا الأمر أن يستمر طويلا بشكل يضمن بقاء الشفرة الصوتية متوفرة جاهزة للاستعمال وإن لم يكن من الممكن نطقها نطقا فوريا، ويحدث هذا في درج الكلام العادي حيث تستحضر الكلمات استحضارا فوريا متزامنا متوازيا وإن تأخر زمن نطقها عن ذلك لما تقتضيه عملية النطق من ترتيب للكلمات مناسب في خطبة الكلام. فجميع اللوغونات التي يقتضيها إنجاز جملة تامة - مثلا - تنشط متزامنة متوازية وتستوي جاهزة للنطق استواء واحدا في حافظة الاستجابة، ولكن قد يقتضي التقطيع ترتيبها بوجه ما لأسباب عديدة، فيظل جميعها نشطا جاهزا في حافظة الاستجابة ريثما يكون دوره في الإنجاز.

وترتبط عتبة الإثارة في كل لوغون بدرجة التواتر التي تكون في إنشائه وبالفاصل الزمني ما بين أوان إثارته وآخر ما أثير فيه ذلك اللوغون في ما مضى. وأمارات ذلك الإجرائية ما يكون من وقفات أو تردد في الكلام عامة أو في بعض الكلمات المخصوصة تبعا لعدد من العوامل من أبرزها طبيعة الكلمة من حيث تواترها أو ندرتها وكذلك ملابسات المقام ومقتضياتها، وتفسر نظرية اللوغونات الفوارق الزمانية الكائنة في استحضار الكلمات وفق التواتر في الاستعمال، فالتواتر من اللوغونات ذو عتبة يبلغها سريعا فيكون إنشائه سريعا، أما التادر أو ما كان ذا تواتر محدود فذو عتبة عالية ولذلك يقتضي إنشائه زمنا أطول.

خاتمة

يقوم إنتاج الكلام - عند لوفلت - على مخططين: الأكبر والأصغر. يلور المخطط الأكبر القصد التواصل من حيث الأهداف الرئيسية والأهداف الثانوية ويتقني المعلومات التي يتحقق بالتعبير عنها كل واحد من الأهداف. وتشكل الرسالة في المخطط ببناء المعلومات بوجه يبين به القصد التواصل عند السامع. ويضم جهاز المعالجة اللغوية نظاما تشغل متوازية متفاعلة متزامنة. والمعجم الذهني قمران: معجم اللمات ومعجم الأشكال، وفيه تقارن كل لمة الشكل المناسب لها،

وإذ تضمّ اللّمة المظهر المعنويّ الإعرابيّ يكون استحضارها سابقا على استحضار الأشكال في إنتاج الكلام. ولعلّ المباحث المتعلّقة بالمعالجة اللّغويّة مستفيدة منقادة بالنظرية اللّسانية منطلقا وهي مفيدة إيّاها من حيث مثّلت تركيزا لما تسطرّه نظريّا أو تحويرا لتنتائجها في ضوء ما يتحقّق من تجارب مخبريّة بوسائل الدّرس التّفسيّ وما إليه.

في النظريات اللسانية "المفهومية"

مقدمة

يجتمع في هذا الباب عدد من النظريات أو المناويل اللسانية العرفية تتفق في عدد من الخصائص لعل أهمها عدم التسليم بالشكلنة في الوصف والتحليل ورفض اعتبار اللغة مكوناً مستقلاً بذاته عن سائر المكونات الذهنية، وفي عنايتها بالدلالة في جميع مظاهرها جزءاً من التصورات العرفية العامة. وقد راجت بعض هذه النظريات رواجاً كبيراً في العالم كان صداه في البلاد العربية لما فيها من عناية بمشاغل تجمع بين الكثير من المواضيع تمثل الاستعارة مدارها الأساسي.

ويكون أول الفصول في النحو العرفي (لانفاكر) بما يقوم عليه من تصور للنظرية اللسانية من حيث طبيعتها ووظيفتها ومن تصور للنحو ملكة تصويرية هي أداة في تمثيل العالم وتمثيله على أساس أبعاد مضبوطة ماثلة في جميع المجالات، لعل أهمها المسح العرفي، وما يقوم عليه النحو والدلالة من مظاهر في الانتظام وتركب الكلم وفق الأقسام النحوية والأبنية الصرفية التركيبية.

ومدار الفصل الثاني، نظرية الاستعارة المفهومية (لايكوف) وقيامها في إطار ما به تجاوزت الرؤية الواقعية التجريبية الرؤية الموضوعية في الفكر والفلسفة والدلالة، وعلى اعتبار الاستعارة عملية عرفية مركزية في اشتغال الذهن يكون بها تمثل مجال ما على أساس مجال آخر بتوسط آلية الإسقاط الاستعاري متجلياً في عدد من المظاهر محكوماً بعدد من المبادئ الأساسية، فالإسقاط قوالب من التناسبات الأنطولوجية كائنة ما بين المستويات العليا من المقولات، محكومة بالحفاظ على الأبعاد الطوبولوجية (مبدأ الثبات).

وأما ثالث الفصول فقد ضمّ مبحثاً يمكن أن تندرج فيه نظريات عديدة لتعلّقه بالتصوير الذهني وهو مشغل نفسي عرفي أساساً اعتمدته جملة النظريات اللسانية العرفية التصويرية وإن بنسب مختلفة. ولذلك جعلناه فقرات تنير الإطار العام المفهومي التاريخي في تبلور مفهوم الخطاطة نشأة واشتغالاً، ولعل أبرز مظهر في

جميع ذلك اعتبار الخطاطات أطرا للفكر ولاشتغاله وأساسا في تكوّن المناويل العرفيّة عند لايكوف.

وخصّص الفصل الرابع لمبحث طبع العرفيّات ومثّل مظهرها من مظاهر عديدة كان بها التّجديد بعودة الجسد الغائب في ما يُعرف بنظرية العرفنة المجسّدة أو الذّهن المجسّدن، بما لذلك من مفاهيم ومظاهر باعتماد نماذج مختلفة بعضها استعاريّ وبعضها ممّا يجري في الحياة اليوميّة البسيطة ممّا عداها.

ويتناول الفصل الخامس ما يتعلّق بالخطاب (النّصّ) من القضايا العرفيّة في نظرية الأفضية الذّهنيّة (فوكونيائي) من قبيل الرّوابط العرفيّة والعلاقات الرّابطة بين العالم المتصوّر ونظيره في الواقع والعلاقات العاملة في المجاز المرسل وما به يكون الاهتداء إلى المدلول المعنيّ في حال استعمال دالّ آخر ليس له في الأصل، وما به تبني الأفضية الذّهنيّة من آليّات وأدوات باعتماد نماذج من اللّغة العربيّة جملا ونصوصا.

ويكون آخر الفصول في نظرية المزج من حيث مثل المزج ملكة عرفيّة وما يتّصل بذلك من مجالات المزج وقضايا فهم إنتاج المعنى مطلقا والجديد خاصّة بما ينشأ من ذلك من شبكات المزج المفهوميّ.

النحو العرفي

تعود البوادر الأولى في بلورة النحو العرفي عند لانكاكر إلى منتصف السبعينيات من القرن الماضي، ومن المعروف أن هذه الفترة شهدت حركة كبيرة تسعى إلى تجاوز المآزق التي تردت فيها النظرية اللسانية في الكثير من المستويات من حيث المبادئ النظرية العاملة ومن حيث انحسار القدرة التفسيرية وقصورها عن الإحاطة بما يكون من الظواهر في اللغة الواحدة وبما يكون من تعدد الأنماط بتعدد اللغات. فقد مثل الربع الأخير من القرن الماضي فترة زاهرة في الأبحاث اللسانية إذ استوت اللسانيات مبحثاً علمياً بين العالم واضح الحدود ضمن شجرة العلوم، وانجذب إليها عدد كبير متزايد من الباحثين في مختلف الاختصاصات بحثوا في الظاهرة اللغوية باعتماد مقاربات عديدة وتقنيات متنوعة. فنتج عن ذلك أن عرفت اللسانيات في تلك الفترة - وهو متواصل إلى اليوم - شمولاً وامتداداً لا سابق لهما من حيث الإلمام الفعلي باللغات البشرية ومن حيث العمق في تحليل الأبنية اللغوية.

ولكن العديد من اللسانيين كانوا غير راضين عما وصلت إليه اللسانيات عامة والنظرية اللسانية خاصة من تفتت وتضارب. فغياب الوفاق في النظرية اللسانية بين من خلال تضارب النظريات المختلفة ومن خلال تكاثرها وتناسلها المسترسلين. فقد غلب على الكثير منها ضيق في التناول فتقام على ظاهرة محدودة أو قسم محدود من نظام محدود، وغلب عليها كذلك الافتقار إلى الطبيعية فتتكفى النظرية على ذاتها في نوع من الانغلاق تتسع له المسافة بين الجهاز فيها وموضوعه، فغاب لذلك الإطار النظري القادر على صهر المعرفة المتزايدة في مظهرها التوعّي من حيث الإلمام باللغات الطبيعية، والتحليلي من حيث الإلمام بخصائص البنية اللغوية. وفي هذا الإطار ظهرت بوادر النحو العرفي¹ كما تبلور في أعمال لانكاكر². وقد

Cognitive Grammar. 1

Langacker, Ronald W. 2

كان في بداياته يفكر في تسمية نظريته بنحو الفضاء¹ لكن بعض اللسانيين اقترح عليه تغيير التسمية، بالاستعاضة عن الفضائي بالعرفي خشية أن لا يُحمل منواله على الجد (لانفاكر 1987، iv).

النظرية اللسانية: طبيعتها ووظيفتها

لعلّ أبرز ما يقترحه لانفاكر من أسس تعارض المعهود في النظرية اللسانية يتمثل بإيجاز في ما يلي: يعتمد لانفاكر مفهوم التصوير² في تحليل المعنى في حين يعتمد جمهور اللسانيين في ذلك جهازا مشتقا من المنطق الصوري³. ولا يقبل لانفاكر الانفصال بين الإعراب والدلالة خلافا لسائر النظريات التي تتصور الإعراب مكونا شكليا قائما بذاته. ومن المفروض عند لانفاكر أن تكون النظرية اللسانية وصفا متكاملا يجمع بين مختلف المظاهر في البنية اللغوية خلافا للمتداول من نزعات إلى أن تكون النظرية الواحدة مختصة بمظهر واحد، وهو سبب أساسي في تكاثر النظريات الجزئية. ويذهب لانفاكر إلى أن تحديد المفاهيم الأساسية وتوضيحها يمثل المبحث الجوهرى في النظرية اللسانية، وهو - في رأيه - أولى من الولع بالشكلنة والحجاج الدقيق لإقامة النظريات ودعمها.

من ذلك أن المشترك بين النظريات تسليم بكون اللغة نظاما مكتفيا بذاته يقبل الشكلنة إلى حد كبير من حيث كان مستقلا عن سائر المظاهر العرفية، واتفاق في اعتبار الإعراب مظهرا مستقلا بل مركزيا في النظام اللغوي منفصلا عن المعجم وعن الدلالة، واعتماد المنطق الصوري في وصف الدلالة وصفا قائما على شروط الصدق⁴. وجميعها عند لانفاكر مبادئ قائمة على أساس خاطئ. فاللغة ليست نظاما مكتفيا بذاته ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليات العرفية، ولا يمكن تفسير السلوك اللغوي دون اعتبار آليات المعالجة العرفية. فاللغة جزء لا ينفصل عن العرنة البشرية، ومن المفروض على كل تفسير لساني أن يكون ملائما لما هو معلوم ثابت في المعالجة العرفية العامة ملتزما به. فالمملكة اللغوية مركوزة في المولدة النفسية العامة وهي تمثل تطورا واستقرارا لأبنية ذهنية عرفية عامة تستوي نظاما لغويا

Space Grammar. 1

Imagery. 2

Formal logic. 3

Truth-conditions. 4

مخصوصا أثناء الاكتساب وأثناء توظيفها في التواصل اليومي. وهي في جميع ذلك مرتبطة بعوامل التجربة ومحكومة بظواهر نفسية ليست لغوية في طبيعتها، فلا يمكن الفصل بين الملكة اللغوية وسائر المظاهر في المعالجة العرفية. ولجميع ذلك يرى لانقاكر أن السعي إلى التأليف بين نتائج البحث اللساني ونتائج علم النفس أولى من السعي إلى الفصل بينهما. ويرى أنه فصل ناتج عما غلب على الدرس اللساني من اصطناع وافتعال سلبا الموضوع والنظرية طبيعتهما.

ويمثل مفهوم الطبيعية¹ غاية تطلبها النظرية اللسانية وأساسا يقوم عليه تقييمها، فالوصف الطبيعي ما قام على معالجة للمعطيات في ذاتها وانطلاقا منها بأن يكون تناولها من حيث تراؤها وتنوعها ومن حيث لطافتها ودقتها ومن حيث بساطتها وتركبها دون خرق لانتظامها الطبيعي ولا فصل لمظهر منها عن آخر باصطناع حدود لا وجود لها في واقع الأشياء. والنظرية الملائمة ما كانت موافقة لطبيعة الموضوع، ولذلك كانت النظريات الشكلية قاصرة عن إدراك طبيعة الظاهرة اللغوية لاتخاذها الشكلنة وسيلة وغاية جعلت من نتائجها مصطنعة مبتورة. ويكون في تصور اللغة جزءا من العرفنة سبيل إلى بناء نظرية لسانية عرفية طبيعية. وإن كان لانقاكر يسلم بأن الطريق إلى ذلك طويل.

والبنى النحوية لا تكون نظاما شكليا مستقلا بنفسه وإنما هي بني رمزية تخدم المضامين المفهومية من حيث تشكلها وترمز إليها. ولا يستقيم الانتظام الثنائي القائم في الدرس اللساني فلا يوجد تفاصيل مطلق بين الطرفين في الثنائيات التي حكمت الدرس اللغوي منذ القدم والخلل في قيام هذه الثنائيات إنما يكمن في اعتماد موقعين طرفيين متقابلين من الاسترسال يتخذان آلية في التحليل والتفسير، ويهمل ما بينهما من الدرجات. فالمعجم والصرف والإعراب يمثل جميعها استرسالا من الوحدات الرمزية وما الفصل بينها إلا فصل اعتباطي، فتحليل الوحدات النحوية دون اعتبار الدلالة هو بمثابة وضع قاموس دون إثبات معاني الكلمات. والتحليل الدلالي الشكلي القائم على شروط الصدق غير مفيد ولا مناسب لوصف المعنى في العبارات اللغوية، ذلك أن الأبنية اللغوية في تصورهما مرتبطة بنظم معرفية وهذه النظم مفتوحة من حيث مجالها ولا متناهية في حدودها كما هو معلوم. كما أن القيمة الدلالية في عبارة ما لا تعكس المضمون الكائن في موقف جرى تصوره فقط بل تعكس الوجه الذي

به كان تنضيد ذلك الموقف وبناءؤه، ويطلق لانفاكر على القدرة التي بها يكون تنضيد المواقف أو الوضعيات وبناءؤها على وجوه مختلفة تسمية "التصوير".

النحو التصوري

يمثل المعجم والنحو استرسالا من الوحدات الرمزية، والنحو تماما مثل المعجم يوفر ما به يكون تنضيد المضامين المفهومية وترميزها. والنحو على هذا تصوري¹ بالأساس. فالمتكلم، عندما يستعمل وحدة أو بنية نحوية مخصوصة إنما ينتقي صورة² مخصوصة بها ينضد الموقف الحاصل في ذهنه لغايات تواصلية. وباختلاف اللغات من حيث نظمها النحوية تختلف أنماط التصوير الذي يجريه المتكلمون بها في اقتدائهم بالمواضيع اللغوية. ولا يعني هذا الاختلاف أن البنية المعجمية والبنية النحوية تفرضان قيودا على العمليات الذهنية، فالبنية اللغوية لا تقيد عمل الذهن، وإن كان لها أثر فيه فهو على غاية من السطحية.

فالوارد الرمزية في لغة ما توفر عددا كبيرا من الصور البديلة في وصف مشهد ما، ويمكن في المطلق التحول من الواحد إلى الآخر دون ضير وبسهولة كبيرة، وهذا الأمر ممكن في جميع الأحوال بما في ذلك الجملة الواحدة. فتعدد الجمل أو أشكال التعبير هذا عائد إلى تعدد زوايا التصوير المنصبة على الواقعة الواحدة دون أن تكون الجملة الواحدة مشتقة من أخرى، إذ الواقعة واحدة والمتعلق بها من الأبنية التصويرية البدائل متعدد. وعلى هذا لا وجود للبنية العميقة ولا لتحويلات بل لا داعي إليها من حيث الجانب العملي الافتراضي. مثال ذلك في (1):

(1) أ. أهدي زيد كتابا إلى عمرو.

ب. أهدي زيد عمرا كتابا.

يعتبر لانفاكر الجملتين (1-أ) و(1-ب) مختلفتين معنى من حيث تتحقق في الواحدة منهما صورة تختلف عن تلك المتحققة في قرينتها. فهما صورتان مختلفتان لواقعة واحدة هي الإهداء. فمضمون الواقعة هو نفسه فيهما (زيد، عمرو، كتاب)، والاختلاف بينهما كائن في ما يكون في الواحدة منهما من بروز نسبي لواحد من مظاهر الموقف المركب الذي تمثله الواقعة.

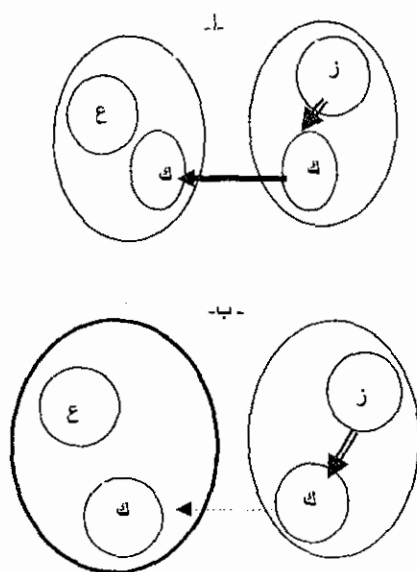
1. Imagic.

2. Image.

ففي (أ-1) يعبّن الحرف 'إلى' المسلك الذي أتبعه الكتاب، فيكون المسلك أبرز المظاهر المكوّنة للواقعة في الجملة. أمّا في (ب-1) حيث لا وجود لحرف الجرّ وحيث يتوفّر ترتيب آخر هو ترتيب ضروريّ لعناصر المتعمّات (عمرو + كتاب)، تكون الملكيةّ أبرز المظاهر حيث يرمز إليها غياب الوسائط الحرفيّة بين الطّرفين (المالك والمملوك) المتعلقين تعالقاً رأسياً. فالجملة (أ-1) قائمة على بيان المسلك¹ في واقعة الإهداء، وأمّا الجملة (ب-1) فقائمة على بيان المال أي حصول الهدية عند متقبّلها. فالجملتان تتفقان من حيث عناصر الواقعة ولكنهما تختلفان في نقلها: مضمون (ب-1) كائن بعد مضمون (أ-1) على أساس التّرتيب الطّبيعيّ بين المسلك والمال.

ويمكن التّمثيل لمضمون كلّ من الجملتين في ما يلي حيث (ز: زيد، ع: عمرو، ك: كتاب، السّهم ذو الخطّين: عمليّة الجعل، السّهم ذو الخطّ الواحد: حركة الانتقال، الحلقات: مجال الملكية)، فيكون في (أ-2) تمثيل لمضمون الجملة (أ-1) حيث يشير السّهم الغليظ إلى حركة الانتقال محطّ العناية والبروز بحضور حرف الجرّ 'إلى' المعبّر عن الاتّجاه. ويكون في (ب-2) تمثيل لمضمون الجملة (ب-1) حيث تشير الحلقة الدّائرة بالخطّ الغليظ إلى حلول الملكية عند عمرو وذلك محطّ العناية والبروز بغياب حرف الجرّ:

(2)



الدلالة في النحو العرفني

يطلق لانفاكر 'دلالة' على كل مادة تصوّريّة تمثّل مفهوما ممكنا، فالدلالة عنده هي التّصوّر¹ في معناه الواسع. وموضوع علم الدلالة البحث في الأبنية التّصوّريّة وتحليلها وغايته تقديم الأوصاف الظّاهرة لانتظامها. وإذا كانت الأبنية التّصوّريّة كامنة في المعالجة العرفنيّة² ومادة لها كانت الغاية القصوى لعلم الدلالة تحديد مختلف الأنماط³ التي تكوّن الوقائع العرفنيّة⁴ من حيث كانت الواحدة منها تجربة ذهنيّة⁵. وهذه غاية بعيدة المنال صعبة، ولكنّ ذلك لا يمنع من السّعي إلى البحث فيها ولا من اعتماد الأساس التّصوّريّ في تمثّل المعنى ودراسته.

ومن نماذج الدّراسة في الدلالة ظاهرة الاشتراك الدلالي⁶ وهي من أخصب المجالات التي يُبين فيها المدخل التّصوّريّ عن كفاءته. فمن الثّابت أنّ درجة الاشتراك الدلاليّ تناسب درجة التّواتر فما تواتر من الوحدات اللّغويّة تواترا عاليا كان محلّ اشتراك، ومن الثّابت كذلك أنّ دلالات الوحدة المشتركة تكوّن شبكة ترابط عناصرها بتوسّط أنواع متعدّدة من العلاقات، وهذا التعدّد في التّناول التّصوّريّ عائد إلى معنى خطاطي⁷ - على غاية من التجريد والإطلاق - يمثّل المنطلق في تبلور مختلف الخطاطات وفي تحقّقها.

فكلمة 'ring' في الإنجليزيّة ذات قيمة خطاطيّة هي/وحدة دائريّة/، وهذه القيمة الخطاطيّة تتحقّق في معان خصوصيّة منها/علامة دائريّة/تتحقّق في ما يكون لـ'خاتم السّلطان' أو غيره، ومنها/شيء دائريّ/يتحقّق في 'خاتم الإصبع'، كما يتحقّق في ما ليس من الضّروريّ أن يكون دائريّا من قبيل 'حلبة' الصّراع أو الملاكمة. وهذه التّحقّقات ناتجة عن طريق الاتّساع⁸.

Conceptualization. 1

Cognitive processing. 2

Pattern(s). 3

Cognitive event(s). 4

Mental experience. 5

Polysemy 6

Schematic. 7

Extension. 8

فالمعنى الخطاطي [وحدة دائرية] تتعدد تحقيقاته في عدد من المعاني منها 'علامة' و'شيء' ثم بتوسط الاتساع يمكن أن تتوسع التحقيقات بعضها أو جميعها إلى معانٍ أخرى من قبيل 'حلبة' المتصلة في آن بالتحققين/علامة دائرية/و/شيء دائري/.

وتمثل شبكة الدلالات المعجمية بعناصرها وعلاقاتها كلا متكاملا، ولكن المكونات فيه متفاوتة من حيث البروز والإفادة العرفية. ففي كل شبكة يترشح معنى ليشغل موقع المقولة الطراز¹، ومن هذا الطراز تنفرع المعاني الأخرى المنتمة إلى الشبكة تنفرعا شعاعيا² كما يذهب إلى ذلك لايكوف³ (1987) فيكون في ضوء ذلك معنى/قطعة من المعدن الكريم دائرية الشكل تجعل في الإصبع/طرازاً في شبكة 'ring'. لكن ذلك لا يمثل عند لانفاكر حلاً مقبولا من حيث لا يمكن العود بمعرفة المتكلمين بالمعنى المقترن بوحدة معجمية ما، إلى بنية مفردة واحدة هي الطراز أو أقصى الخطاطات تجريداً - إن كانت - بل تكمن تلك المعرفة في تلك الشبكة من حيث هي كل متكامل. وفي خلاف هذا يستحيل التكهّن على وجه التدقيق انطلاقاً من بنية مفردة بالمسلك الذي اشتغل من مسالك الاتساع في البنية الشعاعية وبلغ مرتبة الاستقرار في المواضع اللغوية. فالمعنى - عند لانفاكر - لا يمكن تمثيله على أنه حزمة من السمات الدلالية⁴ ولا يمكن الإحاطة به باعتماد الأوليات الدلالية⁵. فالأبنية الدلالية تتعين في علاقتها بمجالات عرفية⁶ حيث يؤخذ الجمل على أنه كل تجربة إدراكية وكل مفهوم أو مركب مفهومي⁷ وكل نظام معرفي قائم، وما إلى ذلك.

ومنطلق الوصف الدلالي هو أن كل تعبير لغوي يمثل وحدة مركبة يمكن أن تكون ذات مظهر موسوعي، ويعود هذا المنطلق إلى ما تقتضيه المفاهيم أو التصورات من المفاهيم الأخرى في تحليلها وتحققها اقتضاء ما قبلها. فالمفاهيم المركبة تنظمها سلمية⁸ بل سلميات من التركيب المفهومي، مأخوذة في مستوى من المستويات، إنما تتأسس على عمليات تجري على الأبنية الكائنة في المستوى الوارد دونه مباشرة، وهذه

Prototype.	1
Radial.	2
Lakoff.	3
Semantic feature(s).	4
Semantic primitive(s).	5
Cognitive domain(s).	6
Conceptual complex.	7
Conceptual hierarchy.	8

العمليات عرفتية بما في ذلك عمليات العطف بين الأبنية. ولا يستلزم لانقار في شأن ما يتوفر في المستويات الدنيا من السلمية المفهومية ولكنه يفترض وجود عدد من المجالات الأساسية¹ وهي عبارة عن تمثيلات للأفضية البسطى أو الحقول المفهومية المفردة التي لا تقبل القسمة أو التقسيم عرفتيا، ومن نماذج ذلك التجربة الزمنية من حيث الإحساس به أو إدراكه، ومنها الفضاء من حيث القدرة على التعامل معه ومع تشكيلاته، ومنها ما يتصل بالحواس كاللون والانفعال² وغير ذلك مما يمكن تصوّره من المجالات.

وفي ضوء ذلك تكون العبارات اللغوية صنفين: صنفا ذا علاقة بالمجالات الأساسية وصنفا ذا علاقة بالمجالات العليا في التنظيم المفهومي:

فمن الأوّل ما يرد في أدنى درجات السلمية من التنظيم المفهومي من قبيل 'قبل' في الزمان و'أحمر' في اللون وغير ذلك كثير.

ومن الثاني ما تستلزم عناصره مجالات أخرى (من المجالات الأساسية أو من غير الأساسية) لوقوعه في الدرجات العليا من سلمية التنظيم المفهومي، من قبيل 'سكين' في استدعائها للفضاء من حيث الخصائص الشكلية ومفهوم 'القطع' والمجالات تساعد في تحديد عدد من الخصائص من قبيل الحجم والوزن ومادة الصنع كما يستدعي مجالات أخرى من المتصورات الثقافية والمعارف الاجتماعية كالسلاح وما يرمز إليه أو الأضحاحي أو مباريات رمي السكين، وإن كانت هذه المجالات متفاوتة في ما بينها من حيث الأهمية والموقع قربا وبعدا من المركز أو الأساس.

فالتصوّر والتناول الموسوعيّان للدلالة -عند لانقار- أمران ضروريّان، وهو في جميع ذلك مساهم لهيمان³ (1980) في اعتبار جميع ما يحصل عندنا من مظاهر تسهم في تكوين ماهية الشيء إنما يفيد وجهها من الإفادة في تحديد السلوك اللغويّ للعبارة التي تدلّ على ذلك الشيء. والمعارف اللغوية وغير اللغوية كائنة على مدارج⁴ والفصل بين ما يفيد منها وما لا يفيد في تشكّل العبارة يظلّ فصلا اعتباريا.

ومن المبادئ الأساسية في النحو العرفي أن للبشر القدرة على تناول الوضع الواحد (وصفا ونقلًا وتمثلا) بطرق عديدة مختلفة، تمثل الواحدة منها زاوية يتناول

1 Basic domain(s).

2 Emotion.

3 Haiman.

4 Gradation(s).

منها ذلك الوضع. يطلق على تلك القدرة تسمية نمط التناول¹ أو زاوية التناول. وتحدد دلالة العبارة اللغوية بالمضمون التصوري المدلول عليه بها وبزاوية التناول التي يصور من خلالها ذلك المضمون.

فالمضمون التصوري الواحد من قبيل/إناء (كأس) يحتوي سائلا (ماء)/يمكن التعبير عنه من زوايا تناول مختلفة تتعدد لها العبارات وتمثل الواحدة منها تصورا مخصوصا للمضمون نفسه دون أن تكون مشتقة من بنية أخرى أو متحوّلة منها:

(3) أ. الكأس الذي فيه ماء.

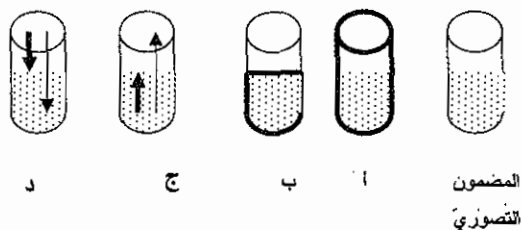
ب. الماء الذي في الكأس.

ج. الكأس نصف ملىء.

د. الكأس نصف فارغ.

فمخطّ العناية في العبارة (3. أ) هو الإناء وفي (3. ب) هو الماء وفي (3. ج) هو سعة الإناء مأخوذة من زاوية الامتلاء وهي عرفنيًا حركة صاعدة تصاحب ارتفاع مستوى السائل في الإناء وعكسها نزولا في (3. د). ويمثّل لانقار لمختلف زوايا التناول المنصبة على المضمون التصوري المشترك في العبارات الواردة في (3) كما يأتي في (4) حيث يشير الخطّ الغليظ إلى محطّ العناية في المضمون التصوري ويشير السهم الطويل إلى اتجاه حركة الملىء وحركة الإفرار والسهم القصير إلى مستوى الملىء ومستوى الإفرار:

(4)



ويقوم مضمون العبارة على مجموعة من المجالات العرفية. والمجالات نوعان أساسية وغير أساسية:

الأساسية منها ما مثل أبعادا أساسية في التجربة البشرية لا تقبل الانقسام والتحلل إلى ما هو دونها من قبيل الفضاء (المكان) والزمان واللون والحرارة وما إلى ذلك.

وغير الأساسي منها هو كل مفهوم أو جملة من المعارف مرتبطة بأيّ مجال من المجالات بصرف النظر عن طبيعتها وعن بساطتها أو درجات تركبها.

فمفهوم 'كأس' مثلاً يتأسس على عدد من المجالات أساسها الفضاء من حيث كان في تصوّره شيئاً حالاً في جزء من الفضاء وهو نفسه فضاء بحكم حلول السوائل فيه، ومنها مجال الشكل مجالا غير أساسي إذ يستدعيه مجال الفضاء الذي فيه تتجلى أشكال الأشياء، فهو ذو شكل مخروطي مغلق من طرف هو قعره، ومنها مجال الاتجاه في الفضاء فالكأس ذو اتجاه على درجة دنيا من التمدد على المحور العمودي يكون الطرف المغلق إلى الأسفل، ومنها مجال الوظيفة من حيث كان إناء يستعمل لاحتواء السوائل بما يقتضيه ذلك من اتجاه وجسم سائل واحتواء وما إلى ذلك من ثبوت خلال الزمن، ومن حيث كان يستعمل للشرب بما يقتضي ذلك من شكل مخصوص له به يكون الإمساك به باليد والشرب منه بالفم وما إلى ذلك، ومن المجالات مجال مادّة الصنع ومجال الحجم بما يقتضيه من إمكان الإمساك به ومن المجالات ما اتصل بالكأس مطلقاً من حيث قيمته وزينته ومادّته فيكون علامة على يسار أو فقر أو على ذوق اجتماعي جمالي من حيث اللون والنقش وانتماؤه إلى مجموعة كؤوس متجانسة تصفّف على المائدة أو تحفظ للزينة.

أبعاد التصوير

تمثّل أبعاد التصوير¹ - في النحو العرفي - واحداً من الرّكائز الأساسيّة في تقديم الأوصاف المتعلّقة بالعبارات اللّغويّة. ذلك أنّ الاعتماد على ما يقترن بالأبنية الحمليّة من مجالات تستصحبها غير كاف بمفرده، إذ ينقصها البعد التصويريّ الذي تقوم عليه، وأبعاد التصوير كثيرة ذات أنماط متوفّرة في جميع الأبنية الحمليّة.

بعد ارتكاز المعروض على الأساس

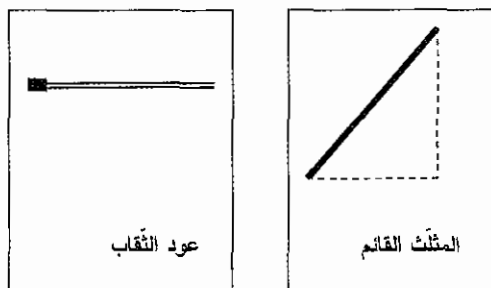
يمثّل أساس² الحمل ما ينطبق عليه ذلك الحمل في المجالات المتّصلة به، أمّا المعروض³ فيه فهو البنية الفرعيّة - من البنى المكوّنة للأساس - التي جرى إبرازها أو إظهارها بدرجة ما. فالمعروض محطّ العناية⁴ ومركزها في إطار الأساس. وهو

Dimension(s) of imagery.	1
Base.	2
Profile.	3
Focus (of attention).	4

كذلك ما تحيل عليه العبارة من الأبنية الفرعية المكوّنة للأساس. ويذهب لانقار إلى أن بعد ارتكاز المعروض على الأساس يكون خاصّة في الأسماء وما عبّر عن العلاقات من الوحدات اللغوية.

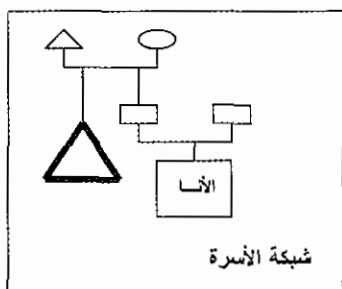
ومن نماذج ذلك 'وتر' من المثلث القائم و'رأس' من عود الثقب و'خال' من شبكة الأسرة. وجميع هذه النماذج لا يفهم المعروض (أي المدلول عليه بما في ذاتها) إلا بأن يرتكز على المجال الذي يحويه. فكلية الوتر لا يمكن تصوّرها في دلالتها على الخطّ المستقيم المعلوم دون أن نتصوّر شكل المثلث وهو أساسها، وكذلك 'رأس' العود لا يمكن تصوّر نهاية العود الحامل لمادّة الاشتعال دون أن نتصوّر العود كاملاً وكذلك الخال (أخو الأم) لا يمكن أن نتصوّره ما لم يرتكز على أساس أو إطار الروابط الأسرية، فهو يستحضر شبكة كاملة استحضارا طبعياً ولا يفيد معناه أي ذاك الشخص بعينه ما لم ينشد إلى إطار يشمله وسائر العناصر المكوّنة لشبكة الأسرة. ويمثّل المعروض العنصر الأبرز الظاهر الكائن في مركز العناية والوعي أمّا الأساس فيمثّل إطاراً ثانوياً هو خلفيّة تصوّريّة للمعروض نفسه. يشير لانقار دائماً إلى محطّ العناية بالخطّ الغليظ وما عداها بالحجم العاديّ للخطوط في التمثيل (5):

(5)



رأس، عود الثقب

وتر



خال

ومن نماذج العبارات العلائقية¹ ما يتركز فيه المعروض على أساس من الترابطات² الكائنة بين مجموعة من الوحدات أو المفاهيم. وفي ما يلي نموذج يبين به قسيام المعروض في الفعل 'ذهب' -على سبيل المثال- على أساس ترابطات بين العناصر المشاركة في العملية من حيث موقعها في المكان وفي الزمان ودورها فيها:

(6) أ. يجب أن يذهب زيد الآن.

ب. عندما وصلت كان زيد قد ذهب.

ج. زيد بعيد جدًا.

يمثل حدث الذهاب حركة ينتقل بموجبها شخص من موضع أو موقع في محيط ما إلى موضع أو موقع خارج ذلك المحيط. ويكون الذهاب دائما متصورًا إزاء ذات أو نقطة في محيط تمثل معلما تنطلق من حوله الحركة ابتعادا على درجات انتهائها الخروج من ذلك المحيط. فذهب فلان معناه انتقل في المكان شيئا فشيئا إلى أن جاوز حدًا أو فضاء لا يُعتبر جزءا من الفضاء الذي يتخذ منطلقا لذلك الذهاب قد يكون نسبيًا فيتسع ويضيق.

فالذهب في (6-أ) عملية ذات وضعيات متسلسلة متتالية مسترسلة تمثل الواحدة منها موقعا للمنتقل على محورين هما مجال الزمان ومجال المكان أساسين لها. فالمعروض فيها هو انتقال الذات والأساس إطار زمني ومكاني، يتبدل موقع المنتقل في المكان بالتدرج في الزمان والعكس صحيح. ونفس المعروض قائما على نفس الأساس متوفر في (6-ب) حيث المنتقل 'زيد' حال في مكان خارج نقطة وجود الذات المدركة.

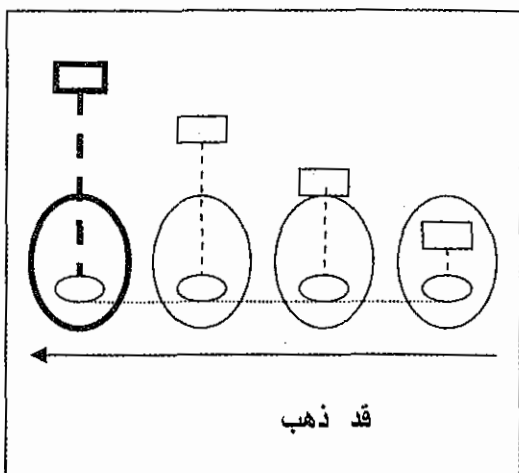
ولا فرق بين (6-أ) و(6-ب) في تصوّر الذهاب عرضا وأساسا وتصورًا وإثما يكمن في تصوير عملية الذهاب حيث هي في عداد الممكن في (6-أ) وهي متحققة مكتملة في (6-ب).

أمّا في (6-ج) فمعروض 'بعيد' وضع نهائي لحركة الذهاب حيث يكون المنتقل 'زيد' خارج المحيط الذي يوجد فيه المتكلم أو الذات المدركة وهو أساس مكاني لذلك المعروض. وبعبارة أوضح لا يمكن أن نتصور البعد دون أن نقيمه على المكان مكان الوجود، وهذا البعد موقع في المكان هو آخر ما تبلغه حركة

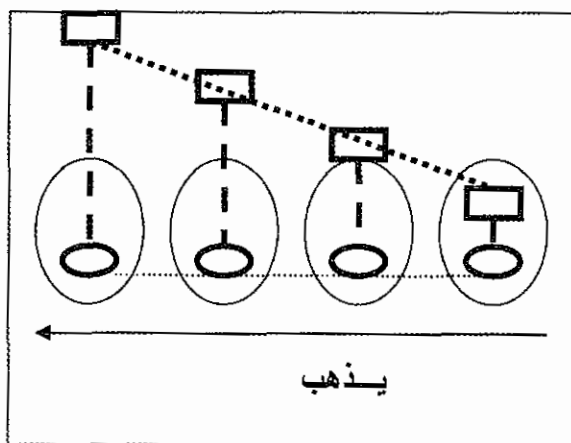
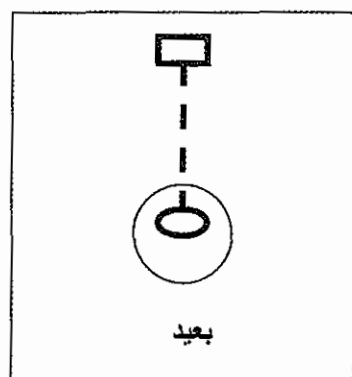
Relational. 1

Interconnections. 2

الذهاب من حيث كانت انتقلا في المكان. وبناء على هذا يمثل لانفاكر لعملية الذهاب، أما حالة في مجال مكانية. فيه منتقل ومعلم ثم يأخذ المنتقل نهى المجال فيفارقه فيخرج منه إلى وضات في الجمل الواردة في (6) في (أ-6) و(ب-6) ولكنها وضع - في (ج-6). والفارق بين (أ-6) يكون خافتا في (أ-6) وهو ظاهر

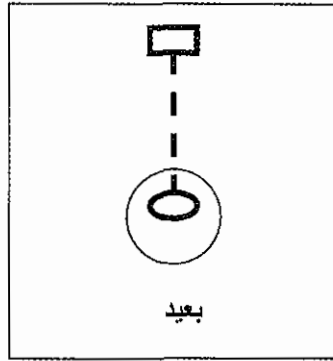
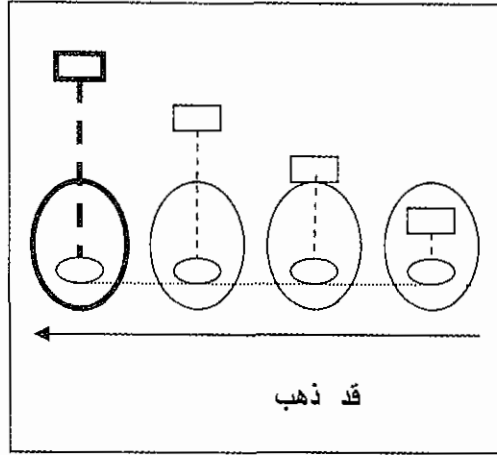


الكبيرة مجال وجود المعلم والمنتقل بوجهها المنتقل من ذلك المجال، وإذا مسترسلة للمنتقل في المكان وعلى مترابطة بخط مسترسل يوازي خط عليه الجملة الواحدة مما ورد في (6) املا لجميع المقاطع، أما 'قد ذهب' عملية ولكنه يقوم على السابق منه ل' تعرض موقعا هو علاقة سكونية هذه العملية أساسا للبعد، وأساس



(7)

خط الزمن ← المعلم المنتقل



بعد درجة التّخصيص

تمثّل درجة التّخصيص¹ ما يكون عليه بناء الوضع من تحديد من حيث العموم والخصوص، فالوضع الواحد يمكن أن يُصوّر (يُعبّر عنه) أو يُنقلّ على درجات مختلفة من التّدقيق. يكون ذلك في مختلف المستويات اللّغويّة بما في ذلك الجمل والمركّبات والوحدات المعجميّة. فالجمل في (8) مثلاً تنقل وضعاً واحداً ولكنّها متباينة في نقله من حيث درجات الدقّة:

- (8) أ. هذا الرّجل طويل.
 ب. هذا الرّجل طوله متران.
 ج. هذا الرّجل أطول من أخيه بمتر واحد.

1 Level of specificity.

كما تنتظم الوحدات المعجمية في العموم وفق سلمية التخصيص في سلسلة تتدرج عموما وتخصيصا حسب موقع الوحدة منها فيها، ومن نماذج ذلك: الحيوان < الثدييات < البري < المفترس < القطط < الثمر.

بعد السلم والمدى

يجري مفهوم السلم¹ - عند لانقار - جريانه في علم الخرائط. ذلك أن وحدة القيس الواحدة - ولتكن ستمترا على الورق أو أي حامل للخريطة آخر - يمكن أن تشير إلى مسافات متنوعة مختلفة بتنوع السلم، تنوعها في الواقع أو في الامتداد الجغرافي المكاني. فتؤول مرة على أنها متر مثلا أو على أنها مئات الكيلومترات حسب ما تمثل له الخريطة من مصنوعات أو بنايات أو مدن أو بلدان أو قارّات وما إلى ذلك. وكذا الوحدة اللغوية يمكن أن تؤول بوجوه مختلفة باختلاف المقياس، فكلمة 'قرب' مثلا ذات تأويلات متنوعة بالمقياس إلى المسافة مطلقا، فالقرب مثلا بين الأجرام في المجرات يختلف عن القرب بين الأحياء في المدن، وعن القرب بين المكونات في الذرة أو بين المكونات في التواة في الذرة الواحدة، وهذا الاختلاف لا يمنع قيام العلاقة نفسها رغم تنوع السلم. وعلى هذا ينقاس الكثير من المفاهيم العلائقية. ويقترن بمفهوم السلم مفهوم المدى² من حيث كان محددا للمجال الذي ينطبق عليه الحمل أو المدلول.

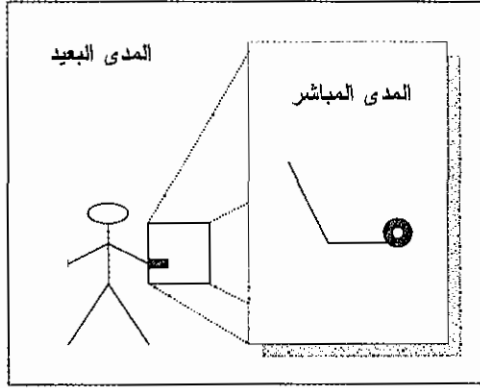
والمدى هو المجال الذي تنطبق عليه العبارة وما يتصل به من مجالات، وليس من الضروري أن يكون محددا على وجه الدقة. وللمدى قيمة مركزية في تصوّر المقولات ودلالة العبارات. فالأسماء الجارية على مختلف أعضاء الجسم مثلا تقوم على عناصر تخصيص ضرورية منها موقع العضو المسمى أي ما يمثل معروضها، إزاء الجسم بأكمله. فصورة الجسم مجال للواحد منها وهي المدى الذي يشملته الحكم. ويتدرج المدى ضيقا واتساعا بالتدرج في الاندراج أو الاحتواء بين الأعضاء المختلفة وفروعها أو الأجزاء الحاوية لها. فالمدى مستويان مباشر وبعيد، المباشر ما اندرج فيه المعروض أول ما يحلّل والبعيد ما كان ممثلا للإطار العام من درجة أخرى ليست بالمباشرة.

Scale. 1

Scope. 2

ولكلّ عبارة مدى بعيد¹ ومدى مباشر² ومعرض³:

- المدى البعيد هو جملة المضامين التّصوّريّة التي تمثّل أساسا معناها.
 - المدى المباشر هو المقطع الذي يقتطع من المدى البعيد وعليه تقوم دلالة العبارة مباشرة.
 - المعرض محطّ العناية والتركيز المقترن بالعبارة في إطار المدى المباشر.
- فكلمة 'يد' مثلا معروضها الجزء المعروف من الجسم وذاك معناها أو محطّ العناية ومدaha المباشر 'الذراع' ومدaha البعيد 'الجسم' كاملا، تمثيل ذلك في (9):



بعد البروز النسبي

يمثّل مفهوم البروز⁴ عند لانفاكر بعدا من الأبعاد الأساسيّة في عمليّة التّصوير أو العرض⁵، منطلقها دلالة العبارة الواحدة كما رأينا حيث يبرز المعرض في إطار أساسه، كما في دلالة 'بؤبؤ' على العضو المخصوص من العين، وهو معروضها من حيث يُتصوّر في أساس أوسع هو 'العين'. ومنتهاها دلالة العبارات كاملة. فكلّ عبارة تنقل وضعا أو حدثا إنّما تعرض جملة من العناصر المتعلّقة تمثّل كلّا تصوّريّا، ولكنّ تلك العناصر تتفاوت في البروز. فيكون البروز نسبيا⁶ موزّعا بينها على درجات تمثّل سلّميّة ينظّم وفقها توزّع العناصر المشاركة. ويجعل لانفاكر البروز في

Maximal scope. 1

Immediate scope. 2

Profile. 3

Salience/prominence. 4

Profiling. 5

Relative salience/relative prominence. 6

مجمّله درجتين كبيرين: بروزا مطلقا يكون فيه المشارك المعنيّ محطّ العناية الرئيسيّة يسمّيه المنتقل¹، وبروزا من درجة ثانية يكون فيه المشارك المعنيّ محطّ العناية الثانويّة يسمّيه المَعْلَم².

ويرى لانفاكر أنّ ثنائيّة المنتقل والمعلم عامّة بوجه تشمل به جميع وجوه التّصوير بما في ذلك العناصر الأساسيّة في الجملة، فيوافق المنتقل ما يُعتبر فاعلا أو مسندا إليه في التّحليل المعهود ويوافق المعلم المفعول أو المتّم. ومن نماذج ذلك أنّ العبارات التي تصوّر علاقة أساسها التّناظر بين عنصرين يمكن أن تصوّر تلك العلاقة من زاويتين يكون في الواحدة منهما إبراز لعنصر دون قرينه كما في قولنا:

"زيد يشبه عمرا" و"عمرو يشبه زيدا".

فهما جملتان قد تُعتبران متكافئتين في المحصّلة ولكنّهما مختلفتان معنويّا. فالعلاقة منقولة من زاويتين مختلفتين يكون إبراز الطّرف الواحد إزاء الآخر أو الآخرين.

ولهذا صلة بتنظيم عرفيّ قوامه ثنائيّة رسم/أرضيّة³ متّصلة - في ما يبدو - بالإدراك الجشططيّ. فكلّ وضع أو واقعة تتضمّن عددا من المشاركين يكون البروز لبعضها دون الآخرين، فيمثّل المشارك البارز رسما هو محطّ العناية وتمثّل سائر العناصر المشاركة أرضيّة ذات بروز ثانويّ هي محطّ العناية الثانويّة. فيطابق الرّسم المنتقل والأرضيّة المعلم. وتمثّل ثنائيّة رسم/أرضيّة أساسا آخر للتمييز بين الفاعل والمفعول التّحويّين فالرّسم فاعل (مسند إليه) والأرضيّة مفعول، ولكنّ ثنائيّة رسم/أرضيّة أوسع من فاعل/مفعول وأكثر إطلاقا إذ تنطبق في جميع المستويات من الأبنية الدّاخلية في مختلف الجمل بما في ذلك المركّبات.

وللبروز مجالات عديدة يتجلّى فيها بأدوات حروف أو بوحدات معجميّة وما سايرها.

ومن نماذج البروز التّسبيّ القائم على الأدوات (حروف الجرّ مثلا) بروز عمليّة انتقال الملكية في التّماذج الواردة في (I) حيث يبرز حرف الجرّ 'إلى' عمليّة انتقال ملكيّة الكتاب بالإهداء.

1 Trajector (Tr).

2 Landmark (Lm).

3 Figure/Ground.

ومن الوحدات المعجمية ما يكون مرادفا لوحدة أخرى في المجمل ولكن يكون الاختلاف في بروز مظهر دلالي في الواحد وخفوته أو انتفائه في قرينه من ذلك قولنا "شبل" و"صغير الأسد" أو "الحال" و"أخو الأم" وما إلى ذلك حيث تتوفر الدلالة على العلاقة المعنوية بوجهين ضمنيّ وصريح.

المنظور

يقوم المنظور¹ على عدد من العوامل المخصوصة كالـتوجيه² وزاوية التناول³ المعتمدة والاتجاهية⁴ وكيفية بناء الوحدة وتصورها موضوعياً، وهي عوامل فاعلة في بناء العبارات وفي تأويلها.

ففي قولنا مثلاً "تجلس هند إلى يسار زيد" نقلنا الوضع انطلاقاً من معلم هو زيد وتصورناه بأبعاده جسماً حالاً في الفضاء اتخذناه منطلقاً لخط وهمي مجرد يتحدد عليه باتجاه اليسار موقع المنتقل هند. وهذا المنظور دون شك يمثل واحداً من مناظير عديدة ممكنة يمكن أن يكون الواحد منها موقع هند نفسها في المكان.

وكذلك ما يكون في نقل الواقعة من زاويتين أولاهما نسبية ذاتية كما في وصف جبل عال يلامس بحراً على منحدر متدرج، إذ يمكن أن يُنقل من اتجاهين ذاتيين عند الذات المدركة:

يمكن أن يكون الأول منهما صاعداً فتتمثل نوعاً من الارتفاع يكون للجبل انطلاقاً من مستوى البحر فتقول "يرتفع الجبل من البحر". وتمثل حركة الارتفاع بسهولة صعودها فيه فتقول "يرتفع الجبل برفق من البحر".

ويمكن أن يكون الثاني نازلاً فتتمثل الانحدار والسهولة فتقول "ينحدر الجبل إلى البحر برفق".

وفي الحالتين لا انحدار ولا صعود موضوعيين وإنما هما اتجاهان متقابلان ترسمهما الذات المدركة رسماً ذاتياً نسبياً من منظورين متقابلين، فالمتحرك هو الذات المتصورة ليس غير.

Perspective. 1

Orientation. 2

Construal/vantage point. 3

Directionality. 4

وكذلك ما يكون من وصف طريق تمرّ خلال الجبال - مثلاً - يمكن أن توصف موضوعيًا في عبارة "تتحلّل الطريق الجبال" أو "تمرّ الطريق عبر الجبال"، ويمكن أن يكون وصفها ذاتيًا فيقال "تتلوّى الطريق بين الجبال" وغير خفيّ ما في ذلك من تشبيه لها بالثعبان وما إليه.

تلك إذن أهمّ ما يسطّر في النحو العرفيّ من زوايا التصوير التي تشتغل اشتغالا واحدا في المستويات اللغوية المختلفة بساطة وتركبا. وجميع هذه الأبعاد فاعل في بناء العبارات متوفّر في جميعها وإن بنسب مختلفة.

انتظام النحو

يحمل لانقار غاية النظرية اللسانية في تحديد البنى والقدرات التي تكون ما به يتمثّل المتكلّم المواضعة اللغوية، والشّروط في هذا التّحديد أن يكون موافقا للواقع العرفيّ أي يكون له ما يطابقه ويدعمه في اشتغال العرفنة عامّة. وتمثّل هذه المعرفة في النحو في تصوّره الواسع.

واللغة في النحو العرفيّ جهاز يمكن به صياغة التّصورات صياغة رمزيّة في شكل سلاسل صوتيّة، فهي بذلك أداة ترميز تجتمع وحداتها الرّمزيّة في مسرد منظّم هو النّحو. والوحدة الرّمزيّة¹ هي كلّ ما يملكه الفرد من بنى أي ما يمكن له أن يستحضره من حيث هو كلّ جاهز مسبقا وذلك دون أن يستوقفه تركيبه الدّاخليّ، من قبيل الكلمة المفردة تجري في الكلام دون تفكير في تكوينها الصّوتيّ أو المقطعيّ أو الدّلاليّ، ومن قبيل العبارة مطلقا أو الجاهزة مثلا تجري في الكلام دون التّفكير في تركيبها ومعناها الجزئيّ، إلخ، فتكون الوحدة بهذا المفهوم روتيننا عرفنيّا².

ولتصوّر النحو مسردا تبعات نظريّة عديدة، فالنحو عند لانقار ليس توليديّا ولا بنائيّا، وليس عددا من الخوارزمات تعطي من دخل ما خرجا هو عدد من الأقوال المقبولة، ويرى لانقار أن تصوّر النحو آليّة خوارزمية يفرض قيودا وحدودا اعتباريّة على مباحث النظرية اللسانية من حيث المجال ويقود إلى إقامة افتراضات في طبيعة البنية اللغوية لا أساس لها.

1 Symbolic unit.

2 Cognitive routine.

من ذلك كون الأحكام المتعلقة بمقبولية العبارات في النحو أحكاماً قطعية لا تراعي كون المقبولية درجات، ومنها إهمال العبارات التصويرية (المجازية والاستعارية) وإخراجها من مجال اللسانيات، ومنها الفصل المفتعل بين الدلالة والتداولية، وجميع ذلك يقود إلى اعتبار الملكة اللغوية مكتفية بذاتها ومستقلة عن العرفنة، وهذه مسلّمات لا أساس لها يدعمها في واقع الأشياء.

ويوفر النحو للمتكلّم مسرداً من الموارد الرمزية من بينها قوالب تصويرية تمثل أنماطاً مستقرّة في تجميع الأبنية الرمزية المركبة، وتمثّل الوحدات الرمزية معياراً يسر به المتكلّم العبارات الحادثة من حيث ملاءمتها للمواضعة، وليست الأبنية الرمزية الحادثة بمجموعة مغلقة ولا هي وليدة خوارزمات تعتمد آليات محدودة يشتمل عليها نحو مستقلّ بذاته. وإنّما هي أبنية تعود في نشأتها إلى ما عند المتكلّم من مهارات عرفنية عامّة تهمّ الذكاء وبها يتمكّن من المواضعة اللغوية نفسها فهما وإنتاجاً، ومن التفاعل مع محيطه مقاما وسياقا ومن تحديد غايات تواصلية له ومن التعبير عن انفعالاته الشعورية والجمالية، ومن الإفادة من معارفه العامة، وما إلى ذلك.

وهذه الأبنية، إذ كانت ناتجة من كلّ ما سبق، تكون على غاية من الخصوصية تفوق ما يمكن استخلاصه من الوحدات اللغوية بمفردها، بل إنّها تعارض -غالباً- المنتظر المعهود كما يكون في المجاز والاستعارة والاتساع الدلاليّ عامّة. والوحدات الأساسية التي يقوم عليها النحو -عند لانقار- ثلاث: دلالية وصوتية ورمزية.

تقوم الوحدة الرمزية على تقارن بين الوجدتين الدلالية والصوتية في شكل أزواجي، فتكون ذات قطبين قطب دلالي¹ وقطب صوتي²:

وحدة رمزية: قطب دلاليّ/قطب صوتيّ رمز [[دلالة]]/[صوت]]

فقوام النحو أبنية رمزية تتضمّن الواحدة منها بنية دلالية وبنية صوتية، وهي نوعان بسيطة ومركبة، البسيطة منها ما لا يقبل القسمة أو لا يتضمّن وحدة رمزية أصغر.

ويجري التجميع بين البسيطة منها لتكوين المركبة منها، ولا حدّ نظرياً

Semantic pole. 1

Phonological pole. 2

لدرجات التركيب. وهذه التجميعات الرمزية¹ هي كل ما نحتاج إليه في وصف المعجم والتحو اللذين يكونان استرسالا.

- وتنقسم الوحدات الرمزية من زاوية دلالية إلى أقسام (أو مقولات) نحوية:
- الاسم ما كان معروضه شيئا²، يؤخذ 'شيء' في تصوّره العام أي كل ما صحّ اعتباره وحدة مفهومية تمثل مضمونا عرفيا مستقلا بذاته. وذلك من قبيل 'كتاب' و'فكرة' و'ذكاء' وما إلى ذلك.
- الفعل ما كان معروضه عملية³ أي كل ما مثل علاقة تُتناول من زاوية تطورها أو تبلورها عبر الزمن، وذلك من قبيل الأفعال المصرفة والمشتقات المتصلة بها حاملة الدلالة الزمانية تصريفا أو اشتقاقا.
- مجموعة خليط من الصفات والظروف المبنيات والحروف مما يدلّ على علاقات ليست من العمليات أي لا دور للزمن في تصوّرها أو في تطورها أو في بنائها، فهي لاعملية⁴ ولازمانية⁵، من قبيل 'أحمر' و'فوق' و'في' وما إلى ذلك.
- والمقولة الواحدة مما سبق وحدة رمزية على غاية من الخطاطية من حيث التجريد وانعدام التخصيص والعموم:

فالاسم خطاطة لما دلّ على شيء مطلقا، وهي [[شيء]/[س]]⁶.

والفعل خطاطة لما دلّ على عملية مطلقا وهي [[عملية]/[ص]]⁷.

والوحدة العلائقية⁸ ما دلّت على علاقة لازمانية مطلقا.

وتمثل [شيء] و[عملية] مفهومان تجريديّان و[س] و[ص] علامتين على بنيتين

على غاية من الخطاطية تحدّدان وجود مضمون صوتي ما.

ويجري التمثيل للقاعدة التحوية المكوّنة للأبنية التحوية على أنّها وحدة رمزية

تكون مركبة وخطاطية في آن. مثال ذلك أسماء الفاعلين في الإنجليزية من قبيل

teacher (مدرّس) وhelper (معين) وdriver (سائق) في كونها وحدات مركبة

Symbolic assemblies. 1

Thing. 2

Process. 3

Non-processual. 4

Atemporal. 5

[[THING]/[X]]. 6

[[PROCESS]/[Y]]. 7

Relational unit. 8

تتضمن خطاطة الفعل [[PROCESS]/[Y]] والصرف الاشتقاقي [[ER]/[er]]، حيث يشير الخط التاجي إلى خطاطة الفاعلية والخط العادي إلى المضمون الصوتي الذي يقترون بها. وهي تحدّد في الوقت نفسه الوجه الذي يكون به إدماج الأبنية التي تتضمنها من وجهين مفهوميّ (دلاليّ) وصوتيّ، وهو ما تشير إليه علامة المطّة في ما يلي حيث يكون التمثيل لصوغ اسم الفاعل teacher:

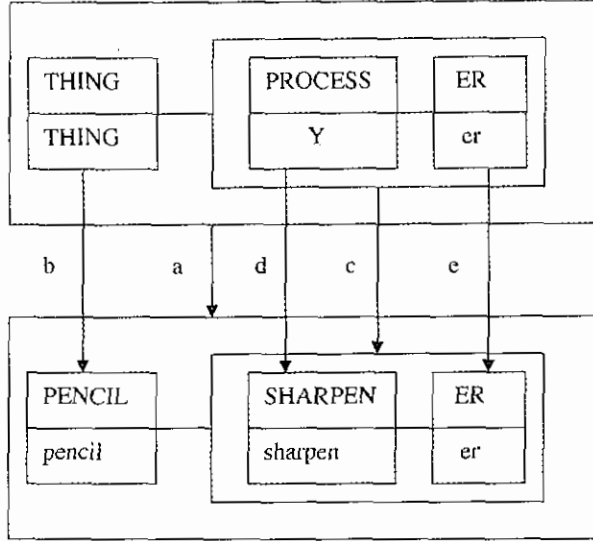
[[[PROCESS]/[Y]]-[[ER]/[er]]] [[[[TEACH]/[teach]]-[[ER]/[er]]]

ويتجلى من التمثيل ما يثبت لانفاك من توازن بين البنية الخطاطية والعبارة الممثّلة لها من حيث تتحقّق فيها. ولئن استقام هذا التمثيل والتصور للانفاك في اللغة الإنجليزية منطلقاً واللغات ذات الصرف الترصيفي¹ عامّة فإنّه لا يستقيم في العربية ذات الصرف التفرعي² لما يقوم عليه بناء الكلم من تداخل في الصراف وتمازجها باستقلال الواحد منها بمستوى خاصّ به وتوزّع مادّة الصوتيّة على مواضع مخصوصة في البنية المقطعية. وهذا ممّا يمكن النظر فيه ولكنه ليس من اهتمامنا هنا.

تركيب الكلم

يقوم مفهوم التركيب عامّة على جريان بنية شكلية ما مكوناً من مكونات بنية شكلية من درجة أعلى في التركيب. والتركيب درجات أدناه الوحدة الرمزية البسطى وأقصاه ما تسمح به قوانين المقولة في اللغة المعنية. والمهم في النحو العرفي أن يتوازي مظهران في التركيب شكليّ صوتيّ ومفهوميّ دلاليّ وفي درجات ذلك التركيب، وهو ما يطلق عليه لانفاك علاقة المقولة الشاملة³ التي تنطبق على درجات تشتغل في الواحدة منها مقولة محلية⁴ تحدث بها بنية فرعية. بيان ذلك في (10) باعتماد Pencil sharpener (مبرة الأقلام):

-
- | | |
|-------------------------------------|---|
| Concatenative Morphology | 1 |
| Nonconcatenative Morphology. | 2 |
| Global categorization relationship. | 3 |
| Local categorization. | 4 |



ينقسم التمثيل (10) إلى مستويين يمثل أعلاهما الخطاطة التي تحكم جميع العبارات التي من قبيل ما يعبر عن آلة إحداث الفعل وموضوعه في الإنجليزية (اسم الآلة ذات الموضوع المحدد واسم المهنة وما إلى ذلك (taxi driver, pencil sharpner)، والخطاطة في أدنى درجات التخصيص.

ويمثل أدنامهما الوحدة المعجمية التي تطابق في قطبيها الدلالي والصوتي الخطاطة التي يازائها في المستوى الأعلى وتحققها في أقصى درجات التخصيص. وتشير الأسهم إلى علاقات المقولة على درجات:

- العلاقة b تحدد pencil من حيث هو عنصر من مقولة الأسماء.
- العلاقة c تحدد sharpener من حيث هو اسم مشتق بتلحيق er.
- العلاقة d تحدد sharpen بانتمائه إلى الأفعال.

وجميع هذه العلاقات علاقات مقولة محلية، أما العلاقة a فتمثل ما به تُحدد الخطاطة العامة (أي تلك الواردة في المستوى الأعلى من التمثيل) بنية العبارة المركبة (الواردة في المستوى الأدنى من التمثيل)، فهي علاقة المقولة الشاملة.

وتمثل جميع العلاقات (a,b,c,d,e) الوصف البنيوي للعبارة موضوع التمثيل. وليس من الضروري أن يكون المعنى الحاصل بالتركيب موافقا لمجموع المعاني الجزئية في العناصر التي تتركب منها العبارة. ويكون محصل المعنى بالتركيب أشد تخصيصا من معاني أجزائه منعزلة، فالمعنى المستفاد من العبارة موضوع التمثيل (10) ليس

بجرّد أداة لبري الأقلام وإنّما هي على غاية من التّخصيص فهي الآلة المعلومة وليست أيّ أداة حادّة قد تجري لبري الأقلام مثلاً.

يقود تصوّر النّحو على ما سبق بيانه إلى وضع قيود على التّحليل اللّسانيّ عند لانفاكر ومنها أنّ النّحو في لغة من اللّغات لا يقبل إلاّ الوحدات التّالية:

أ- وحدات دلاليّة وصوتيّة وأبنية رمزيّة تتواتر على صورة ظاهرة في العبارات اللّغويّة.

ب- أبنية شكليّة هي بمثابة القوالب للوحدات والأبنية المذكورة في (أ).

ج- علاقات مقوّلة تقرن بين البنى المذكورة في (أ) وفي (ب).

وهذه القيود على مضمون النّحو تفوق القيود المتوقّرة في المناويل الخوارزميّة من حيث دقّتها، فيها تلغى جميع آليّات الوصف الاعباطيّة وخاصة تلك الّتي لا تجد لها أساساً في الواقع الصّوتيّ أو في الواقع الدّلاليّ، من قبيل السّمات الفارغة أو الرّموز الاعباطيّة أو الرّموز الفارغة الّتي تفتقر إلى المضمون الصّوتيّ والدّلاليّ وكذلك اشتقاق بني كامنة تختلف عنها تمام الاختلاف كاشتقاق المجهول من المعلوم.

الأقسام النّحويّة

مدار التّظنر في هذا المبحث في ما به يُحدّد النّحو أقسام الوحدات وسلوك عناصرها:

تحدّد بعض الأقسام على أساس المضمون الدّلاليّ و/أو الصّوتيّ حيث يجري تجريد وحدة خطاطيّة تمثّل المضمون المشترك بين جميع العناصر المنتمية إلى قسم ما. ويتحدّد الانتماء إلى قسم من الأقسام بوحدات مقوّلة (أي وظيفتها المقوّلة) تعرض ما به توافق العناصر المفردة الوحدة الخطاطيّة فتكون تحقّقات لها ونماذج منها. فحركة الكسرة [i] تصنّف ضمن الحركات المرتفعة بفعل الوحدة المقوّلة:

[حركة مرتفعة] ← [i]

حيث [حركة مرتفعة] بنية صوتيّة خطاطيّة تحجب جميع الخصائص الّتي تتميّز بها حركة من أخرى في الحركات المرتفعة.

وكذلك الوحدات المقوليّة الواردة في تحليل النّمودج (10) حيث تحدّد علاقات المقوّلة من قبيل a و b كلاً من pencil (قلم) و sharpen (برى) على أنّهما

اسم وفعل تباعا. وتحدّد العلاقة (مبرة الأقلام) على أنّها نموذج تتحقّق فيه البنية النحويّة التي يرمز إليها التمثيل (10) بأكمله حيث لا وجود إلّا للأبنية الرّمزيّة ذات المضمون الصوتي والدلالي المتحقّق فعلا.

وينشأ في هذا المستوى من الطّرح إشكال يتعلّق بالقدرة على التّكهّن¹ مداره أنّ عددا كبيرا من العناصر في مختلف الأقسام النحويّة لا يمكن التّكهّن به على أساس صوتي/دلالي، من ذلك تحوّل f في الأفراد إلى v في الجمع في بعض النماذج الإنجليزيّة (leaf/leaves (ورقة/أوراق)) دون البعض الآخر.

ويرى لانفاكر أنّ المشكل وضع على أساس خاطئ فقاد إلى موقف خاطئ. فوجود الكثير من مظاهر السلوك الصّرفي والإعرابي التي لا يمكن التّكهّن بها تكهّنا تامّا قادت إلى الموقف الخاطئ المتمثّل في اعتبار التّحو مستقلّا بنفسه من حيث هو مظهر من البنية اللّغويّة أمّا الخطأ في الأساس الذي قام عليه مبحث التّكهّن فيتمثّل في الخلط بين موضوعين منفصلين هما نوع الأبنية والتّكهّن بسلوك تلك الأبنية.

فالتّحو العرفي يعالج مظاهر السلوك غير المتوقّع دون أن يضع قواعد مخصوصة أو علامات اعتباريّة دياكريتيّة، إذ يكفي عند لانفاكر أن تشير إلى أنّ f تجهر في الجمع leaf/leaves ولا يكون ذلك في reef/reeves* مثلا.

وفي ذلك تنصيب على أنّ التّحو يتضمّن الصّيغة المثبته دون المتفتية في أبنية النّحويّة المعهودة. وهو تنصيب كاف يثبت به انتماء وحدات دون أخرى إلى الوحدات النّحويّة.

فالبنية النّحويّة في النّحو العرفي تتمثّل في الوحدات الرّمزيّة فقط، يقوم هذا الادّعاء على تقديم تحديد مفهومي للمقولات النّحويّة الأساسيّة: الأسماء والأفعال خاصّة.

ويتحدّد الانتماء المقوليّ لعبارة ما بناء على قطبها الدلاليّ أو معروضها (عبارة تصويريّة أخرى): فالاسم ما كان معروضه [شيء] ووافق تبعا لذلك خطاطة [[شيء]/[س]]. ومقابل الأسماء توجد العبارات العلائقيّة التي تعرض عمليّات أو علاقات لازمائيّة. والفعل ما كان معروضه [عمليّة] ووافق خطاطة [[عمليّة]/[ص]]. وتضمّن مقولة العبارات العلائقيّة ما كان معروضه علاقة لازمائيّة من قبيل الصّفات²

Predictability. 1

Adjectives. 2

والمبنيّات¹ والحروف² والمشتقّات³ والصّيغ الفعلية غير المصرفة⁴.

ويتحدّد الثالوث من المفاهيم الأساسية (شيء، عملية، لازماني) في المقولة التحوّية كما يلي: يتحدّد الشيء بكونه منطقة⁵ في مجال⁶ ما، والمنطقة مجموعة من الوحدات (عناصر أو ذوات) المترابطة من خلال التّعالق بين أحداث عرفيّة، والمجال نوعان أساسي وغير أساسي.

إذا كان الاسم دالاً على ما يقبل العدّ⁷ كانت الجهة المعروضة محدودة، فكلمة 'لحظة' أو 'برهة' مثلاً تدلّ على منطقة محدودة من مجال أساسي هو الزّمان، وكلمة 'أحمر' تحيل على منطقة محدودة في اللون مجالاً أساسياً، وكلمة 'بقعة' تحيل على منطقة محدودة من مجال الإبصار. وكذا جميع الأشياء أو الكائنات المادّية تعتبر من أسماء العدّ من حيث تحتلّ مناطق محدودة في الفضاء ثلاثيّ الأبعاد.

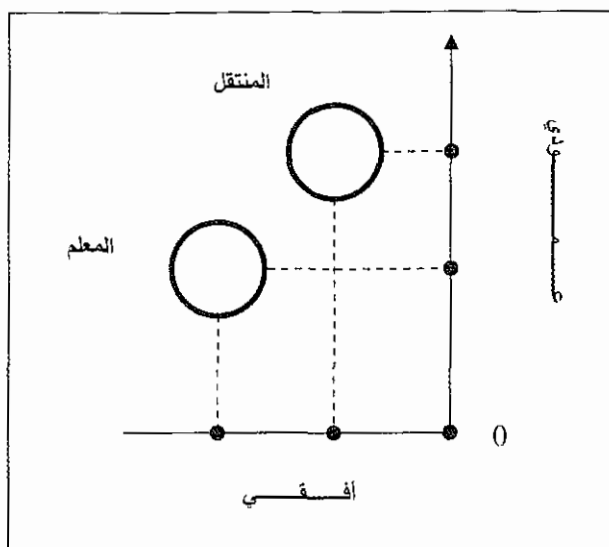
ومن نماذج المجالات غير الأساسية، نجد 'قوس' التي تحيل على قسم محدود من الدّائرة و'ذراع' في إحالتها على قسم محدود من اليد أو الجسم، و'فقرة' في ما تحيل عليه محدوداً من النّصّ، وكذلك 'جانفي' الذي لا يتحدّد مباشرة في الزّمان مجالاً أساسياً وإنّما في مفهوم أكثر تجريداً هو التّقويم السنويّ (الروزنامة). بمراحله التي تتقاسم الزّمان.

ولا تقوم الحدود التي تتخصّص بها أسماء العدّ دائماً على عوامل إدراكية موضوعيّة، فمنها ما يقوم على وجوه أخرى ليست من المعطيات الموضوعيّة: فحدود "ثلمة" مثلاً عمادها الشكل والامتداد المفترض الذي يكون لسطح الجسم كاملاً، وحدود 'أرخيبل' تكاد تكون افتراضية إذ توافق نهايات الجزر الطّرفيّة، وكذلك 'وسط' -جارية في 'وسط الدّار' مثلاً- تصوّرها على أنّها منطقة محدودة وإن غابت الأسس الإدراكية التي بها يتميّز وسط الدّار عمّا يحيط به من معالم الفضاء. فيمكن للوسط أن يتغيّر من حيث الاتّساع ما لم يتجاوز مركز المعلم ليمتدّ على أطرافه.

Adverbials.	1
Prepositions.	2
Participles.	3
Infinitives.	4
Region.	5
Domain.	6
Count nouns.	7

فالتسمية تعرض جملة من الذوات المترابطة أي ما يكون منطقة، وتعرض الوحدات العلائقية الترابطات في ذاتها، والترابطات عمليات عرفية تعين أوضاع الذوات المتصورة الواحد منها إزاء الآخر في مجال محدود. وليست هذه الترابطات مقصورة على الأطراف المشاركة في واقعة ما وإنما تمتد لتشمل كل ما تضمه المنطقة. ويعتمد لانقار الوحدة العلائقية 'فوق'¹ نموذجاً يبين به في (11) مختلف المفاهيم الواردة في ما سبق عرضه:

(11)



يحدد مجال 'فوق' بالفضاء ببعديه العمودي والأفقي. وما تعرضه 'فوق' من ترابطات لا يجمع بين المنتقل والمعلم جمعا واحدا وإنما يحيل على إسقاطيهما العمودي والأفقي، وهو ترابط يقوم على عدد من العمليات:

(أ) عملية ترابط تشير إلى أن الإسقاط (على المحور) العمودي للواحد من المترابطين لا يمكن أن يطابق الآخر.

(ب) عملية ترابط أخرى تشير إلى أن إسقاطيهما على المحور الأفقي متطابقان وجوبا أو متقاربان.

(ج) عملية ترابط تعين موقع الواحد منهما انطلاقا من الصفر العمودي فيكون ارتفاع إسقاط المنتقل أكبر من ارتفاع المعلم انطلاقا من الصفر. وينطبق على 'تحت' ما

ينطبق على 'فوق' من ترابطات والاختلاف بينهما كائن في النمط العلائقي.
وتعرض الوحدات العلائقية نمطين من العلاقات علاقات لازمانية بسيطة هي
علاقات سكونية وعلاقات لازمانية مركبة هي علاقات متغيرة متطورة، وذلك حسب
السياق. مثال ذلك أن تجري فوق للتعبير عن الفوقية السكونية والفوقية الحركية:
(12) أ. الجسر فوق النهر.

ب. مرّ زيد فوق الجسر.

ففي (12-أ) يحتلّ المنتقل 'جسر' في وقت واحد جميع النقاط الواقعة في
المسلك بين طرفي المعلم 'نهر'، وهذا نمط من العلاقات اللازمانيّة السكونيّة قوامها
حال مستقرّة، أمّا في (12-ب) فيحتلّ المنتقل 'زيد' جميع النقاط الواقعة بين طرفي
المعلم 'جسر' واحدة فواحدة في الزمان ضرورة. وتتضمّن هذه العلاقة أحوالا
متتابعة بينها تعاقب واختلاف في الهياكل أو الأحوال في آن، فهي نموذج للعلاقات
اللازمانيّة المركبة.

ولئن جمع لانفاكر قسم العبارات العلائقية بقسم الأفعال على أساس اتّفاقهما
في عرض العلاقات فإنّه يميّز تمييزاً مفهوماً بين الوحدات العلائقية اللازمانيّة المركبة
من جهة والأفعال في تعبيرها عن العمليّات من جهة أخرى: فلا يستقيم تحديد
الأفعال على أساس إحالتها على الزمان إذ يتوفّر ذلك في الوحدات العلائقية من
قبيل 'قبل' و'بعد' وما إليها. وفي أسماء الزمان من قبيل 'الحظة' و'برهة' و'حين' وما
إليها. ولا يستقيم كذلك تحديد الأفعال على أنّها تعرض عدداً من الأوضاع
العلائقية المتعاقبة في الزمان إذ يتوفّر ذلك في وحدات من قبيل 'عبر' و'خلال'
'ومدة' وما إليها. فوجب حينئذ البحث عن مدخل آخر في ما به تتميّز الأفعال.
يتمثّل هذا المدخل في ما يطلق عليه لانفاكر نمط المسح.

المسح العرفني

المسح¹ نوعان تتابعي² ومحملي³. المسح التتابعي هو نمط في المعالجة العرفية⁴
يشتغل عند مشاهدة صورة متحركة - مثلاً - أو كرة وهي تطير في الفضاء (والمثال

1 Scanning.

2 Sequential scanning.

3 Summary scanning.

4 Cognitive processing.

للانفاكر) حيث تكون الأوضاع المتعاقبة التي تكوّن الحدث المدرك متسلسلة وآنية، فيبدأ الوضع الواحد منها حالما ينتهي سابقه وينتهي حالما يبدأ لاحقه. فمتابعة الحدث تكون بامتداد أوضاعه المتعاقبة وهو يجري مسترسلا.

أمّا المسح المحمل فهو نمط في المعالجة يكون عندما يعمد الفرد مثلا إلى إعادة بناء الحدث كاملا بناء ذهنيًا، كأن يتصوّر بناء مشهد الكرة وهي تعبر الفضاء من حيث مسلكها والخطّ المنحني الذي تتبعه بدرجاته المختلفة وارتفاعه وسرعته، إلخ. فجميع الأوضاع تثار في المسح المحمل متتابعة ولكن بشكل تراكمي، أي أنّ الوضع الواحد عندما يثار يظلّ قائما إلى منتهى الحدث كاملا. فجميع الأوضاع في المسح المحمل متزامنة بوجه يستوي فيه الحدث كلاً إدراكياً.

والفرق بين العلاقة اللازمانيّة المركّبة في 'عبر' مثلاً، والفعل المناسب لها 'عبر' لا يعود إلى مكونات المفهوم في ذاته (مفهوم العبور)، وإنّما يعود إلى اختلاف في نمط المسح في الواحد منهما. وهو أمر متّصل بنمط التصوير، تمثيل ذلك في (13):
يشير السّهم إلى محور الزّمن والمستطيل ذو الخطوط الغليظة إلى المعلم (المجال أو الفضاء موقع العبور) والدائرة إلى المنتقل. فيكون العبور في (13-أ) حدثاً يتحوّل بمقتضاه موقع المنتقل بتدرّج خلال الزّمن: فالعبور بدايته موقع خارج المجال فدخل فيه فاحتلال لأبعاضه المسترسلة فبلوغ لنهايته فخرج منه. وهذا ما تشير إليه الخطوط المتقطّعة دلالة على ترابط تلك الأوضاع واسترسالها. وهذا هو نمط المسح التّتابعي.

أمّا العبور في (13-ب) فمأخوذ في جملة أي من حيث هو عمليّة شاملة تمسح جملة الأوضاع التي تكون للمعلم في مجاله مسحاً واحداً شاملاً لا أبعاض فيه. ويمكن تبين ذلك بالمقارنة بين القولين في ما يلي:

- يصل المهاجرون إلى أوروبا عبر المتوسط.

- يعبر المهاجرون المتوسط للوصول إلى أوروبا.

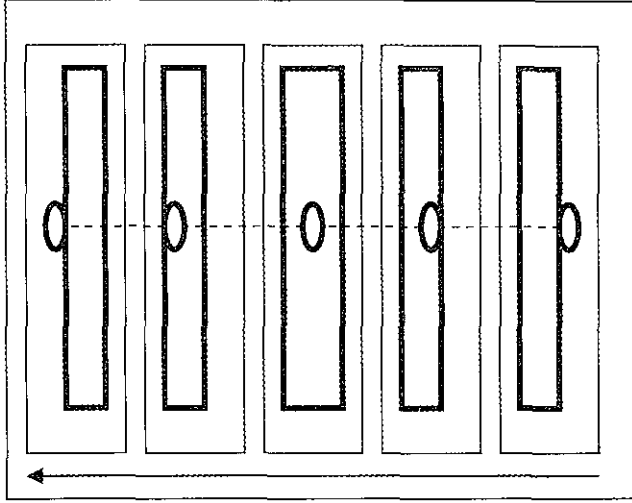
فوسم العمليّة بكونها زمانية ووسم العلاقة بكونها لازمانيّة رغم إحالتها على الزّمان يتّضح على الأساس التّالي: لا يقوم الفرق بينهما على دور الزّمان في الإسناد (أي الزّمان المتصوّر¹) وإنّما يقوم على زمان المعالجة² أي على نمط المسح. فإذا ما

Conceived time. 1

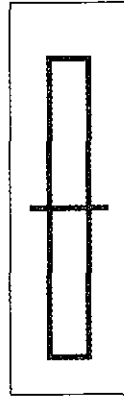
Processing time. 2

أثيرت الأوضاع متتابعة في زمن المعالجة كان المسح متابعياً ويجري في ذلك الفعل، وإذا أثيرت متزامنة بمحطة كان المسح مجملاً وتجري في ذلك الوحدات العلائقية اللازمانيّة.

(13)



أ. غير / يعبر



ب. غير

ويقوم هذا التحليل - عند لانفاكر- على أساس طبيعيّ إذ يتأسّس الاختلاف بين التّمطين في المسح على أسس عرفيّة، وهو تحليل يساعد على تحقيق عدد من الأشياء منها تفسير الحدوس اللّغويّة المتداولة في شأن الفعل مثلاً من حيث طبيعته الحركيّة فصيغة الفعل 'عبر'، يعبر' مثلاً ليست أكثر دلالة على حركة العبور من الظّرف 'عبر'، ولكنها تمثّل نمطاً من المسح متابعياً للحركة، وذلك خلافاً للظّرف الذي يمثّل مسحاً مجملاً لها.

ومنها التمييز بين الأقسام النحويّة الأساسيّة وشرح وجوه الشبه ووجوه الاختلاف بينها: فاعتماد نمط المسح يمكن من تفسير الشبه الكائن بين وحدات علاقيّة وأفعال من حيث المضمون المفهوميّ، كما يمكن من تفسير جريان الواحد منهما في إفادة العلاقة والعمليّة بحكم التكافؤ المفهوميّ، فلا فرق بين 'فاق' و'فوق' أو بين 'عبر' و'عبر' من حيث المضمون المفهوميّ، ولكنّ بين الطرفين فارقا في نمط المسح. فهما عبارتان متكافئتان من حيث المضمون ومختلفتان من حيث نمط المسح، يكون الفعل منهما للمسح التّابعيّ والظرف منهما للمسح الجمل.

كما يفيد نمط المسح -مدخلا نظريّا- في تفسير الوضع الخاصّ الذي يكون للأفعال والصفات غير المصرفة زمنيّا فكلاهما متّصل بالفعل من حيث المضمون المفهوميّ ولكنّ صوغهما يقوم على طمس المسح التّابعيّ وإلغائه، فتصنّف تبعاً لذلك الوحدات ضمن العلاقات اللازمانيّة فالانتقال من صيغة الفعل إلى المشتقّ الاسميّ أو الفعل غير المصرف زمنيّا انتقال من المسح التّابعيّ إلى المسح الجمل. ويعتمد لانفاك هذه الأسس لتسطير عدد من المبادئ العامّة:

أ- تعرض المركّبات المصرفة زمنيّا عمليّة، وهو قيد يقتضي اشتغالها على فعل يسهم بنمط المسح التّابعيّ، ومن تبعاته كذلك أن تشتمل الجمل الخالية من الفعل على واحد من الفعلين المساعد (have, be)، وهما يعرضان عمليّات على غاية من الخطاطيّة، أي أنّهما لا يتضمّنان إلّا تحديدا لطبيعتهما العمليّاتيّة. فهما يلتحمان بالوحدات العلاقيّة اللازمانيّة في الجملة ليكمل بحما المسح التّابعيّ.

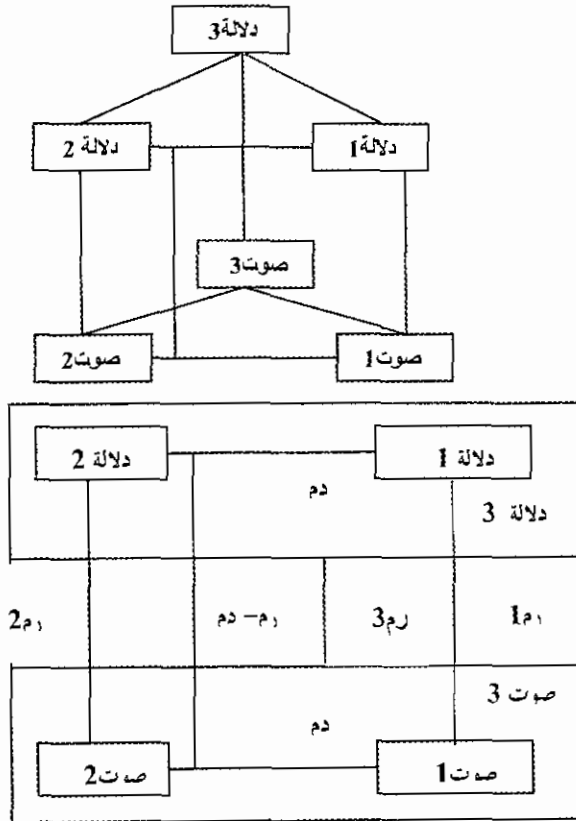
ب- تكون محوّرات الأسماء لازمانيّة عادة: من قبيل اسم الإشارة والموصولات الاسميّة.

وفي العموم يمكن اختصار ما سبق في ما يلي: تعرض العلاقة اللازمانيّة ترابطات بين ذاتين أو أكثر حيث تكون الذات شيئا أو علاقة من نوع آخر، فكلمة 'قبل' مثلا يمكن أن تربط بين عمليّتين كما في قولنا: 'وصل زيد قبل أن يخرج عمرو'. وتمثّل العلاقة اللازمانيّة المركّبة سلسلة من العلاقات السكوينيّة الثّابتة القارّة ممسوحة مسحا مجملا، أمّا العمليّة فعرض تابعيّ لعدد من الأوضاع يتوزّعها الزّمان وتمسح مسحا تابعيّا، ويكون فيها المنتقل دائما شيئا ولا يكون علاقة أبدا.

الأبنية النحوية

يمثل النحو - عند لانفاكر - مجموعة القوالب التي تحدّد أنماط التوليف بين الأبنية الرمزية توليفاً خطياً لتكوين تعابير رمزية من درجات عليا. والنحو مسرد منضد من الأبنية النحوية، تحدّد الواحدة منها العلاقة التي تكون بين مكونين أو أكثر من الأبنية الأساسية وتحدّد كذلك الأبنية المركبة الناتجة عن تلاحم الأبنية الأساسية. وفي (14) تمثيل للأبنية الأساسية والعلاقات كما تبلورت عند لانفاكر بطريقتين متكافئتين:

(14)



الوحدات الأساسية اثنتان صوتية ودلالية والعلاقات ثلاث: علاقة ترميز¹ (رم) يترابط بها القطب الصوتي بالقطب الدلالي، وعلاقة تركيب² (تر) يتركب

Symbolization. 1

Composition. 2

بمقتضاها العنصران، وعلاقة إدماج¹ (دم) ينصهر بمقتضاها العنصران في واحد.

وتجري علاقة الترميز تبعاً لمستويات التركيب فتكون العلاقة ترميزاً بين صوت ومعنى في لفظ مفرد (رم 1، رم 2 في (14))، وإذا يتركب هذا اللفظ مع لفظ آخر تنشأ علاقة ترميز يقترن بمقتضاها الصوت المركب بالمعنى المركب (رم 3 في (14)). ويحدث كذلك الدمج في القطب الصوتي والقطب الدلالي ويتقارنان بواسطة الترميز (رم-دم في (14)). وتبين العلاقة (رم-دم) عن طبيعة التحو الجوهرية من حيث كان رمزياً في أساسه. فاندماج الأبنية الأساسية في القطب الصوتي وسيلة ترمز إلى اندماج الأبنية الأساسية المناسبة لها في القطب الدلالي. فكلمة 'مجتهدون' - مثلاً - يندمج في قطبها الصوتي المكونان 'مجتهد' و'ون' وهي عملية تقتضي التسابع الزماني والتنظيم المقطعي المناسبين (وبعض التعديلات الصوتية عند الاقتضاء). فالتحاق 'ون' بـ'مجتهد' عملية ترميز تفيد أن الجمع الذي تحمله مقترن بتلك الوحدة دون غيرها، فالعلاقة الرمزية (رم-دم) لا تربط بين بنية صوتية وبنية دلالية وإنما تربط العلاقات التي تكون بين بنيتين صوتيتين وبنيتين دلالتين.

وفي المظهر الدلالي، يقوم الدمج بين بنيتين مكونتين دائماً على تناسبات ثابتة بين أبنيهما الفرعية، فالأبنية الفرعية المتناسبة مواطن تطابق بين البنيتين المكوئيتين. وهذه المواطن ضرورية لنشأة مفهوم مركب مستقيم. فالبنية المركبة تنشأ بترابك الخصائص في كل واحدة من الأبنية الفرعية المتناسبة. فإذا ما حدث نوع من التعارض في تلك الخصائص لا يستقيم المفهوم المركب فيؤول إلى خلل دلالي من حيث يمثل خرقاً لقيود الانتقاء.

فالمثال 'فوق الطاولة' ناتج عن اندماج بين 'فوق' و'الطاولة' ليتكوّن المركب الإضافي. تعرض 'فوق' علاقة سكونية ثابتة في فضاء اتجاهي بين شيئين اثنين لا يتحدّدان إلا خطاطياً. وتعرض 'طاولة' شيئاً محدّداً ذا خصائص متعدّدة المداخل - لا يتسع المجال لاستعراضها - هي جملة ما يكون مفهوم الطاولة. ويكون الاندماج بين المكوّنين بالتناسب بين المعلم في خطاطة 'فوق' ومعرض 'طاولة'، وبالتراكب بين خصائص كلّ من البنيتين الفرعيتين وباعتماد العلاقة التي تعرضها 'فوق' تنشأ بنية

مركبة 'فوق-طاولة' تحيل على علاقة سكونية تربط بين منتقل خطاطي ومعلم مخصوص، وتنتهي عملية التركيب بتناسبات عمودية بين العناصر المكونة للبنية المركبة وتناسبات أفقية ترابط بها المكونات.

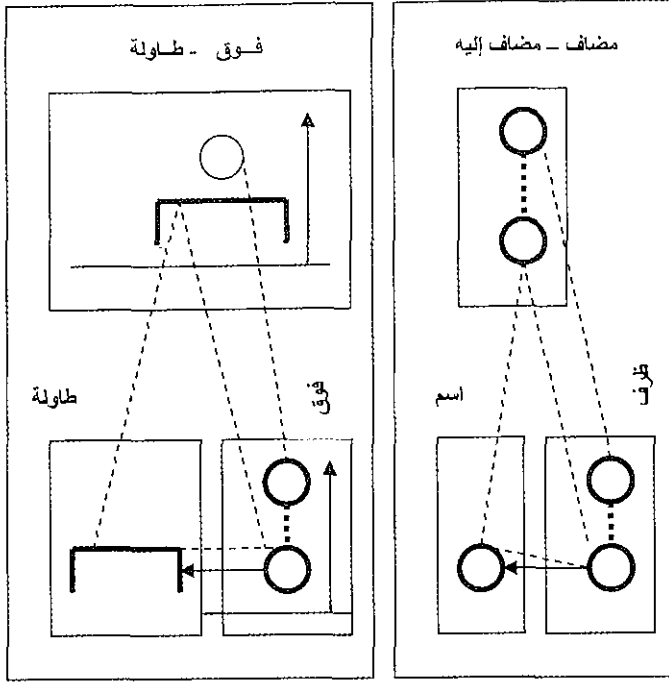
تمثيل ذلك في (15) حيث تبين مراحل التركيب ومراحل تحققات الخطاطة بداية من خطاطة المركب الإضافي التي يجتمع بمقتضاها رأس مضاف ومتمم مضاف إليه هو مركب اسمي (15-أ) وانتهاء بتحقيق تلك الخطاطة في 'فوق الطاولة' (15-ب):

ويسطر لانفاكر مبدأ مضمونه أن الدلالة لا تقوم قياما كلياً على التركيب بين الدلالات الجزئية إذ يمكن للعبارات ذات البناء المركب أن تحيل، أول ما يكون تجميعها، على مجالات لا يمكن التكهن بها من خلال الأبنية المكونة لها أو من خلال الوحدات المعهودة فيها. وإذ مثلت هذه الخصائص جزءاً من تأويل هذه العبارات وقسما من قيمتها الدلالية في حال استقرارها وحدة قائمة برأسها، يكون من الاعتباري إقصاء هذه الخصائص من التحليل الدلالي. وذلك من قبيل ما يجري في العربية مثلاً في قولنا 'فوق رأسي' أو 'على رأسي وعيني' في دلالتها على العناية بالشئ وإيلائه المنزلة العليا، وهي قيمة لا نحصل عليها بمجرد الجمع بين دلالات الأجزاء المركبة للعبارة.

فالتحو يتضمن قوالب التركيب التي تحدّد المظاهر الأساسية في تنظيم كل بنية مركبة. وتمثل هذه القوالب في عدد من الخطاطات البنائية¹ تقوم الواحدة منها على بنية داخلية توازي البنية الداخلية في جميع العبارات التي تحقّقها من حيث كانت نماذج لها. فالتحو العربي مثلاً يتضمن خطاطة لبناء المركب الإضافي بمقتضاها يتحدّد في القطب الصوّمي التجاور والترتيب الخطّي للمكوّن المضاف والمكوّن المضاف إليه، وتحدّد في القطب الدلالي القيم الدلالية بشكل خطاطي يتضمن قيم الوحدات المكونية مفردة وقيمة ما يتركّب منها: فالمكوّن الأول مكوّن خطاطي لقسم الظروف - مثلاً - بمعنى أن كل ما يتحدّد فيه هو العلاقة السكونية الثابتة التي يدلّ عليها (كالفوقية أو التحتية، إلخ)، وكون المنتقل والمعلم المترابطين بتلك العلاقة شيعين.

- أ -

- ب -



والمكوّن الثاني خطاطة للمركّب الاسميّ معروضه 'شيء' بما له من خصائص دلالية. فيكون التّناسب بين المعلم في خطاطة المكوّن الوارد مضافا وما يعرضه الاسم المضاف إليه، ثمّ يحدث التّراكب بين خصائص المتناسبين (انظر 15-أ). وتجري هذه الخطاطة البنائية نفسها في الاستعمال في تحليل العبارات الحادثة وتقييمها. وهذه الخطاطة عدد من الخصائص يمكن اعتبارها خصائص طرازية ذلك أنّ كلّ ما فيها بنيتان مكوّنتان: الواحدة علائقية والأخرى اسمية، يكون التّناسب بين ما يعرضه الاسم ووجه ما تعرضه العلاقة (أي معلم العلاقة أو ما هو المعلم في الخطاطة). ورغم التّفاوت الكبير في درجة التّخصيص بين ما يتوقّف في 'فوق' من حيث كانت خطاطة لعلاقة -ومن طبيعة الخطاطة أن تكون فقيرة جدّا من حيث التّخصيص- من جهة، وما يتوقّف في الاسم 'طاولة' من جهة ثانية، تسم 'فوق' البنية المركّبة كاملة من حيث لا تعبر 'فوق الطاولة' إلّا عن علاقة. لذلك تكون 'فوق' - عند لانفاكر - محدّدا معروض¹ المركّب كاملا.

تقوم الخطاطات - في ضوء ما عرضنا- على مظهرين: تناسب ضروري مطّرد بين الخصائص الخطاطية هو ما يضمن للخطاطة موقعها الطّرازي فتكون نموذجاً لجميع العبارات المختلفة نوعاً ومضموناً، وقسم آخر من الخصائص المتنوعة تجري بها البنية الخطاطية في العبارات المركّبة المتناهية.

وليس من المفروض أن يكون طرفاً البنية المركّبة من نوع مخصوص من حيث المعروض، فكل ما يجب أن يتوفّر هو هذا التّناسب، وهو الشرط الأدنى الضّروري لاستيعاب جميع الأبنية. والمكوّنة¹ ليست مظهراً نحويّاً مستقلاً بذاته في البنية النّحويّة وإنّما هي التّراتبيّة التي بها تتركّب الأبنية الرّمزيّة تدريجاً في عبارات مركّبة تذهب في اتّساعها درجة فدرجة، والبنية المركّبة الحادثة باندماج مكوّنين يمكن بدورها أن تكون مكوّناً في بنية مركّبة من درجة أعلى، وهكذا إلى ما لا ينتهي. وذلك من قبيل: (فوق) (طاولة)/(فوق طاولة) (مصباح)/(مصباح فوق طاولة)... ويحدث أن يتساوى الطّرفان في ذلك في أبنية اسميّة من قبيل "صديقي العزيز عمرو" (علاقة البدليّة في النّحو العربي).

ويُدحض هذا الرّأي القائِل بأنّ البنية المركّبة ترث خصائص المكوّنين المتركّبين. فالبنية المركّبة ذات الطّرفين يبلور الواحد منهما الآخر إذ ينقسم الطّرفان إلى مكوّن محدّد ومكوّن محدّد، فالحدّد مستقلّ مفهوميّاً والحدّد تابع مفهوميّاً. ففي قولنا 'فوق طاولة' تمثّل 'طاولة' مكوّناً مستقلاً مفهوميّاً إزاء 'فوق' من حيث تحدّد معلمها الخطاطي وفي 'المصباح فوق الطاولة' يمثّل 'مصباح' مكوّناً مفهوميّاً إزاء 'فوق الطاولة' من حيث يحدّد المنتقل الخطاطي المتعلّق بها. تمثيل ذلك في (16):

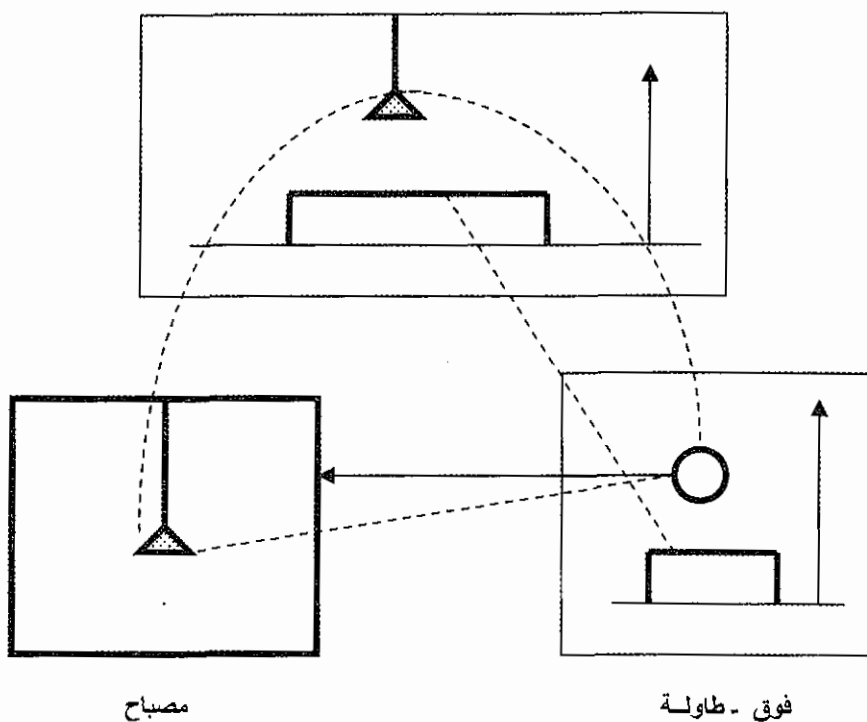
وفي ضوء هذا التّعلّق يكون المكوّن التّابع مفهوميّاً محوّراً ويكون المكوّن المستقلّ مفهوميّاً متمّماً: فيكون 'طاولة' متمّماً لـ'فوق' في 'فوق الطاولة' ويكون 'فوق الطاولة' محوّراً لـ'مصباح'.

ويرى لانفاكر أنّ المكوّنيّة تمكّن من إقامة تصوّر مرن للبنية النّحويّة يستوعب وجوه التّوليف المتنوّعة في النّحو، فلا حاجة إلى افتراض المشجّر المركّبي كما هو الأمر في التحليل التّوليدي، ولا حاجة إلى اعتماد تشكّلات البنية المركّبيّة في تحديد العلاقات النّحويّة، فالمكوّنيّة هي بكلّ بساطة تراتبيّة التّجميع في

العبارات المركبة. وإذا ما حدث أن تواتر وجه واحد مخصوص من وجوه ذلك التجميع وانتشر فكان الغالب، فإن ذلك لا ينفي وجوها أخرى ممكنة في التجميع، بل لا وجاهة في اعتماد بنية مكونة واحدة في تحديد العلاقات التحويلية ولا تحوّل ولا تحويل لبنية من أخرى. فما يحدّد كون 'الطاولة' متمّما لـ 'فوق' في 'فوق الطاولة' ليس مشعّر البنية المكونية في ذاته وإنما دور المركّب الاسميّ في تحديد معلم المضاف.

(16)

مصباح - فوق - طاولة



مصباح

فوق - طاولة

ولئن كانت بنية المركّب الإضافيّ واحدة لا تتغيّر فالعامل الأساسيّ في تحديد علاقة الإضافة يتمثّل في التناسب القائم بين معلم المضاف ومعرض المضاف إليه. وينسحب هذا - عند لانقار - على جمل من قبيل (17):

(17) زيد يحبّ التمر.

حيث يمثّل 'تمر' المعلم الخطاطيّ لفعل 'يحبّ' في مستوى مكونيّ أوّل فيتهيّا حمل عمليّ حدثيّ ذو معلم ومنقل خطاطيّين محدّدين، ثمّ يقدّم المكوّن 'زيد' في

مستوى ثان، المنتقل المتعلق بـ 'يحبّ التمر' فيتهيأ حمل عمليّ حدثيّ ذو منتقل ومعلم محدّدين:

الحمل: [منتقل (زيد) - معلم [منتقل (يحبّ) - معلم (التمر)]]
ويمكن أن يجري التوليف بين المكوّنات نفسها في اتجاه آخر فيكون 'زيد' المنتقل الخطاطي للفعل 'يحبّ' ثمّ يمثّل 'التمر' المعلم الخطاطي لـ 'زيد يحبّ':

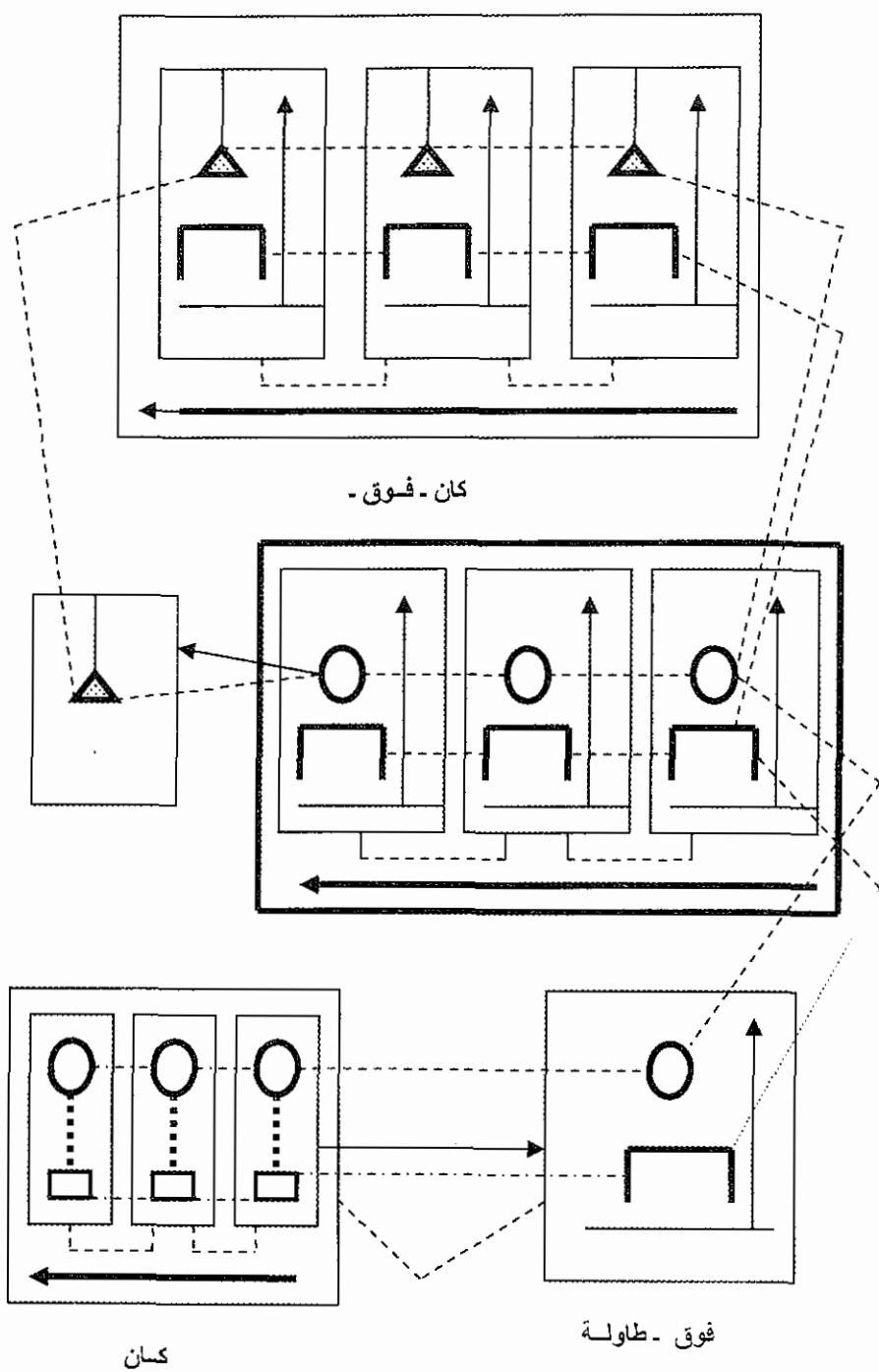
الحمل: [منتقل [منتقل (زيد) - معلم (يحبّ)] - معلم (التمر)]
ويرى لانقاكر أنّ تحليل الأبنية النحويّة القائم على ثنائيّة المعلم-المنتقل الخطاطيّين يمكن من استيعاب أبنية مركّبة دون اللجوء إلى التحويلات، يكون ذلك في نماذج تتضمّن نواتين من فعلين مختلفين لهما فاعلان مختلفان ومفعول به واحد مشترك كما في (18):

(18) زيد يحبّ، ولكنّ أكثر النّاس يكرهون، التمر¹.

حيث لا حاجة إلى تحويل قائم على رفع العقدة اليسرى يعود بهذا التّمط من الجمل إلى جملتين متعاطفتين، إذ يمكن تجميع المكوّنين (الفعلين والفاعلين) أولاً ثمّ التّوليف بينهما في بنية العطف وينضاف إلى ذلك المفعول به مندمجاً في آن في كلّ من المعطوفين من خلال التّناسب بين معروضه من جهة ومعلم أداة العطف العلائقيّ: المفعول به منتقل للمعلم الذي تمثّله علاقة العطف. وعلاقة العطف منتقل لمعلمين هما المكوّنات المتعاطفتان.

وبناء على ما سبق من المبادئ ومواصلةً لدرجات التّركّب في الأبنية النحويّة، يواصل لانقاكر تحليل مراحل التّركّب في 'فوق الطّاوله' بجرياتها في 'كان المصباح فوق الطّاوله' كما يبين من (19):

1 Alice likes, but most people really hate, braised liver. (Langacker 1991, p.303).



يمثل الفعل الناقص 'كان' (be) نموذجاً خطاطياً لقسم من الأفعال مدلولها عملية تتمثل في الاستمرار خلال الزمان على وضع قارّ واحد. فيمثل بذلك أداة في إسناد ما يكون الأحوال من حيث أبعاضها على أساس التشابه والاستمرار. فهو مكون خطاطي لعلاقة تستمر في الزمان.

يقرأ التمثيل (19) على مستويين مكوّنين أوّل وثان:

يكون في المستوى المكوّن الأوّل وضع العلاقة القارّة المحدّدة (فوق - طاولة) إزاء الوضع الخطاطي الذي تعرضه (كان) على أساس التناسب فينتج حينئذ حمل مركّب (كون-فوق-طاولة) يشبه خطاطة (كان) تماماً إلّا في كون جميع التخصيصات الموروثة من (فوق-طاولة) منطبقة على ذلك الوضع بشكل مسترسل متتابع خلال الزمان، فمعلم (كون-فوق-طاولة) محدّد في هذا المستوى ولكنّ منتقلها يظلّ خطاطياً.

ويتبلور في المستوى المكوّن الثاني المنتقل الخطاطي في (مصباح) لنتج بنية مركّبة (مصباح-كون-فوق-طاولة) تمثل المعنى المركّب في الجملة التامة. فهي تعرض استمرار وضع قارّ ثابت خلال الزمان يشارك فيه (مصباح) و(طاولة) في علاقة محلّية مكانية¹ مخصوصة. وتمثّل (مصباح) المسند إليه من حيث بلورت المنتقل لرأس المركّب (كون-فوق-طاولة)، وعندما نتأمّل التناسبات العمودية والأفقية نتبيّن أنّ (مصباح) تناسب منتقل كلّ العناصر العلائقية (كون فوق طاولة، كون فوق طاولة، فوق).

خاتمة

تلك بعض الأسس المنهجية المفهومية التي يقيم عليها لانفاكر نظريته الموسومة بالنحو العرفي، ولعلّ هذا العرض غير موفٍ بدقائق النظرية ولا بمختلف أطوارها، فهو مجرد مدخل تكون من خلاله الدّعوة إلى التعمّق في النظرية بتوفير مفاتيح تيسّر ولوجها والدّعوة إلى تناول العربية بخصوصياتها النظامية في هذا الإطار. ولعلّ نظرية النّحو العرفي واحدة من نظريات لسانية قليلة يكون فيها السّعي إلى استيعاب النّحو في انتظامه الشّامل أصواتاً وصرفاً وإعراباً ودلالة وتداولاً في استرسالها، فلا انفصال ما بين الإعراب والدّلالة، ولا ما بين اللّغة والملكات العرفية عند المتكلّم.

فاللغة ليست نظاماً مكتفياً بذاته ولا تقبل الوصف بمعزل عن العمليات العرفية، ولا يمكن تفسير السلوك اللغويّ دون اعتبار آليات المعالجة العرفية. فالبنى النحوية لا تكون نظاماً شكلياً مستقلاً بنفسه وإنما هي بنى رمزية تخدم المضامين المفهومية من حيث تُشكّلها وترمز إليها. ولعلّ ما يميّز لانقار اعتبره النحو تصويرياً بالأساس، من حيث مثّلت اللغة عنده جملة من الموارد الرمزية تكون بها صياغة المضامين العرفية وفق نمط من أنماط التصوير بأبعاده المختلفة ولذلك يدعو لانقار إلى الالتزام بالتأليف ما بين نتائج البحث اللسانيّ ونتائج علم العرفنة حفاظاً على طبيعة النظرية اللسانية.

نظرية الاستعارة المفهومية

يُعتبر لايكوف من أبرز الأعلام المؤسسين للعرفانيات عامة ولللسانيات العرفانية على وجه الخصوص، ومن ميزاته التأليف الجماعي (صحبة جونسون، مارك تورنر ومن لف لفهما) وهو ما يندر عند لانقاكر أو طالبي. ومن ميزاته أنه يعتمد ما توصّل إليه بعض الأعلام من الباحثين العرفانيين من مبادئ ومناويل يصهرها في مشروعه النظريّ ويعلن ذلك (انظر لايكوف 1987 ص 68 مثلاً). وهو يدحض ما استقرّ في الفلسفة الغربية منذ ألفين من السنوات باعتماد ما تجلّى في الأبحاث الحديثة من الأدلة والمعطيات والحجج التي يبين بها قصور تلك المسلّمات وذلك في مجالات متعدّدة أبرزها علم النفس العرفي. ويلاحظ الدارس أن مشروع لايكوف ثلاثي المحاور من حيث الإشكاليات المطروحة (العقل والحقيقة، طبيعة العقل، المقولات) وثنائي القسم من حيث الزمن (قديماً وحديثاً): فقيام العقل على الحقيقة وطبيعته المجردة وقيام المقولات في ذاتها من الحقائق الثابتة في القدم وهو ما يناهضه لايكوف باعتبار العقل قائماً على التخيّل (الاستعارة) وحالاً في الجسد وقيام المقولات في صلة بتجربتنا الجسدية. ولذلك سنعرض أسس نظرية لايكوف في شكل ثلاث نظريات فرعية دون أن يعني ذلك الانفصال بينها: أوّلها في نظرية الاستعارة المفهومية وثانيها في العرّفنة المحسّنة، وثالثها في المناويل العرفانية المؤمثلة.

الرؤية الموضوعية والرؤية الواقعية التجريبية

يوجز لايكوف وجوه التعارض في ما يتعلّق بالعقل (الدّهن) طبيعة ومادّة واشتغالا، ما بين النظرية الفلسفية الكلاسيكية وما يُقترح في النظريات العرفانية الحديثة (لايكوف 1987)، ويختزل ذلك في التعارض ما بين الرؤية الموضوعية¹ من جهة والواقعية التجريبية² من جهة أخرى.

Objectivism/objectivist view. 1

Experiential realism/experientialism. 2

فمن ركائز النظرية الفلسفية الموروثة منذ القدم دون مساءلة والتي باتت من المسلّمات تُعتمد في البحث في طبيعة الذهن واشتغاله على مدى العقود الأولى من تبلور العلوم العرفية، أنّ الفكر يشتغل على رموز تجريدية اشتغالا آلياً ميكانيكياً، فالذهن- في هذا التصوّر- آلة تجريدية تعالج الرموز كما يعالجها الحاسوب أي باعتماد الحوسبة الخوارزمية. والرموز بما فيها الكلم والتمثيلات الذهنية تقترب بمعانيها باعتماد مناسبتها للأشياء في العالم الخارجي، والمعنى مطلقاً هو التناسب ما بين الذهني وحال الأشياء في الواقع. وما الرموز التي تناسب العالم الخارجي إلاّ تمثيل داخليّ للواقع الخارجي. فيقوم التناسب بين الرموز والعالم الخارجي قياماً مستقلاً عن أيّ ذات من حيث خصائصها أو مميزاتها. ولذلك يمثّل الذهن مرآة للطبيعة من حيث يعمل على تمثيلات داخلية للواقع الخارجي، فيكون على ذلك الفكر الصحيح السليم ما عكس منطق الأشياء في العالم الخارجي.

ومن تلك الركائز كون حلول الفكر في الأجسام أمراً عارضاً لا يمس شيئاً من جوهر الفكر، إذ كان الفكر متعالياً متجاوزاً حدود المادة ولئن كان لا بدّ من الأجساد للعيش في المحيط فهي مجرد أدوات يقودها الفكر المجرد ويوجهها. فالفكر مجرد منتزع من الجسد إذ كان مستقلاً قائماً بذاته غير خاضع لحدود الجسم البشريّ وقصور الحواسّ لقصور النظام العصبيّ الذي يملكه. فيمكن - على هذا- للآلة أن تشتغل على رموز تناسب الأشياء في الواقع الخارجي فتنتج معنى فيه فكر وعقل.

ومن تلك الركائز كون الفكر ذريعاً بمعنى أنّه يقبل التفكيك إلى جزئياته وهي الرموز البسطى كما يقبل التركيب بالتوليف المحكوم بالقواعد لتكوين الوحدات المركبة. وإذا كان الفكر قائماً على أساس المنطق (الصناعي) فإنّه يقبل الصوغ الصوريّ الرياضيّ في ما يسمّى 'مناويل العالم'. ولا تناسب تلك الرموز المجردة الأشياء العينية أو ما يعمّها من الأنواع في عالم الواقع وإنّما تناسب ما تنتظم فيه تلك الأشياء من المقولات، فالمقولة جماع الخصائص المشتركة بين العناصر المنتمة إليها، وهي جميعاً تمثل الشرط الضروريّ والكافي¹ لانتماء العنصر إلى مقولته ولتكوينها ولتحديدها (تعريفها). فيكون بين الفكر والعالم -واقعياً كان أو ممكناً- تناسباً في المقولات بوجه تتقارن فيه الرموز والمقولات واحداً بواحد.

1 Necessary and sufficient condition(s).

وإزاء ذاك التّصوّر الكلاسيكيّ بركائزه الموضوعيّة ينهض تصوّر آخر أساسه تجريبيّ حيث تفيد 'التّجربة' بالإضافة إلى أساسها الحسيّ الإدراكيّ والحركيّ الجسديّ، كلّ ما يمثل تجربة فعلية أو ممكنة، فردية كانت أو جماعية. فقوام التّجريبية طبيعة الجسد من حيث تكوّنه وراثته واكتسابا ومن حيث أدوات التّفاعل الّتي له ومحيطه الّذي يعيش فيه. فالفكر - في الرّؤية التّجريبية - مجسّد¹ بمعنى أنّ الأنظمة المفهوميّة عند البشر تنشأ وتبلور وتكتمل بناء على تجربة الفرد الجسديّة في العالم، وقلب هذا النظام المفهوميّ متجذّر² في الإدراك وحركات الجسد في محيطه وفي جميع التّجارب أو التّفاعلات الاجتماعيّة والمادّيّة. فالفكر ذو أرضيّة إدراكيّة جسديّة.

والفكر تحليّ³ أي قائم على التّخيّل والتّصوير باعتماد الجواز والاستعارة وما إليهما. فما لم يكن ذا أرضيّة جسديّة من المفاهيم، يستعمل هذه الأدوات الّتي لا يكون فيها انعكاس الواقع انعكاسا حرفيّاً أو تمثيله تمثيلاً مطابقاً له في الخارج. وللفكر خصائص جشطالتيّة وليس ذريّة، بمعنى أنّ للمفاهيم أبنية شاملة عامّة تتجاوز مجموع المكوّنات الجزئية فيها. ويكون للمفاهيم بنية مرتبطة بالمحيط والبيئة. بمعنى أنّها ليست مجرد أبنية رمزيّة يشغل عليها الدّهن منقطعة عن مجال العيش والتّجربة.

وتستعمل 'المناديل العرفيّة'⁴ لوصف الأبنية المفهوميّة كما يأتي بيانه في بابه، وهي مناديل تتضمّن ما استقام أمره من الحقائق المتعلّقة بالفكر والمقولات والمعاني في الموضوعيّة الكلاسيكيّة، وينضاف إليها الأساس التّجريبيّ.

ومن خصائص الفكر (الدّهن) عند لايكوف أنّه تصويريّ مجسّد ذو بنية جشطالتيّة، وتقوم لوصف كلّ خصيصة نظريّة، من قبيل نظريّة الاستعارة المفهوميّة ونظريّة الجسدنة ونظريّة الصّورة الخطاطة وجميعها لبنات تُبنى بها المناديل العرفيّة المؤمثلة (كما يأتي بيانه).

ومن الأسس المشتركة بين الموضوعيّة والتّجريبية على ما بينهما من تعارض، الالتزام بوجود العالم الواقعيّ والتّسليم بما للواقع من تأثير على المفاهيم وتقييد لها

Embodied. 1

Grounded. 2

Imaginative. 3

Cognitive Model(s). 4

وتصوّر للحقيقة يتجاوز مجرد الانسجام الداخليّ فيها والالتزام بوجود معرفة ثابتة بالكون.

نظرية الاستعارة المفهومية

نظرية الاستعارة المفهومية¹ تسمية لجملة من الأفكار والمبادئ متعدّدة روافدها في إطار اللسانيّات العرفيّة، ولعلّ اقتراحها بلايكوف عائد إلى ما له فيها من صهر وبلورة وما لآثاره من رواج وما لطريقته في العرض والبسط من الوضوح والنّجاعة. ولهذه النّظرية مبررات عامّة تتّصل بطبيعة الفكر عامّة وبلاستعارة والمجاز خاصّة.

فالفكرة الكلاسيكية ترى أنّ العقل يقوم على الحقيقة (المعنى الحرفي) وبمحاله القضايا التي تقبل الصدق والكذب بصفة موضوعيّة. ولكنّ الفكرة الحديثة الجديدة تأخذ مظهر التّخيّل (المجاز) في العقل (الاستعارة والمجاز المرسل والتّصوير الذّهني) باعتباره مكوّنًا مركزيًا من مكوّنات العقل لا مكوّنًا زائدًا ينضاف إلى الحقيقة. فممّا يدحض لايكوف - مواصلا ما بدأ عند مايكل راڊي² (1979) - في الرّؤية الكلاسيكية التّمييز ما بين الدّلالة الحرفيّة والدّلالة المجازيّة في الكلام، وإذ تسقط تلك المقابلة يسقط ما قام عليها من المفاهيم والافتراضات الغالطة.

فقد تبين أنّ الاستعارة تننظم الفكر في جميع مظاهره وهي مبثوثة في جميع الاستعمالات اليوميّة العادية في العبارات اللّغويّة. وإذ يكون ذلك تسقط ثنائيّات كلاسيكية غالطة منها كون الاستعارة (المجاز) ظاهرة لغويّة وليست فكريّة، ومنها كون اللّغة العادية اليوميّة قائمة أساسا على الدّلالة الحرفيّة وخالية من الاستعارة والمجاز.

ويثبت خلاف ذلك فالاستعارة ظاهرة مركزيّة غالبية في دلالة الكلام العاديّ اليوميّ وهي جزء من الفكر من حيث مثّلت أداة في تصوّر العالم والأشياء وتمثّلها في جميع مظاهرها، فهي جزء من النّظام العرفيّ. ولذلك سمّيت بالاستعارة المفهوميّة إذ كانت الاستعارة أداة مفهومة وتمثيل وتصور يعمّ كلّ مظاهر الفكر بما في ذلك المفاهيم المجردة والمتّصلة بالمجالات الأساسيّة من قبيل الزّمن والأوضاع والمكان

Conceptual Metaphor Theory (CMT). 1

Michael Reddy. 2

والعلاقات والأحداث والتغيير والحمل وما إليها. ويجرّ هذا التحوّل تغييراً في مصطلح الاستعارة إجراء ومفهوماً:

فالاستعارة - في النظرية الكلاسيكية - عبارة لغوية جديدة أو شعرية يستعمل فيها لفظ واحد أو أكثر في معنى غير معناه المعهود المؤلف للتعبير عن معنى شبيه به (لايكوف 1992)، وهي - في النظرية الحديثة - إسقاط عابر للمجالات¹ في النظام المفهومي، وما العبارة الاستعارية إلاّ تحقق سطحيّ لتلك العمليات التي يجري بها الإسقاط المفهوميّ في الذهن.

وبسقوط المقابلة بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي في الاستعارة تسقط الفرضية القائمة عليها والمتعلقة بتحليل الاستعارة وفهمها: فالتصور في النظرية الكلاسيكية أنّ الوصول إلى المعنى المجازي الاستعاريّ يكون بالانطلاق من المعنى الحرفيّ فإجراء بعض العمليات 'الخوارزمية' عليه ثمّ الانتهاء إلى ما يمنح الفهم الحرفيّ فيثبت المعنى المجازي. ولكن تبين أنّ في نشوء الاستعارة وتحليلها سبيلاً أخرى أساسها الإسقاط ما بين المجالات كما يأتي بيانه.

فهذا هذا وتظلّ الدلالة الحرفية قائمة في الإجراء اللغوي. ويظلّ التفريق قائماً - عند لايكوف - بين الاستعارة اليومية أي تلك الجارية في الكلام العاديّ والاستعارة الشعرية ولكنّ أبرز ما يثبت لايكوف أنّ كليهما يشغل وفق آليات مفهومية واحدة.

الاستعارة تمثّل لمجال على أساس مجال آخر

ينطلق لايكوف من أمثلة جارية في الإنجليزية اليومية ولها قريب منها في العربية وبعض اللغات الأخرى دون شك. ويثبت أنّ المبدأ العامّ المسير لها لا يكمن في طبيعة النّحو أو المعجم وإثما مكمنه في النظام المفهومي² الكامن في أذهان المتكلّمين، وقوام هذا المبدأ أنّنا نتمثّل مجالاً ما على أساس مجال آخر بتوسّط علاقات الإسقاط المفهوميّ.

يؤخذ الإسقاط المفهوميّ في مظهره الرياضيّ - تقنيّاً - من حيث هو جملة التّناسبات التي تقوم بين المجالين عنصرًا بعنصر أو مكوّنًا بمكوّن، يجمل لايكوف

Cross-domain mapping(s). 1

Conceptual System (CS). 2

ذلك في ما يسميه إسقاط المعارف المتعلقة بالمجال المصدر¹ على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف²، فتكون التناسبات إستيمية. ومكمن الاستعارة في تلك التناسبات. وقد يكون المجالان متباعدين مختلفين لا رابط بينهما في التصور المطلق ويمثل المجال الأول مجالا مصدرا والآخر مجالا هدفا.

ولعل أحسن ما تبين به الأشياء الانطلاق من مثال عيني متداول في العربية اليومية يمكن أن يجري في مقامات مختلفة يجمع بينها موضوع الافتراق بين شخصين كانا مترابطين برابط ما هو الأخوة مثلا أو الصداقة أو الحب أو الانتماء إلى مذهب فكري واحد وما إلى ذلك، وليكن (1):

(1) أخذ كل منا طريقه في الحياة.

تقوم العبارة (1) على تمثّل مجال الحياة في ضوء (على أساس) مجال الرحلة أو السفر، وهو ما يصوغه لايكوف في شكل 'الحياة رحلة'، فالججال المصدر هو الرحلة (السفر) والججال الهدف هو الحياة، وقوام الاستعارة في (1) على الإسقاط ما بينهما على أساس التناسب:

فنقطة الانطلاق أو مكانه في الرحلة هي الميلاد في الحياة.

ونقطة الوصول أو نهاية الرحلة هي الموت.

والمحطات في المكان هي المحطات في العمر.

والتقدم في المكان هو الزيادة في عدة الزمان بوحداثته المعلومة.

وخط الرحلة في المكان هو مدة الحياة بأطوارها.

ومصاعب الطريق في الرحلة هي مشاكل الحياة وعقباتها.

والمسافر في الرحلة هو الحي أو الذات الحية.

ومفترق الطرق في الرحلة هو تغير في حال الحي موقفا أو عملا أو توجهها

فكريا وما إلى ذلك.

والمركبة من دابة أو آلة هي الجسد في الحياة.

وغاية التنقل في الرحلة هي غاية العيش في الحياة ومعناها.

وجماع هذه التناسبات كون الحياة رحلة. وهي ما به نتمكن من تصور الحياة

سفرا أو رحلة أي ما به نتعلّل الحياة بما نعرفه عن السفر. فالاستعارة في (1) تحقّق

Source domain. 1

Target domain. 2

لغويّ لمبدأ عامّ. بمقتضاه تتمثل مفهومها في ضوء مفهوم آخر، هو الحياة رحلة، وفي هذا الإطار تتمثل الشّخصين، أخوين كانا أو صديقين أو متحابّين...، رفيقين في الرحلة قطعاً مترافقين جزءاً من الطريق ثمّ بلغا مفترقا فيها فأخذ كل واحد منهما مسلكاً متنائياً عن الآخر.

ويذهب لايكوف (1992) إلى أنّ توسّع الاستعارة السّائرة¹ في عبارات استعاريّة جديدة حادثة يسهل فهمها فهما فورياً - أو ما لا يستوقفك المحاز فيها على حدّ عبارة البلاغيّين العرب - إنّما يعود إلى كون الإسقاط ما بين المجالات متأصّلاً في نظامنا المفهوميّ جزءاً قارّاً ثابتاً منه. وهو ما به يمكن تفسير الكثير من العبارات الاستعاريّة المتصلة تتمثل الحياة رحلة كما ورد في (1) من قبيل: "أنت في بداية الطّريق فكيف بك في منتصفه؟" في السيّاقات المعلومة، و"مسيرة فنّية" أو "مسيرة مهنيّة طويلة" أو "مسيرة أدبيّة" وما إلى ذلك.

الإسقاط الاستعاريّ: المظاهر والمبادئ الأساسيّة

نحمل ما تعلق بالإسقاط من حيث مفهومه ومبادئه وأنواعه في عدد من النّقاط هي: الإسقاط قوالب من التّناسبات الأنطولوجيّة، وهو كائن ما بين المستويات العليا في المقولات، يحكمه مبدأ الثّبات الذي ينصّ على أنّ الإسقاط ما بين المجالات يحافظ على الأبعاد الطّوبولوجيّة وعلى أنّ الغلبة للمجال المهدف. والإسقاط مفرد ومتعدّد تزامنيّ محكوم بسلّميات الإرث.

الإسقاط قوالب من التّناسبات الأنطولوجيّة

يتّخذ لايكوف من توسّع الاستعارة ويسر الاهتداء إلى المعنى في الجديد الحادّث منها أساساً آخر يدعم ما يذهب إليه من تأصّل الإسقاط المفهوميّ ما بين المجالات في الفكر، فهي قوالب قارّة من التّناسب الأنطولوجي² ما بين المجالات، وهذه القوالب قد تنطبق على مجال مصدر لبنية معرفيّة ما أو على مجال مصدر لوحدة معجميّة ما فتحدث الاستعارة وقد لا تنطبق فلا تحدث الاستعارة.

1 Novel extensions of conventional metaphors.

2 Fixed patterns of ontological correspondences.

فالإسقاط عنده ليس عمليات أو خوارزمات تنطبق انطباقاً ميكانيكياً بأن تتخذ المجال المصدر دخلاً تنتج منه المجال الهدف في الخرج. وهذا على خلاف ما هو معهود في الرياضيات وفيها يعتبر الإسقاط تناسبات ثابتة قارة جامدة، وفي الحاسوبية وعلم النفس وعلوم العرفنة يُعتبر الإسقاط عمليات خوارزمية تجري في الزمن الحقيقي، وفي ضوء هذا تعتبر الإسقاطات الاستعارية -خطأ- عمليات خوارزمية متابعية جارية في الزمن الحقيقي يكون الدخّل في الواحد منها المعنى الحرفي. وإذ تتعطل القراءة الحرفية يكون الانتقال إلى المعنى الاستعاري.

الإسقاط كائن ما بين المستويات العليا من المقولات

يسطر لا يكوف مبدأ عاماً يحكم الإسقاط:

تُستعمل المقولات العليا في الإسقاط المفهومي ما بين المجالات.

ذلك أن مستوى المقولة الأعلى يتضمّن المعلومات العامة الشاملة بوجه يضمن إسقاطاً أكثر ثراء من المجال المصدر على المجال الهدف بما يتضمّنه من معلومات عن المستويات الأساسية أو الدنيا من المقولة. ففي (1) يجري الإسقاط ما بين "رحلة" و"حياة" بوجه تكون به الحياة طريقاً يسلكها الحيّ كما يسلكها المسافر أو المرتحل. وتمثّل 'طريق' مستوى أعلى من المقولة إذ تتضمّن عدداً من المقولات الأساسية من قبيل درب ومسلك وشعب ومسرب ومعبر وما إليها، وبجريان الإسقاط ما بين المجالين في المستوى المقولي الأعلى فإنه يسمح بتوسيع الإسقاط ما بين الحياة والرحلة ليشمل 'الحياة درب' في 'دروب الحياة' و'الحياة شعب' في 'شعاب الحياة' و'الحياة معبر' ما بين طورين في الوجود أو العدم في 'الحياة عبور' وما إلى ذلك.

مبدأ الثبات: الإسقاط يحافظ على الأبعاد الطوبولوجية

عملية الإسقاط محكمة بمبدأ الثبات¹ وبقيد الغلبة للمجال الهدف:

يقوم الإسقاط ما بين المجالات على التناسب ما بين المجال المصدر والمجال الهدف، والشّرط في قيام التناسب الحفاظ على الأبعاد الطوبولوجية في المجال المصدر، وهي الأبعاد الكبرى الأساسية التي ينسب عليها ذلك المجال وتكوّن بنيته الخطاطية:

فالأساس في الاستعارة إسقاط البنية الخطاطية في المجال المصدر على البنية الخطاطية في المجال الهدف بوجه يضمن التناسب بين مكونات الخطاطتين واحداً بواحد ويحافظ على التناسبات الثابتة بينهما. ويوجّه هذا الإسقاط شرط الحفاظ على البنية الخطاطية في المجال الهدف وذلك بعدم تغييرها أو تحويرها أو تبديلها. فخطاطة المجال الهدف تمثل قيداً يحدّ من إمكانيات الإسقاط فلا يكون آلياً عشوائياً، فمبدأ الثبات بشرط الحفاظ على خطاطة المجال الهدف، تقييد لعملية الإسقاط. فالغلبة في الإسقاط تكون دائماً للمجال الهدف (على حدّ عبارة لايكوف، 1992).

ففي (1) مثلاً يكون الإسقاط ما بين المجال المصدر (الرحلة) والمجال الهدف (الحياة) موجّهاً أو مقيداً بمبدأ الثبات من حيث قيام التناسب بين البنية الخطاطية في كلّ منهما دون المسّ بالبنية الخطاطية في مجال الحياة:

فالتناسب قائم ما بين بداية الحياة وانطلاق الرحلة وما بين نهاية الحياة (الموت) ونهاية الرحلة (الوصول) وما إلى ذلك كما ورد قبل هذا. ولكنّ مجال الحياة يحافظ على خصوصياته الخطاطية فلا تطمسها خصوصيات الرحلة، من ذلك ما يكون فيها من سعادة أو شقاء فلا يقوم التناسب ما بين الرحلة والحياة في السعادة مثلاً فيمتنع قولنا 'رحلة سعيدة' قياساً على 'حياة سعيدة'، وما إلى ذلك.

ومن التماذج الكثيرة ما نجده في مجال العطاء مطلقاً ومنه:

- (2) أ. أعطى زيد عمراً ديناراً وكتاباً وقلماً.
ب. أعطى زيد عمراً ضربة طرخته أرضاً.
ج. أعطى زيد عمراً نصيحة خرج بها من المشكل.
د. أعطى زيد عمراً فكرة خاطئة فأخذها كما هي.

يقوم العطاء على مصدر العطاء وهدفه وموضوع هو الشيء المادّي المنتقل ما بينهما والذي بموجبه يفقده المصدر (المعطي) ويكتسبه الهدف (الآخذ) فيحصل عنده بعد أن لم يكن أو ينضاف إلى ما عنده. تلك هي البنية الخطاطية لمجال العطاء. يجري ذلك في عبارات لا قيام فيها لإسقاط ما بين مجالين في سياقات معهودة من قبيل إعطاء المال أو الأشياء من المنقولات، وما إليها كما في (2. أ). ولنا مجالات أخرى عديدة تجري فيها عبارات استعارية أساسها إسقاط ما بين مجالين مصدر (العطاء) وهدف هو الضرب أو التصحّح مثلاً. وفيهما كان مبدأ الثبات قائماً والغلبة للمجال الهدف، حيث يستقيم العطاء دون أن يفقد المعطي ما أعطى كما

في (2. ج) و(2. د). فالفكرة أو التصيحة تعطى ويكتسبها المعطى إليه دون أن يفقدها صاحبها، وهذا من خصوصيات مجال النصح أو التفكير وهي مما تكون له الغلبة في الإسقاط، فنكون المحافظة عليه ويحدّ في آن من الإسقاط.

وكذا الأمر في (2. ب) وإن تغيّر المجال الهدف (الضرب) وهو وجه من وجوه تمثّل الأعمال على أنّها انتقال للأثر¹ أو نقلة فيه بين مصدر هو الضارب وهدف متقبّل هو المضروب، ويستقيم التّناسب ما بين المجالين محافظاً على الأبعاد الطوبولوجية لمجال العطاء وذلك دون أن يخرج خصوصيات الضرب، فالضرب ليس شيئاً كان الضارب يملكه فيفقدّه إذا ما أعطاه ولا هو ينضاف إلى المضروب فيكتسبه، ولذلك يمتنع قولنا "أعطى زيد عمراً ضربة فأخذها".

الإسقاط التّزامنيّ

الإسقاط الاستعاريّ تناسبات ثابتة يمكن أن تنشط، وبناء على ذلك لا تعتبر - عند لايفوف - البنية الاستعارية وليدة تحويل آن-قوليّ لمعنى حرفيّ إلى معنى مجازيّ. ولا يستقيم عنده تحليل الاستعارة المعهود على أنّ القراءة على أساس الدلالة الحرفية هي ما يدرّ ثمّ إذ تتعطّل يكون اللّجوء إلى قراءة مجازية استعارية. ويمكن أن تتضمّن العبارة الاستعارية الواحدة قسمين يجري فيهما إسقاطان استعاريّان مختلفان مترامنان². ويكون الإسقاط الواحد منهما جزئياً يقتطع من المجال الهدف قسماً، كما في (3):

(3) في الأسبوع القادم

استعمل حرف الجرّ 'في' والاسم 'القادم' استعمالاً استعاريّاً إذ يجري باستعمال 'في' تمثّل الزّمن على أنّه منطقة مكانية ذات امتداد وذات حدود، ويجري باستعمال 'القادم' تمثّل الزّمن على أنّه حركة الأشياء.

ولكنّ الإسقاط في كلّ منهما كان جزئياً: إذ الإسقاط الثّاني يصرّ الأسبوع على أنّه كتلة كاملة متحركة في اتّجاه المتكلّم (أو الذات المتعلّقة) ولذلك كانت قدوماً أو إقبالاً أمّا الإسقاط الأوّل فيصرّ كتلة الأسبوع على أنّها منطقة محدودة ذات امتداد داخليّ يتّسع ليشمل الأشياء. فالإسقاط الاستعاريّ يمكن أن يتعدّد على أساس التّزامن بين أقسامه وعلى أساس التّرباط بينها.

ACTIONS ARE TRANSFERS (Lakoff 1992). 1

Simultaneous mapping. 2

سَلْمِيَّةُ الْإِرْثِ

تتعدّد الإسقاطات في العبارات الاستعارية وتتحدّد على أساس توسّع بعضها من بعض فتتظّمها سَلْمِيَّةُ تَرثِ بمقتضاها الإسقاطات الدّنيا في السَلْمِيَّةِ أبنية الإسقاطات العليا فيها، يطلق عليها لايكوف (1992) "سَلْمِيَّةُ الْإِرْثِ"¹.

وهذه السَلْمِيَّةُ عند لايكوف ثلاثيّة المستويات: يرد في أعلاها الاستعارات ذات الانتشار الواسع من حيث العصور والميادين والثّقافات. ويرد في أدناها أقلّها انتشارا ويرد في ما بينهما استعارات بين.

فعند الحديث مثلا عن العراقيل الّتي يجدها الواحد في مهنته إنّما يتمثّل المهنة على أنّها رحلة، وإذ كانت المهنة مظهرًا أساسيًا من مظاهر الحياة فإنّها تَرثِ كوهنا رحلة من تناسبات استعارية أعلى منها تُتمثّل فيها الحياة الّتي تنشُد غاية على أنّها رحلة، وإذ كانت الحياة رحلةً بأحداثها وتغيّراتها وأمكنتها وأطوارها وغاياتها فإنّها تَرثِ جميع ذلك من تناسبات استعارية كائنة في مستوى أعلى منها هو استعارة البنية الحديثة² مطلقا كما يلي عرضه:

تنظّم هذه الاستعارات سَلْمِيَّةُ ثلاثيّة المستويات: تَرثِ الاستعارة من المستوى الثّالث بنية الاستعارة من المستوى الثّاني، وهذه تَرثِ بدورها بنية الاستعارة من المستوى الأوّل:

المستوى 1: استعارة البنية الحديثة

المستوى 2: الحياة رحلة

المستوى 3: الحبّ رحلة، المهنة رحلة.

تقوم استعارة البنية الحديثة على خطاطة من التّناسبات الثّابتة قوامها الإسقاط ما بين مجال الفضاء (المكان) ومجال الأحداث (الأعمال والحركات). فالجّمال الهدف هو الأحداث والمجال المصدر هو الفضاء (المكان) والتّناسبات كما يلي:

الأحوال مواضع (مواقع محدودة في الفضاء).

والتّغيّرات حركات (إلى داخل المواقع المحدودة أو إلى خارجها)

والأسباب قوى.

والأعمال حركات ذاتية (أي تأتيتها الذات بقوة ذاتية).

Inheritance hierarchy. 1

Event structure metaphor. 2

والغايات وُجهات.

والوسائل مسالك إلى الوجهات.

والصّعوبات عراقيل للحركة.

والتّقدّم المرتقب جدول سفر.

و جدول السّفر مسافر وهميّ يبلغ وجهة محدّدة سلفا في زمن مقدّر سلفا.

والأحداث الخارجيّة أشياء كبيرة متحرّكة

والأنشطة المديدة التي تنشُد هدفًا ما رحلات.

وفي تصوّرنا للحياة قائمةً على هدف منشود، إذ لا معنى لحياة دون غاية، مثّل

ذلك إسقاطا استعاريًا ما بين مجال الحياة ومجال البنية الحديثة. فالحياة حدث وهي

حدث من قبيل الرّحلة على أساس أنّها تنشُد غاية والغاية وُجهة فمن يريد أن

يكون طيبًا - مثلاً - اتّجه إلى ذلك - عقلاً - اتّجاه الحركة في المكان إلى نقطة فيه

تنتهي عندها. فالغايات في الحياة هي وُجهات المسافر في الرّحلة، ووسائل تحقيق

تلك الغايات هي مسالك المسافر في الرّحلة والخيار ما بين وسيلة وأخرى في تحقيق

الغاية هي خيار المسافر ما بين مسلك وآخر للوصول في الرّحلة. والتّدرّج في أطوار

الحياة - ولتكن مراحل الدّراسة مثلاً - هي جدول السّفر وترتيبه في الإنجاز يلتزم به

المسافر ويحترمه.

فاستعارة الحياة سفرًا ترث كلّ الأبعاد الطّوبولوجيّة من استعارة البنية الحديثة.

فالمجال الهدف هو الحياة والمجال المصدر هو الفضاء والشّخص الحيّ مسافر. وترث

هذه الاستعارة من استعارة البنية الحديثة بما فيها من أحداث هي الأحداث في الحياة

ومن غايات هي غايات الحياة، ويتبرّر عند لايكوف بهذا الإرث عدد من العبارات

الاستعاريّة من قبيل:

- كانت بداية حياته صعبة.

- لا وجهة له في الحياة.

- وصلت إلى حيث أردت في حياتي.

- أنا في مفترق طرق في الحياة.

- هو لا يبقى على أحد يعترضه في حياته.

وإذ تتّسع الحياة من حيث أحداثها لما يطول منها ويرتبط ببداية ونهاية وغاية

وتغيّر من قبيل تجارب الحبّ والصّدقة والمهنة وما إليها ينشأ مستوى ثالث من

الإسقاط الاستعاري يرث بمقتضاه بنية الاستعارة الحياة رحلة كما يجري في استعارة الحب رحلة:

ففي علاقة الحب يمثل المتحبان المسافرَين، والعلاقة وسيلة السفر أو مركبته، واجتماع المحبين بالعلاقة ركوب الوسيلة معاً، وسعيهما إلى نفس الأهداف من علاقتهما سعياً إلى غايات الرحلة، وصعوبات العلاقة عقبات السفر. وكذلك استعارة المهنة رحلة.

ويمثل مبدأ الإرث، منتظماً في سلميته، مفتاحاً في تفسير توسع الاستعارات وتكاثرها بعضها من بعض. ودرجة الانتشار تناسب موقع الاستعارة في سلمية الإرث: فما كان في أعلى المستويات كان أوسعها انتشاراً وما كان في أدناها كان أقلها انتشاراً. وبناء على هذا يذهب لايكوف إلى أن استعارة البنية الحديثة قد تكون كونيّة لكنّ استعارة الحياة رحلة أو الحب رحلة أو المهنة رحلة فمحدودة بالثقافة.

الإسقاط الاستعاري في الزمن

من الثابت - منذ القديس أوغسطين - أن الزمن يُتمثل على أساس الفضاء، وهو أمر ثابت جارٍ في اللغات وإن اهتم لايكوف باللغة الإنجليزية دون غيرها. ويفسر لايكوف ذلك فيجعل تمثل الزمن قائماً - أنطولوجياً - على أساس الأشياء بما فيها الذوات والمواضع من جهة والحركة من جهة أخرى. وتمثل الزمن على هذه الشكالة ذو أرضية بيولوجية عنده: فلبشر الحواس التي تمكنه من إدراك الحركة والذوات والمواضع، وليس له حاسة خاصة بإدراك الزمن، ولذلك يتمثل الزمن على أنه حركة وذوات ومواضع (لايكوف 1992، 13).

ويقوم تمثل الزمن على الإسقاط ما بين المجالات فأساس تمثله استعاري. فالأزمنة أشياء ومرور الزمن حركة. والزمن الحاضر ما كان في الموضع الذي فيه الذات المدركة وأزمنة المستقبل ما كان أمامها رأساً والزمن الماضي ما كان وراءها. والحركة تكون من شيء إزاء شيء آخر ثابت، فيكون الشيء الثابت المركز الإشاري¹ (أو المعلوم) الذي منه تتحدد الحركة. وينجرّ عن تمثّل الحركة في خطيّتها وأحادية بعدها، تمثّل الزمن خطيّاً مسترسلاً أحاديّ البعد. فيكون الزمان ذا اتجاه

هو اتجاه الحركة فيكون له رأس وخلف وأمام. والاتجاه قائم على التعاقب فيكون الزمن اللاحق مستقبلا بالقياس إلى الزمن الذي يسبقه. وإذا كان الزمن حركة كان له امتداد وأمكن قياسه تماما مثل منطقة في الفضاء (المكان) فيكون له طول واتساع وما يصحّ على المكان من الصفات. والمهمّ من جميع ما ورد موجزا مكتنزا عن لايكوف يقوم على إسقاط استعاريّ ما بين مجالين في تمثّل الزمن كما يتجلّى من كثرة النماذج في العريّة وسائر اللغات: سيأتي زمن تتحرّر فيه فلسطين، تأخّر فلان عن الموعد، مرّ الوقت بسرعة، الوقت طائر بينا، الوقت يجري، مضى الصيف ولحق به الخريف، يقترب الامتحان شيئا فشيئا، أريد فسحة من الزمن، الوقت ضيق، أنا في حاجة إلى مزيد من الوقت، زدي قليلا من الوقت، ها قد جاء يوم الجمعة، لقد وصلنا نهاية الشهر، سهوت عن الوقت، لم أشعر بالوقت، تقدّمت به السنّ، جرّحته أنياب الزمن، إلخ.

الاستعارة المفهوميّة القائمة على إسقاط الصّورة

من الاستعارات (الأمثال والعبارات الجاهزة) ما يقوم على الإسقاط ما بين صورة ذهنيّة¹ وصورة أخرى، وهي مختلفة عن الاستعارة القائمة على الإسقاط ما بين مجالين مفهوميّين من حيث الإجمال والتّفصيل. فالإسقاط الكائن ما بين مجالين إسقاط مدقّق مفصّل فيه تناسب طوبولوجيّ كما سبق بيانه، وهو إسقاط يحمل يكون فيه التّناسب ما بين صورة وصورة ولذلك يطلق عليها لايكوف استعارة 'اللّقطّة الواحدة' أو 'أحادية اللّقطّة'².

ويقوم الإسقاط التّناسب ما بين الصّورتين، الصّورة المصدر والصّورة الهدف، على أساس مبدأ الثّبات بأن تتقارن المكوّنات الخطاطيّة في كلّ من الصّورتين واحدا بواحد كلّا في مستواه، فيناسب العامّ والجزء الجزء وما إلى ذلك. يجري ذلك في العبارات الاستعاريّة من قبيل الأمثال والعبارات الجاهزة وفي الاستعارة التمثيليّة، ولعلّه من المفيد أن نذكّر بأن لايكوف يرى في الاستعارة مطلقا عمليّة آليّة هي من صميم الفكر جارية في الكلام العاديّ اليوميّ جريانها في الكلام الفنّي من قبيل الشّعْر وما إليه. وفي هذا اختلاف أساسيّ - في ما نرى - بينه وبين التّحليل

Mental image. 1

One-shot metaphor(s). 2

الكلاسيكيّ القائم على المشابهة ضرورة ووجود القرينة المانعة من فهم المعنى الحقيقيّ. فالتحليل الكلاسيكيّ قائم بذاته مستقيم بأسسه (المشابهة ضرورة والقرينة المانعة والقصد إلى التخييل) وتحليل لا يكوف موافق له في عمليّة التخييل ولكنه متجاوز إياه إلى التّصوّر والتّمثّل مطلقاً، رافض لعلاقة المشابهة شرطاً ضرورياً، جاعل من الإسقاط أمراً مغروساً في الدّهن به يتمثّل الأشياء الواحد منها على أساس شيء آخر وليس من الضّروريّ أن يكون بينهما تشابه. ومن نماذج ذلك:

(4) خالها ذراعها قالت سحروني.

يقترن هذا المثل بخطاطة معرفيّة عامّة تشترك فيها مجموعة بشريّة في منطقة أو جهة أو بلد - في حدود ما نعلم - هو تونس، وقد يكون له ما يقاربه في سائر البلدان العربيّة أو غيرها.

أساس تلك الخطاطة صورة للمرأة المثاليّة من حيث نشاطها وحذقها وكدها أمّا كانت أو أختاً أو بنتاً وربة بيت في المطلق، ولكن يوجد من النّساء من تشدّ عن ذلك فلا يكون منها مهارة أو حذق لسبب من الأسباب فلا تلوم نفسها لذلك وتتعلّل بتعرّضها لفعل السّحر الذي يعطلّ الحذق أو المهارة فيها. وهذا المثل يجري في سياقات عديدة الجامع بينها التعلّل بسبب واه لتبرير الفشل، وهذا جزء من المعرفة الجماعيّة. فالاستعارة بناءً وإجراءً وفهماً وتأويلاً إنّما هي متجذّرة في التّجربة الحسيّة والاجتماعيّة الثقافيّة. ومن هذه السياقات أن تقال تعقياً على مدرّب فريق من فرق كرة القدم - مثلاً - يعلّل خسارة فريقه بانحياز الحكم أو بعوامل الرّيح أو بخوض المباراة على أرضيّة مهترئة العشب وما إلى ذلك، ولا يقرّ بضعف اللاعبين أو بغياب اللّحمة بينهم أو بنقص في التّدرب وما إلى ذلك.

يقوم بالإسقاط تناسب ما بين صورتين: صورة مصدر هي صورة المرأة المتعلّلة بالسّحر وصورة هدف هي صورة المدرّب المتعلّل بانحياز الحكم. وهذا التّناسب محكوم بمبدأ الثّبات تتقارن به المكوّنات الخطاطيّة في الصّورتين واحداً بواحد على مستويات: فتناسب المرأة المدرّب، وخيبتها خسارة المقابلة، والسّحر انحياز الحكم، وتذرّعها بالسّحر تذرّع المدرّب بانحياز الحكم.

وإذ تكون الغلبة للمجال الهدف وهي الصّورة الهدف هنا، يكون الفشل أوضح فيه إذ هو محدّد معيّن بخسارة المقابلة، والأمر على خلاف ذلك في الصّورة المصدر إذ كان مطلقاً هو مطلق الفشل (خيانة الذّراع). وجميع هذه التّناسبات

خطاطية إذ لا شبه - في المعنى الأساسي للشبه - بين المرأة والمدرّب أو بين اللاعبين والمرأة أو بين أعمال البيت والمباراة أو بين السّحر والخيال الحكم.

وهذا التّناسب الخطاطي هو ما يجعل العبارة (4) تجري في سياقات عديدة أخرى قد تكون تعليل الطّالب أو التّلميذ لرسوبه بشراصة الأستاذ أو بضعف مستوى الأستاذ وقد تكون تعليل فشل مشروع اقتصادي، مؤامرة مدبّرة وما إلى ذلك. وهذا التّناسب الخطاطي هو ما يجعل من إجراء الاستعارة وفهمها في جميع سياقاتها الممكنة سريعين آليين بوجه يكون به تمثّل صورة على أساس صورة أخرى. وقوام هذه الخطاطة العامّة هو وجود شخص ذي قدرات محدودة، يخوض تجربة يفشل فيها فيلقي باللائمة على عوامل أخرى لا صلة لها بقدراته المحدودة وكان عليه أن يلوم نفسه ليس غير. وكذا الاستعارة التّمثيلية - كما يسمّيها البلاغيون - مطلقا في ما يذهب إليه لا يكوف.

ويمكن توسيع هذا التّناول ليشمل النّصوص الحكيمية والقصص المثلي - في كليلة ودمنة والحرافات والأساطير مثلا - وما إليها، وإن توسّعت في ذلك التّناسبات لتزداد تجريدا وخطاطية (ولنا عودة في أعمال قادمة).

مركزية الإسقاط الاستعاري

يسطر لا يكوف أنّ التّمثّل الاستعاريّ شامل للذهن متجذّر في التجربة الحسيّة والاجتماعيّة الثقافيّة وهو كذلك قائم في المفاهيم والنّظم الفكرية من ذلك أنّه يجري في النّحو جهازا نظريا واصفا للبنية اللّغويّة. فجميع المعاني النّحويّة (الإسناد، العمل، الإضافة، المعية...) ذات أساس استعاريّ يقوم على الإسقاط ما بين المجالات، وذاك ما به كانت "الاستعارة مركز النّحو" (لايكوف، 1992).

كما أنّ عمليّة المقولة نفسها قائمة عليه حيث تتصوّر المقولة حاوية وعناصر المقولة مادّة تحويها الحاوية فما كان في الحاوية كان من المقولة وما كان خارج الحاوية لا يعتبر منتما إلى المقولة. ويتمّ الإسقاط بناء على القياس:

إذا كانت الحاوية أ تتضمّن الحاوية ب،

وإذا كانت الحاوية ب تتضمّن الحاوية ج،

فإنّ الحاوية أ تتضمّن الحاوية ج.

وعلى ذلك ينقاس: إذا كان جميع الناس مائتين، وكان سقراط إنساناً فإن سقراط مائة.

ومن مظاهر تجذّر الاستعارة في التجربة الحسيّة والاجتماعيّة الثقافيّة أنّها أساس في نشأة الأحلام وفي تفسيرها، إذ تمثّل الأحلام تراكماً في النّظام المفهوميّ -على حدّ عبارة لايكوف (1992 ص 36)- لاستعارات مفهوميّة ضاربة في القدم، وما تفسيرها إلّا نوع من إجراء التّناسب بين مجالين أو صورتين. فمن يرى في منامه كلاباً أو ذئاباً تنهشه، تفسّر رؤياه على أنّ له أعداء يشتمونه في الواقع وعليه الاحتياط. وأساس ذلك تناسب ما بين خطاطين مجالين مجال الحياة صراعاً ومجال الشّتيمة افتراساً. ومن نماذج الإسقاط الاستعاريّ ما يتواتر في الاستعمال اليوميّ يمكن أن نورد ما يلي:

- الزيادة صعود/التقصان نزول:

التّرقّي في سلّم المعرفة.

نزول المستوى المعرفيّ.

ارتفاع الدّينار/انخفاض الدّينار.

ومن لا يحبّ صعود الجبال يعيش أبداً الدّهر بين الحفر (الشّائي).

- المعرفة رؤية:

نعم، أرى ما تقول.

كلامك واضح.

هذا الشّعْر ضبابيّ.

- الغضب سائل ساخن في وعاء:

رأسي يغلي مثل المرّجل (راسي يغلي كيف البرمة)،

رأسي يمور بطفولة شرّيرة. (الطّيب صالح).

- الحياة رحلة، الموت رحلة:

الرّحيل إلى الآخرة.

رحلة الحياة.

رحلة العمر. إلخ.

- المرض صراع:

غلبه المرض.

يصارع المرض.
تغلب على مرضه.
قاوم المرض.
الحملة للقضاء على الشلل.
باغته المرض.
هجم عليه المرض.
-الزمن حركة:

دارت الأيام.
مرّت الأعوام.
عادت الأيام.
تقدّمت به السنّ.
تثاقلت السّاعة.
-الرؤية ملامسة:

تسمّرت عيناه عليها.
جال ببصره.
التقت عيناهما.

غمرتها نظراته بدفء حنون.
-المؤسّسات أشخاص:

يفكّر البيت الأبيض في الخروج من العراق.
أبدى الكرملين تعاطفا محدودا.
الدّول الصّديقة والدّول العدوّة.
الدّول الفقيرة والدّول الغنيّة.
الدّول السّائرة في طريق النّموّ.
-التّفكير حركة:

جال بنا المحاضر بعيدا.
هذه جولة في التّاريخ ممتعة.
أعود الآن إلى الفكرة الأولى.
وأمرّ الآن إلى الخاتمة.

-النظرية بناء:

تقوم نظرية التسيبة على أسس متينة.
هذه فرضية منهاره من أساسها.
بناء النظرية عمل شاق.
لم تصمد النظرية أمام المحجمات.
الأفكار الهدامة.
عليك بتحسين فرضيتك.

-الجدال حرب:

مشادة كلامية.
حرب إعلامية.
مناوشة كلامية.
تهجم لفظي.
كانت الغلبة للسيراقي فانهزم متى.

خلاصة في الاستعارة المفهومية:

طبيعتها وبنيتها وتجلياتها

تمثل الاستعارة الأداة الأساسية التي بها تتمثل المفاهيم المجردة وبها نفكر، وهي لذلك متجذرة في الذهن وما جرياتها في اللغة إلا وجه من وجوه تحققها، فالاستعارة مفهومية بالأساس وليست لغوية. والنظام المفهومي استعاري وغير استعاري، والاستعاري منه متجذر في القسم غير الاستعاري ذلك أننا نتمثل المجردات على أساس المحسوسات.

تقوم الاستعارة من حيث بنيتها على الإسقاط ما بين المجالات، وهو إسقاط جزئي (انظر الإسقاط التزامني) غير تناظري (غلبة المجال الهدف). والإسقاط جملة من التناسبات الثابتة ما بين الوحدات في المجال المصدر والوحدات في المجال الهدف. تحدث الاستعارة وما يصاحبها من استدلال¹ بإنشائها تلك التناسبات التي يكون بها انعكاس قوالب المجال المصدر على قوالب المجال الهدف، ويخضع الإسقاط الاستعاري لمبدأ الثبات. والإسقاط نوعان بحسب المصدر والهدف: إسقاط

مفهومي¹ يجري ما بين مفهومين أو مجالين مفهوميين وإسقاط الصورة² يجري ما بين صورتين. ولا اعتبار في الإسقاط وإنما هو عملية متجذرة في الجسد وفي المعرفة والتجربة، ويتضمن النظام المفهومي الآلاف من الإسقاطات الاستعارية العادية منتظمة في أبنية مترابطة تمثل بها فيه نظاما فرعياً.

ويشتغل نظام الاستعارة المفهومية في جزء كبير منه اشتغال سائر النظم العرفية من قبيل اللغة وما إليها بوجه آلي غير واع لا جهد فيه. وهو نظام عامل على الدوام في أبسط مظاهر النشاط اللغوي. ولنظام الاستعارة موقع مركزي في تمثّلنا للتجربة وفي كلّ ما نجريه من عمليات على ذلك التمثّل.

وقوام الاستعارة على التناسبات ما بين مقاطع التجربة أساسا وليس على المشابهة. فالاستعارة تعمّ الفكر مطلقا والنظام اللغوي بالاستتباع بما في ذلك المعجم والتحو، ولها مظاهر كونية واسعة الانتشار ما بين البشر ومظاهر خصوصية ثقافية محلية، وما الاستعارة الشعرية إلا امتداد للنظام الاستعاري الذي يقود الفكر في الحياة اليومية.

تتلخّص فكرة لا يكوف في ما يمكن أن نطلق عليه 'مركزية الاستعارة' قياسا على مركزية الإعراب وما شاكلها في العديد من النظريات اللسانية عامة والتوليدية خاصة، ومهما يكن من أمر ذلك فإن لا يكوف لا يفتأ يشير في مواطن عديدة، وكأنّه يردّ نقودا سمعها أو تخيلها إلى أنّ الكثير من الحقائق التي سطرّ قديم ثابت وكلّ ما فعل في بحوثه أن أثبتّه وفسرّه بمدخل أخرى، ولكنّه قوِّض الكثير من الأفكار والمواقف السائدة في مستوى المتداول الشائع أو في مستوى المجالات الأكاديمية المتخصصة. وقوام مركزية الاستعارة ليس على المشابهة المطلقة وإنما على تمثّل الأشياء الواحد منها على أساس الآخر بعدا عرفيا آليا غير واع، ولذلك مثلت اللغة في جريانها بمستوياتها المختلفة اليوميّ العاديّ والأدبيّ منها مجالا لها بل إنّ الاستعارة الشعرية امتداد للاستعارة اليومية العادية.

خاتمة

لعلّ هذه الملاحظات واجدة صدى لها في ما تضمّنه التراث العربيّ من حدوس في شأن المجاز عامة والاستعارة على وجه الخصوص، أو هي صدى له. والأمر

Conceptual mapping(s). 1

Image-mapping(s). 2

طبيعيّ فالثّابت أنّ لا يكوف ومن سايره يشتغلون في إطار ثقافيّ غربيّ منابته في الفكر اليونانيّ وإن كان من المستبعد أنّه يعرف التّراث العربيّ، وليس ذلك من شرط يقوم عليه ما أقام، ففي التّراث العربيّ بعض بل كثير من معالم الفكر اليونانيّ صريح في ما به تُقلّ الفكر اليونانيّ من العربيّة وضميّ في ما به اشتغلت المنظومات الفكرية فيه ونسيها الغرب وذكرناها نحن أهلها. ولنا في هذا خياران أولهما التعريف بهذا التّراث ومظهاره بنقله بوجه من الوجوه إلى اللّغات الجارية اليوم والإنجليزية واحدة من أبرزها، أو بالاندراج في المتطارح من القضايا في المشروع العرفيّ والمساهمة فيه بعناصر نستمدّ بعضها من اللّغة العربيّة وبعضها من التّراث أو من كليهما. والمهمّ أن لا نكتفي في مناقشة النّظريّات بالاجتزاء وباعتماد ما قيل في سياق ثقافيّ علميّ آخر في زمن آخر.

فمن نماذج ردود الفعل الفكرية القائمة على الاجتزاء أن يُعتبر ذهاب لا يكوف إلى أنّ المجاز يعمّ الكلام اليوميّ ليس بالجديد ودليله قول ابن جنيّ¹: "اعلم أن أكثر اللّغة مع تأملّه مجاز لا حقيقة، وذلك عامّة الأفعال، نحو قام زيد وقعد عمرو وانطلق بشر وجاء الصّيف وانهمز الشّتاء. ألا ترى أنّ الفعل يفاد منه معنى الجنسيّة، فقولك قام زيد معناه كان منه القيام أي هذا الجنس من الفعل، ومعلوم أنّه لم يكن منه جميع القيام، وكيف يكون ذلك وهو جنس والجنس يطبّق جميع الماضي وجميع الحاضر وجميع الآتي الكائنات من كلّ ما وجد منه القيام.... فإذا كان ذلك علمت أنّ قام زيد مجاز لا حقيقة، وإنّما هو على وضع الكلّ موضع البعض للتّساع والمبالغة وتشبيه القليل بالكثير." أو قوله²: "وكذلك قولك ضربت عمرا مجاز أيضا... وهو أنّك إنّما ضربت بعضه لا جميعه، ألا تراك تقول: ضربت زيدا ولعلّك إنّما ضربت يده أو إصبعه أو ناحية من نواحي جسده". وجليّ أنّ ما قصده البلاغيّون العرب من كثرة المجاز بعيد عمّا يقصد إليه لا يكوف كما يبين من خلال الشّاهد نموذجاً من كثير، ثمّ إنّّه لا ينقص في شيء من قيمة لا يكوف فهو يتجاوز ذلك التّقرير الطّاهر إلى تفسير ذلك الانتشار بما به يكون المجاز آليّة ذهنيّة في تصوّر الأشياء وتمثّلها بوجه يهمّ جميع المظاهر العرفيّة.

1 الخصائص ج2، 447-448.

2 الخصائص ج2، 450.

ثم إن لايكوف توسّل بالاستعارة سبيلا إلى البحث في ماهية الإنسان (1987 ص XVI). ففي بحثه في طبيعة الفكر وفي إثبات كونه مجسّدا مرتبطا بالمحيط وما للكائن الفرد من تفاعل مع المجموعة وعناصر الكون، سعي إلى فهم ما به الإنسان إنسان.

وهي مسألة قديمة ولعلّ في ما يقترحه بعض من إجابة جوهرية أساسية في تحديد ماهية الإنسان. فإذا كان العقل محدّدا أساسيا من محدّدات الإنسان وفارقا بينه وبين سائر المخلوقات وجب -عند لايكوف- أن نغيّر من فهمنا لمكوّنيه الجسد والفكر. فإذا كان الفكر منقطعا عن الجسد كان الجسد ثانويا حادثا في تحديد هويّة الإنسان، وإذا كان الفكر نشاطا ميكانيكيا على غرار الحواسيب تقلّص شأن الذكاء البشريّ إذ للحواسيب الغلبة في ذلك، وإذا كان العقل مجرد مرآة تعكس الواقع تقلّص شأن ما ليس كذلك من ملكات الفكر وإذا كان الفكر مجرد قضايا (لها دلالة حرفية ليس غير) تقلّص شأن الإبداع والفنّ فيه.

التصوير الذهني، الصورة، الخطاطة وتحققاتها

لهذا المبحث في العرفيات ثالوث من الموارد متعاضلة منها التّفسيّ ممثلاً في دراسات كوسلين وجماعته في ما تعلّق بالتصوير الذهنيّ، ومنها اللسانيّ ممثلاً في أعمال لايكوف في ما تعلّق بالخطاطة الصّورة والمناويل العرفيّة المؤمّلة وقضايا المقولة وفي أعمال لانفاكر كما عرضنا قبل هذا، ومنها الأنثروبولوجيّ ممثلاً في نماذج من أعمال ماك لوري ما اتّصل منها بالخطاطة والأنماط النّقائيّة، وأبحاث بارتلات ما كان منها في الخطاطة واشتغال الذاكرة وغير ذلك كثير.

ولئن جرى مفهوم الخطاطة في علم التّفنّس العرفيّ أساساً فقد فاض عنه ليعمّ جميع الميادين العرفيّة بمختلف عمليّاتها. كما مثّل أساساً في قيام عدد من التّنظريّات في مظاهر عرفيّة متعدّدة لعلّ أبرزها نظريّة الاستعارة المفهوميّة (لايكوف وجونسون 1980، لايكوف 1987) ونظريّة المقولة القائمة على المناويل العرفيّة المؤمّلة (لايكوف 1987) ونظريّة التّموّ العرفيّ (ماندلار 1992) وفي الإنشائيّة العرفيّة¹ والتّقّد الأدبيّ (لايكوف وتورنر 1989) والتّحو العرفيّ (لانفاكر 1987) وفي الرياضيات (لايكوف ونونياز 2000) وما إلى ذلك.

ومن نماذج اشتغال العرفيّة باعتماد الخطاطات ما نعيشه يوميّاً دون أن يستوقفنا ذلك أنّ جميع التّاس يتمثّلون العالم الذي يعيشون فيه باعتماد الخطاطة، ومنه أن يستبق الواحد ممّا مظهرها من مظاهر السّلوك قبل حدوثه من قبيل إتمام جملة قبل أن ينطق صاحبها ببقيّتها أو إتمام حركة أو ردّ فعل قبل حدوثه أو استكمال التّاقص من الشّيء وجميع ذلك إنّما قوامه الخطاطة.

الخطاطة: معالم تاريخيّة مفهوميّة

يبدو أنّ أصول هذا المفهوم عائدة إلى بدايات القرن العشرين في أعمال بياجيه وأعمال بارتلات. ويذهب بعض الدّارسين إلى أنّ مفهوم الخطاطة قد تمّ ترميزه بواحدة

إلى أعمال كانط في القرن 18، أساسا لوصف المفاهيم والمقولات الذهنية (فيرنير وكابلان¹ 1961، جونسون 1987، سمولنسكي² 1992)، ولكن أعمال بارتلات تمثل - في رأي الكثير من الدارسين - تأسيسا لها وتركيزا.

تمثل الخطاطة عند كانط أداة تتوسط ما بين المدركات والمفاهيم. والخطاطات عنده أبنية تصوّريّة والبنية التّصوّريّة هي الملكة التي تقوم عليها جميع الأحكام العقلية، وهي بذلك ملكة مهمتها التّأليف ما بين مختلف أشكال التمثيل ما كان منها متّصلا بالمدركات الحسيّة والصّور والمفاهيم لتكوين المفاهيم.

والخطاطة الكانطية بنية تصوّريّة مشتركة بين جميع الناس دون أن تكون مضمونا مفهوميّا أو قضويّا، فيكون للأشياء من قبيل الكرة - مثلا - مظهر عقليّ فكريّ من حيث تضمّنها لشكل الدّائرة ومظهر حسيّ من حيث إدراكها على شكلها الحسيّ المعلوم. فتكون الخطاطة تبعا لذلك تمثيلا وسيطا خلوا من كلّ مضمون مادّيّ إجرائيّ. والخطاطات قوالب ثابتة تركّب المدركات والمتصوّرات لتكوين تمثيلات ذات معنى (جونسون 1987، أو كلي³ الخطاطات الصّور ص2).

ودرس بارتلات الذاكرة استحضارا واستعادة، وذلك من خلال دراسة نوعين من التّشاط التذكّريّ:

الاستحضار المتكرّر⁴ وفيه يطالب الشّخص بعد أن يتمكّن من صورة أو حكاية بإعادة إنتاجها في مناسبات عديدة متباعدة.

والاستحضار التّتابعيّ⁵ يعيد فيه شخص تلك الصّورة أو الحكاية لشخص آخر يتولّى بدوره إعادة إنتاج ما وصله من الأوّل وهكذا دواليك.

وكانت النتيجة في الطّريقتين واحدة إذ لاحظ بارتلات أنّ الاستحضار في كليهما لم يكن حرفيّاً مطابقاً للأصل وإنّما كان إعادة بناء له انطلاقاً من تذكّر التفاصيل الكبرى فيه ثمّ ملء ما تبقى، من موارد ذاكريّة أخرى.

وكان بارتلات يعتقد أنّ المهارات الحركيّة والمهارات اللّغويّة مظهران مترابطان خلافا لما كان معتقدا في مجال الذاكرة. وقد انطلق بارتلات ممّا أوحى به

Werner and Kaplan. 1

Smolensky, Paul. 2

Oakley, Todd. 3

Repeated reproduction. 4

Serial reproduction. 5

إليه صديقه عالم الأعصاب هنري هاد¹ في شأن الخطاطة أداة لتفسير السلوك عامة والحركات على وجه الخصوص إذ كان يعتقد أن الدماغ ليس مجرد خزان يحفظ حركات مألوفة لا رابط بينها وإنما افترض وجود حياة للجسد متبدلة تنقاس عليها جميع الحركات قبل حدوثها وذاك ما أطلق عليه تسمية الخطاطة الحركية².

فالخطاطة الحركية -عنده- تمثيل لحياة الجسد في لحظة ما وهي خلاصة التغيرات الماضية التي قادت إلى تلك الهيئة (بارتلات 1932، ميلر وجونسون-لارد³ 1976، 150). وجعل بارتلات مفهوم الخطاطة الحركية يتسع ليصبح كل حال للجسد ينقاس عليها كل حدث حركياً كان أو إدراكياً أو رمزياً. ويكون كل حدث محفوظ في الذاكرة جزءاً من خطاطة تعم جميع الأحداث اللاحقة. فمكونات الذاكرة ليست مجرد آثار مخزونة سكونية تنتظر لحظة إنشيط لتعود كما هي وإنما هي محفوظة في شكل أجزاء أو أقسام تتضمنها خطاطات كبرى ويمكن لتلك المكونات أن تتبدل أو تحوّر كلما كان هناك تذكّر. وفي هذا التوجّه، أثبت هاريس وجماعته⁴ (1988) أن الخطاطات التي ترتبط بثقافة الفرد يمكن أن تؤثر في فهمه لحكاية تتعلق بثقافة أخرى، وأن نسيان بعض التفاصيل دافع إلى إنشاء معلومات موافقة لخطاطاتنا الثقافية.

ومن مجالات انطباق مفهوم الخطاطة الذكاء الاصطناعي (سمولنسكي 1992) حيث تمثّل الخطاطات أطراً أو خطيطات أو أبنية مثيلة، هي عبارة عن حزم من المعلومات المنضّدة مسبقاً يكون على أساسها الاستدلال في وضعيات مألوفة معهودة. ومن الأبحاث في هذا السياق ما تعلّق بخطاطات الغرف في المنزل: فقد أعطيت مجموعة من الأفراد عدداً من السمات من قبيل (ذو سقف، ذو نافذة، ذو دورة مياه، إلخ). ثم أقيمت على أساس الأجوبة شبكة من الترابطات تمثّل فيها السمة الواحدة عقدة بوجه يكون به الاستدلال على نوع الغرفة باعتماد خطاطتها. فإذا كان المنطلق في الشبكة عقدة (ذو سقف) وأخرى (ذو فرن) أمكن الوصول في نهاية الحوسبة إلى أن الغرفة المعنية مطبخ، ويكون فيها بالاستتباع ترابطات أخرى من قبيل اشتغالها على أدوات الطبخ المختلفة وكل مرافق المطبخ وتنفي منها المدفأة

Henry Head. 1

Motor schemata. 2

Miller and Johnson-Laird. 3

Harris et al (1988). 4

أو الحاسوب أو الفراش مثلا ومما هو جزء من خطاطات سائر الغرف. فكل شبكة من الترابطات المخصصة في إطار الشبكة العامة تمثل طرازا لغرفة أو خطاطة لها.

الخطاطة العرفية: نشوؤها واشتغالها

الخطاطات أبنية معرفية على غاية من العموم والتجريد تساعد الفرد على بناء الاستدلال المناسب، والخطاطة تساعد الفرد على ملء الفراغ بأن توفر ما هو مسلم به من المعلومات (المعلومات المسلمات) فيتيسر بذلك الاهتمام إلى الأعمال أو الأحداث انطلاقا من معلومات جزئية أو مقتضبة. فلو فرضنا أن شخصا يقول ما يلي:

ذهب زيد إلى عرس البارحة، وقام صباحا على ألم برأسه

يذهب بنا الظن إلى ربط ألم الرأس بسببه وهو السهر بما يصاحبه من الغناء أو الرقص وما إلى ذلك، وليس من المفروض أن يكون ذلك كذلك، فقد يكون لسبب آخر لا علاقة له بالرقص ولا بالغناء كأن يصاب بتخمة أو بوعكة نتيجة تناول الفاسد من الأطعمة أو بنزلة نتيجة للبرد أو بشيء آخر، وإنما يكون ذلك بحكم ما لنا من معارف سابقة تربط ما بين العرس والحال التي نصح عليها، وهذا الربط غير متوفر في منطوق الجملة السابقة وإنما يقوم على أساس خطاطة تنتظم وفقها المعلومات في أذهاننا بطريقة توجه استدلالنا. فالخطاطة تمثيل عرفي يتضمن تعميما لمظاهر التماثل المشتركة ما بين المدركات من النماذج الجارية في الاستعمال (كمار وبارلو¹ 2000) وهي إطار من العلاقات المنتظمة تملأ بتفاصيل مادية عينية.

وتجري في الأنثروبولوجيا العرفية مصطلحات بديلة للخطاطة من قبيل خَطيطة² أو سيناريو الأحداث³ أو النوال الثقافي⁴ وهو أكثرها رواجاً، وقريب من هذا النوال العرفي الممثل عند لايكوف.

ويجري تعريف النوايل الثقافية على أنها مناويل في تصوّر العالم والتجربة، ضمنية مسلم بها مشتركة بين أفراد مجموعة بشرية ما توجه تمثل أفرادها لذلك العالم وسلوكهم فيه (هولاند وكون⁵ 1987، 4).

Kemmer & Barlow. 1

Script(s). 2

Event scenario(s). 3

Cultural model(s). 4

Holland and Quinn. 5

نشوء الخطاطات

تنشأ الخطاطة عن طريق عمليّات عرفيّة متداخلة متعدّدة متواصلة في الزّمن. ومنطلقها إدراك الأشياء أو الأحداث في التجربة فتمثيلها وحفظها في شكل شبكات من المفاهيم والصّور، ثمّ يُنتزع من التجربة الواحدة المتعدّدة المتكرّرة أو المتواترة مظاهرها القارّة لينشأ ما يشبه الإطار لها في أعْم مظاهرها. يكون هذا الإطار هيكلًا عامًّا منضّدًا بما فيه من العناصر والعلاقات، ينطبق على ما لا نهاية له من التّماذج أو التّحقّقات. ويظلّ هذا الإطار في حاجة إلى أن يملأ بالتّفاصيل والخصائص المادّيّة (داندرا¹ 1995). ويمكن اختصار ذلك في السّلسلة التّالية:

تحقّقات ونماذج متعدّدة متكرّرة ← إدراك وتمثيل ← تجريد الخطاطة ←
تحقّقات ونماذج (ملء الخطاطة).

الصّورة والخطاطة أو الصّورة الخطاطة

يجري لايكوف (1987، 444 وما بعدها) تفريقًا ما بين ثالث من المفاهيم المترابطة: المدركات والصّور الذّهنيّة والخطاطة أو الصّورة الخطاطة. فالصّورة أو الصّورة الذّهنيّة هي تمثيل المدركات من الأشياء والأحداث تمثيلًا ذهنيًا أساسه الإدراك البصريّ أو السّماعيّ أو اللمسيّ وما إليها، ومن طبيعة المدرك (مشهدا كان أو شيئًا) أن يكون ثريًا بالتّفاصيل، فإذا كان المدرك بصريًا مثلاً كان فيه كلّ جزء من الحقل البصريّ مليئًا بمضمون بصريّ، وهذا المضمون متبدّل بتبدّل درجات التّركيز التي تكون للعين في تفاصيله بما فيه من الألوان وأطيافها، وعملية الإدراك في هذه الحال لا تقتضي مجهودًا خاصًّا وإن كان التّركيز ممّا يستدعي ذلك من حيث الانتباه وفرز التّفاصيل وتمييزها.

فتكون الصّورة الذّهنيّة دون المدركات من حيث التّفاصيل والدّقائق ولكّنها تحافظ على أكبر قدر من مكوّنات المشهد، ولذلك تكون الصّورة تمثيلًا مثيلًا² لمدركات مخصوصة عينيّة، فيه تحاكي الصّورة الشّيء الممثل له بخصائصه وتفاصيله. فإذا ما زرت مطار تونس قرطاج - مثلاً - تكوّنت عندك صورة ذهنيّة مثيلة له

D'Andrade, Roy. 1

Analog representation. 2

بخصوصياته المعلومة بوجه يمكنك من تبيينه من جملة مطارات أخرى تشبهه في الوظيفة والمكونات والمصالح.

ومن خصائص الصور الذهنية قيامها على المجهود وعلى القصد استحضارا أو إنشاء، وقيامها كذلك منقطعة عن الموارد الحسية. ومن نماذج ذلك أن يُطلب منك شخص وصف مطار تونس قرطاج في شيء يشبه توجيهات الخريطة فتستحضر صورة المطار ذهنيًا وقد يأخذ ذلك منك وقتًا وتركيزًا وقد تغمض عينيك كي تشتغل عينك الباطنة، ثم تتشكل عندك صورة للمطار فيها جملة من التفاصيل وتعطيه صورة فيها بعض منه كالأشكال والأبعاد تمكّنه من التنقل ذهنيًا في أرجائه إذا ما دخله يوما أو يذهب رأسًا إلى المصلحة التي يريد فيها. ولنا في هذا المستوى صورة ذهنية قامت على مدرك هو أثرى منها في التفاصيل والخصائص. فالصور الذهنية تتضمن تفاصيل أقلّ مما تتضمنه المدركات، وإقامتها في الذهن والحفاظ عليها عملية تقتضي جهدًا، كما تنشأ الصور الذهنية عن الأشياء دون أن يكون من الضروري رؤيتها.

ويمكن للصور الذهنية أن تمثل أساسا لقيام الخطاطة من حيث كانت منطلقًا لعملية تعميم وتجريد تنتزع به الخصائص العامة فيكون قالب عام مجرد ثابت من التفاصيل على غاية من الفقر فيها، وهي إذ كانت فقيرة في تفاصيلها أمكنها استيعاب كلّ ما استجاب لتلك السمات العامة. من ذلك أن مطار تونس قرطاج قد يكون تحققًا لخطاطة المطار مطلقًا وتكون صورته منطلقًا لتعميم به تقوم خطاطة المطار على أساس ما يتوقّر في كلّ مطار من مصالح ونوافذ لبيع التذاكر وتسجيل الأمتعة ورواق الذهاب والوصول منفصلين ورقابة أمنية وديوانية وما إلى ذلك من مصالح أخرى. فخطاطة المطار هي ما به يمكن لشخص أن يسمّي كذلك كلّ مكان - إذا حلّ فيه أو شاهد صورة له تعرض - مطارًا من قبيل مطار طبرقة أو جربة أو المنستير أو مطار أورلي أو لندن أو جدّة، وإن اختلفت جميعها في خصوصياتها باختلاف تصاميمها وأحجامها وتوزيع المصالح فيها ومواقعها في العالم.

فالصورة تمثيل ثري لموضوعها والخطاطة قالب ثابت فقير وقد اجتمع المفهومان في واحد هو ما يطلق عليه الخطاطة الصورة¹ عند جونسون ولايكوف، حيث تعتبر الخطاطة الصورة بنية على غاية من العموم والتجريد وعلى غاية من المرونة ومن الفقر في التفاصيل بوجه تكون به أداة أوليّة يشتغل بها الذهن.

فالخطاطة الصّورة جشطلت من حيث كانت كلاً منضّداً وليست مجرد أجزاء مجمّعة (لايكوف 1987، 272) وهي قالب متواتر وشكل وانتظام يتجلّى في جميع الأنشطة المنضّدة، وينشأ في شكل أبنية ذات معنى عندنا من خلال حركات الجسد في الفضاء (المكان) ومن خلال معالجتنا للأشياء وتفاعلنا الإدراكيّ بما يحيط بنا. فالخطاطة المجسّدة هي ما ينضّد المدركات والصّور الذهنيّة والأحداث (لايكوف 1987، 453؛ جونسون 1987، 29).

ومما سطره جونسون (1987) أنّ التجربة منضّدة تنضّداً سابقاً على نشأة كلّ مفهوم وبوجه مستقلّ عنه، ويمكن للمفاهيم أن تُجرى تنضّداً أدقّ وأمضى على التجربة، فيكون على هذا وجود الأبنية التجريبيّة قائمة برأسها، وذلك ما يجعلها غالبية في حياتنا تحكم أذهاننا بوجه لا يثير اهتمامنا ولا ننتبه إليها.

ومن نماذج ذلك ما نعيشه كلّ يوم في أبسط التجارب العاديّة البسيطة من قبيل حركات أجسادنا وأعمالنا في محيطنا وفيها ما عليه تقوم الصّور الخطاطات الكينيستيّة¹. وأساسها الحاسّة الكينيستيّة² وهي ما به يكون إدراك أوضاع العضلات وحركاتها ودرجة الإجهاد فيها باعتماد محسّات عصبيّة كائنة في نسيج العضلات وفي عصبها تُصدر إشارات كينيستيّة هي الإشارات النّابعة من العضلات أو المفاصل عند أداء حركة أو عمل ما. كما تتضمّن الحاسّة الكينيستيّة ما به يكون إدراك أوضاع الرّأس وحركاته وأتجاهاته بمحسّات خاصّة به كائنة في الدّماغ هي أعضاء الحسّ الدهليزيّة³ (قريقوري 1987، 727).

وتشتغل الخطاطة في جميع المظاهر المعيشيّة ما ندر منها وما كان أكثرها دورانا وجميعها يسبق إلى الفهم دون عناء، ذلك من قبيل:

(1) القطّ على الأريكة.

وفيها مفهومان أساسيان مفردان هما (قطّ) و(أريكة)، وللواحد منهما صورة ذهنيّة تناسب الشّكل العامّ المدرك للكائن المعنيّ (قطّ) أو (أريكة). وتتكوّن (على) من ثلاث صور خطاطات هي {فوق} و{ملاسة} و{تحمل}، وجميع المفاهيم (قطّ)، (على)، (أريكة) مفاهيم واضحة مفهومة. ولئن أمكن أن يتبدّل المفهوم

1 Kinesthetic image schema(s).

2 Kinaesthesia.

3 Vestibular sense organ(s).

(قطّ) و(أريكة) ليكونا من قبيل أيّ كائن آخر من قبيل (كتاب) و(طاولة) وما إلى ذلك فإنّهما لا يخرجان عن الخطاطة الكينسيّة تلك، ما كان لهما في الواقع المدرك هيأة تنطبق عليها الخطاطة.

فبناء العبارة المذكورة في (1) وفهمها يقوم على مطابقة الخطاطة الكينسيّة (على) لتلك الهيأة. ويذهب جونسون (1987) إلى أنّ الأبنية المفهوميّة التّجريدية تنهض على الأبنية الأساسيّة الدّنيا والأبنية الخطاطيّة بوجهين هما الإسقاط الاستعاريّ من مجال الحسيّات المادّيّات على مجال المجرّدات، والإسقاط من المستوى المقوليّ الأدنى على المستويين المقوليين الوسيط والأقصى.

الخطاطات العرفيّة: نماذج

تنضّد الصّور الخطاطات مدركاتنا وصورنا الذّهنيّة (لايكوف 1987، 455) والخطاطات المقترنة بالوحدات المعجميّة قادرة على مطابقة الخطاطات التي تنضّد مدركاتنا وصورنا الذّهنيّة ومنها الخطاطات الكينسيّة، وهي مجسّدة¹ بمعنى أنّها نابعة من أجسادنا وعلى أساسها تتمثّل أجسادنا بل تتمثّل الكثير الغالب من تجاربنا اليوميّة على أساسها.

ويورد لايكوف بعضاً منها يقيم تحليله إيّاها على رباعيّ من الأركان:

- 1- التّجربة المجسّدة بما فيه من مظاهر تمثّلنا لأجسادنا وما به يكون للخطاطة معنى من حيث ارتباطها بتجربتنا الجسدية.
- 2- العناصر البنيويّة بما فيها من أركان أساسيّة لقيام الخطاطة.
- 3- المنطق الأساسيّ بما تقوم عليه الخطاطة من تنضيد داخليّ يمثّل منطقها.
- 4- النّماذج الاستعارية الجارية التي تتحقّق فيها الخطاطة، ومنها خطاطة الحاوية² وخطاطة الكلّ والجزء³ وخطاطة الرّبط⁴ وخطاطة المركز والأطراف⁵ وخطاطة المصدر والمسلك والهدف⁶ (لايكوف 1987، 271-275):

Embodied.	1
CONTAINER schema.	2
PART-WHOLE schema.	3
LINK schema.	4
CENTER-PERIPHERY schema.	5
SOURCE-PATH-GOAL schema.	6

خطاطة الحاوية

- التجربة المجسدة: تتمثل أجسادنا في آن على أنها حاويات تتضمن أشياء من الأعضاء والأحاسيس أو المشاعر، وعلى أنها متضمنة في حاويات مثل البيت أو السيارة وما إليها.
- العناصر البنيوية: داخل، حدود، خارج.
- المنطق الأساسي: كل شيء كائن في حاوية أو خارجها، فإذا كان أ محتويا على ب وكان ج في ب، إذن كان ج في أ.
- نماذج استعارية: تتمثل الكثير من المفاهيم على أساس الاحتواء فتكون المجردات حاويات من قبيل العلاقات الأسرية ومجال الأفكار وما إلى ذلك: زيد من بني فلان، دخل عش الزوجية وخرج منه، من كان في نعمة ولم يشكر خرج منها ولم يشعر، وقع زيد في مأزق، خرج زيد من الورطة.

خطاطة الكل-الجزء

- التجربة المجسدة: تتمثل أجسادنا في كليتها وفي أبعاضها، فالجسد واحد يمثل كلاً يقبل القسمة إلى أجزاء هي ما يمكن تمثله في ذاته، وبنفس الوجه تتمثل سائر الأشياء في التجربة ونذكرها من زاويتين كلاً وأبعاضاً من حولنا.
- العناصر البنيوية: الكل، الأجزاء، نمط في التشكل.
- المنطق الأساسي: إذا كان أ جزءاً من ب إذن ب ليس جزءاً من أ، لا يكون الشئ جزءاً من نفسه، ولا وجود للكل ما لم توجد أجزاء له، ويمكن أن تكون أجزاء ولكن لا وجود للكل ما لم تتشكل الأجزاء على نمط ما لتكوين الكل، وإذا حلّ الكلّ في مكان ما فالأجزاء حالة فيه كذلك.
- نماذج استعارية: تتمثل الأسرة وسائر المنظومات الاجتماعية على أنها كلّ ذو أبعاض، من ذلك أن الزواج إنشاء لعائلة تمثل كلاً أبعاضه الزوج والزوجة والأبناء، أمّا الطلاق فانفصال الأبعاض واندثار الكلّ.

خطاطة الربط

- التجربة المجسدة: نشأ بجسد مربوط بأمهاتنا بواسطة الصرّة، كما نتعلّق بأهلنا وعمواطن طفولتنا وما ألفنا من الأماكن والأشخاص بروابط عديدة.

- العناصر البنيوية: وحدتان أ وب، رابط يجمع بينهما.
- المنطق الأساسي: إذا ما ارتبط (أ) بـ (ب) كان (ب) مقيداً بـ (أ) وتابعا له.
- نماذج استعارية: تتمثل المجموعة على أنها عناصر مترابطة والعلاقات ما بين الأفراد على أنها روابط تنشأ وتقام ثم تكسر أو تقطع، كما تتمثل الحرية غياباً للقيود وعلى خلافها العبودية أو التبعية: بين قيس وليلى أسباب، قطع زيد صلته بعمر، انفصلت ليلي عن قيس، لي ارتباطات عائلية تمنعني من السفر، قُطعت صرته في بني فلان فهو لا يفارقهم.

خطاطة المركز-الأطراف

- التجربة المجسدة: تتمثل أجسادنا مركزاً هو الجذع وأطرافاً هي الأعضاء الطرفية كاليدين والساقين والأصابع وما إليها، وكذلك الأشجار جذعاً وأغصاناً فأوراقاً، ثم إن فقدان الأطراف لا يغير من هوية الكل وأساسها المركز، فالشجر الفلاني يظل كذلك وإن قطعت أغصانه أو تساقطت أوراقه وكذا الشخص.
- العناصر البنيوية: وحدة، مركز، طرف.
- المنطق الأساسي: الأطراف تابعة للمركز قائمة عليه ولا ينعكس ذلك.
- نماذج استعارية: يكون ذلك في تصور المؤسسات فتنقسم الإمبراطوريات والدول إلى مركز وأطراف وكذلك النظم الاقتصادية والسياسية وكذلك تخطيط المدن فتصورها مركزاً هو أنشط المواقع فيها وأكثرها تأثيراً وتوجيهاً وأطرافاً هي ما ارتبط بذلك المركز تسييراً وتنظيماً في جميع مظاهر الحياة: شارع الحبيب بورقيبة صرة تونس، تونس الكبرى بما فيها تونس الحاضرة وضواحيها، أو تتمثل المدن الكبرى على شاكلة أخطبوط مركزه نواة المدينة وأصابعه الأحياء المنتشرة المتباعدة الممتدة من حولها.

خطاطة المصدر-المسلك-الهدف

- التجربة المجسدة: قوام حركة الجسد في الفضاء (المكان) من نقطة انطلاق تبدأ عندها حركة التنقل ونقطة وصول وما بينهما مسلك يتمثل في جميع النقاط المسترسلة تعمها الوجهة أو الاتجاه.

- العناصر البنيوية: مصدر (نقطة البداية)، هدف أو نقطة وصول، مسلك (سلسلة من المواضع المسترسلة تربط ما بين الانطلاق والوصول) واتجاه (إلى نقطة الوصول).
- المنطق الأساسي: كلّ انطلاق من مصدر إلى نقطة وصول عبر مسلك يقتضي مروراً بكلّ موضع من المواضع الوسيطة ما بينهما.
- نماذج استعارية: تتمثل الغايات والأهداف على أنّها وجهات أو نقاط وصول، وتحقيق الأهداف على أنّه مرور على مسلك طرفاه بداية ونهاية، فتكون الحياة رحلة والنجاح غاية يتوصّل إليها بعد أن قطعت مسافة طويلة من الكدّ في العمل وما إلى ذلك.

الخطاطات أطر للفكر واشتغاله

تمثّل الخطاطة أساساً يخدم فرضية أساسية في المباحث العرفية عامة واللّسانية خاصّة قوامها أنّ الذّهن مجسّد وأنّ الفكر يشغل على التجربة الجسديّة وعلى الإسقاط الاستعاريّ ما بين مجالات مادّية ومجالات تجريديّة. ولذلك يكون للخطاطة دوران مهمّان - عند لايفوف (1987، 283) - أوّلهما كون الخطاطة مفهوماً قابلاً للتّمثيل في ذاته من حيث بنيته وعناصره ومنطقه الأساسيّ الكامن فيه، وثانيهما كونها جارية على سبيل الاستعارة لتضييد المركّب من المفاهيم الأخرى. ويساوق هذا اعتبار الخطاطات لبنات للعرفنة عند روملهارت (1980).

الخطاطات أساس في تكوّن المناويل العرفية

تقوم نظرية المناويل العرفية المؤتملة¹ على فرضية أساسها أنّ البشر ينظّم معارفه بواسطة أبنية تمثّل الواحدة منها منوالاً عرفياً مؤتملاً. والمنطلق فيها قضية المقولة، إذ كانت المقولات تتحدّد، في الفكر الكلاسيكيّ، بما تشترك فيه عناصر الواحدة منها من الخصائص، فهي تتحدّد تحدّداً موضوعياً في ذاتها. معزّلة عن الطّبيعة المتجسّدة للذّات المقولة أو المصنّفة، كما تتحدّد على الحقيقة دون تدخّل المجاز وما إليه من الاستعارة والكنابة والتّصوير الذّهنيّ. وقد مثّل

البحث في المقولة - منذ أرسطو حتى فيتنشتاين - بحثا ماقبليا غير قائم على الوقائع والمعطيات، تُتصور فيه المقولة على أساس الانتماء أو عدم الانتماء، وأساس الانتماء التشارك في عدد من الخصائص، وهذه الخصائص أساس لتحديد المقولة وتوفرها شرط كاف وضروري للانتماء.

ونخصت إزاء هذا التصور نظريتان متكاملتان قائمتان على مطعين متكاملين هما نظرية الطراز¹ ونظرية المناويل العرفية المومثلة وما يتصل بها من المبادئ كالجسدة والخطاطية والإسقاط الاستعاري.

فقد غيرت في السنوات 1970، أعمال إيلانور روش² الكثير من المفاهيم في المقولة (1973، 1975، 1977، 1978). والمطعن الأساسي عندها يتمثل في ما يمكن أن تقود إليه المسلمات المقولية الأرسطية:

ذلك أن تحديد المقولة بالخصائص المشتركة بين عناصرها يقود إلى غياب التفاضل بين العناصر في الانتماء، فلا يمكن الحديث عن أفضل ممثل للمقولة، كما يقود تحديد المقولة بالخصائص الذاتية في عناصرها دون غيرها إلى قيام المقولة في ذاتها بصرف النظر عن الشخص الذي يُمقُول، فلا دخل لطبيعة الجسم الفيزيولوجية العصبية من حيث الإدراك والتفاعل مع المحيط تنظيميا وتواصلًا وتعلما وتخيلا وما إلى ذلك. ولكن الواقع يبين عن وجود نموذج في كل مقولة يُعتبر أفضل ممثل لها هو الطراز، وعن قيام المقولة على أسس فيزيولوجية ذهنية ثقافية.

كما تبين من جهة أخرى، أن للتجربة الجسدية أو كيفية عيشنا في أجسادنا وآليات التحليل من حيث كيفية إجراءاتها، موقعا مركزيا في بناء المقولات التي تعطي بها التجربة معنى. فالمقولة عملية آلية وغير واعية ولا يكون الوعي بها إلا في الحالات المشككة (لايكوف 1987، 6). كما أن المقولة تهم الأشياء (المخلوقة والمصنوعة) وتهم كذلك ما عداها من المجردات من قبيل الأعمال والأحداث والمشاعر والعلاقات الفضائية والاجتماعية، والأمراض والأفكار والحكومات وما إليها، وعلى كل نظرية في المقولة أن تستوعب جميع ذلك.

1 Prototype Theory.

2 Rosch, Eleanor.

المنوال العرفنيّ المؤمّثل

للشّرع ملكة تصوّريّة مفهوميّة قوامها عدد من القدرات منها القدرة على تكوين الأبنية الرّمزيّة وهي أساسا المفاهيم الأساسيّة البسطى والخطاطات المفهوميّة. ومنها القدرة على الإسقاط الاستعاريّ ما بين أبنية من مجالات مادّيّة ومجالات تجريديّة ومنها القدرة على تكوين (إنشاء) المقولات العامّة والمفاهيم المركّبة باستعمال الخطاطات لتنظيمها وهو ما به نقيم المركّبات من المفاهيم والأحداث والتصنيفات. بمختلف درجاتها عموما وخصوصا (لايكوف 1987، 281).

وذهب لايكوف إلى أنّ البشر يفهم الكون من حوله باعتماد مناويل عرفيّة مؤمّثلة. بما في ذلك النّظريّات العلميّة ما كان منها فولكلوريّا عامّيّا مشتركا وما كان منها علميّا مؤسّسيّا، وتصنيف الموجودات في مختلف الثقافات من النّبات والحيوان والأشياء وغير ذلك كثير. ومن عناصر المناويل العرفيّة المفاهيم ما كان منها بسيطا وما كان مركّبا.

دور المنوال العرفنيّ واشتغاله

يذهب لايكوف إلى أنّ البشر ينظّمون معارفهم بواسطة أبنية يطلق عليها المناويل العرفيّة المؤمّثلة وإلى أنّ الخطاطات الصّور أساس لقيام المناويل العرفيّة المؤمّثلة. وكلّ عنصر في منوال عرفنيّ يمثّل مقولة مفهوميّة: الخطاطة شبكة من العقد والتّرابطات، تمثّل كلّ عقدة فيها مقولة مفهوميّة، وخصائصها مستمدّة من دور العقدة في الشبكة ومن علاقاتها بسائر العقد في الخطاطة ومن علاقة الخطاطة كاملة بسائر الخطاطات ومن التّفاعل الكائن ما بين الخطاطة وسائر الملكات العرفيّة في النّظام العرفنيّ (لايكوف 1987، 69-70).

فإذا أخذنا - تبعا لفكرة فيلمور القائمة على الأطر- يوما من أيّام الأسبوع وليكن 'الثلاثاء'، فلا يمكن تعريفه إلّا في إطار منوال مفهوميّ تجريديّ (مؤمّثل) قوامه حركة الشّمس وأطوارها عامّة وتعاقب الضّوء والظّلام علامة على اللّيل والنّهار وفي إطار الأسبوع وحدة زمنيّة سباعيّة الوحدات في تقويم أوسع هو الرّوزنامة. فالمنوال العرفنيّ هذا يتضمّن الأسبوع من حيث هو كلّ ذو وحدات سباعيّة منتظمة على أساس التعاقب، تمثّل الواحدة منها يوما وثالثها هو 'الثلاثاء'.

فالأسبوع هو المنوال المؤمل إذ لا وجود لوحدة سباعية الأيام في ذاتها ولا في الطبيعة أو العالم الماديّ وإتّما هي من اصطناع الإنسان وإنشائه ودليل ذلك أنّ الثقافات مختلفة في التقويم الزمنيّ.

ومن المناويل العرفيّة ما يكون مركّبا هو ما يطلق عليه لايكوف (1987، 74) "المناويل المجمعّة"¹ إذ تتركّب المناويل أو يتوالف بعضها مع بعض ليحدث منوال مجمّع من قبيل منوال 'الأم':

يمثل مفهوم (الأم) منوالا مجمّعا ناتجا عن توالف عدد من المناويل

منها:

- منوال الإنجاب والوضع إذ تطلق الأمّ على الأنثى التي تنجب.
 - المنوال الجينيّ فالأمّ هي الأنثى التي تزود الابن بموروثه الجينيّ.
 - منوال الرضاع والرعاية إذ الأمّ كلّ أنثى أرضعت ورعت ابنا.
 - منوال الزواج إذ الأمّ زوجة الأب.
 - منوال النسب إذ تكون الأمّ أقرب أنثى من المولود في شجرة النسب.
- فجميع هذه المناويل تتوالف لتكوين منوال مجمّع هو 'الأم'. ولكنّ هذا المنوال المجمعّ ما ينفكّ يتوسّع بما يضاف إليه من مناويل مخصوصة بتطور العادات والعلاقات الاجتماعيّة وتنوعها، فيلتحق به عدد من المناويل:
- منوال التبنّي فتكون الأمّ كلّ أنثى تبنت مولودا ليس من رحمها.
 - منوال الأمّ الحمول وهي الأنثى التي تحمل جنينا في رحمها من بويضة من أنثى أخرى تمثّل الأمّ البيولوجيّة.
 - مناويل أخرى قد تنشأ ممّا تسمح به الهندسة الجينيّة من توليفات.
- والمهمّ أنّ منوال (أمّ) مركّب جامع لعدد من المناويل قد يطابق الواحد منها حالا في الواقع مخصوصة ولكنّه لا يطابق جميعها مطابقة واحدة، جميع ذلك دون اعتبار ما فاضت به (أمّ) في الكثير من الاستعمالات الاستعاريّة والمجازيّة من قبيل 'أمّ الباب' و'العقدة الأمّ' و'العقدة الأخت' في التحليل الشجريّ، وغير هذا كثير.

وهذا ما به يبين قصور فكرة الطّرازيّة وآثارها وكذلك نظريّة الشّروط الضّروريّة والكافية إذا ما قورنت بالمناويل العرفيّة المؤمثلة.

بنية المنوال العرفي وأنواعه

تقوم نظرية المناويل العرفية على ركنين: أفضية ذهنية ومناويل عرفية تنضد تلك الأفضية.

ويجعل لايكوف المناويل العرفية خمسة أنواع: الخطاطي والقضوي والاستعاري والمجازي المرسل والرمزي. فالمناويل الأربعة الأولى ذهنية مفهومية صرف والمناويل الخامس رمزي ينشأ باقتران المنوال العرفي بالبنية اللغوية. ويكمن دور المناويل القضائية والمناويل الخطاطية في تحديد البنية ودور المناويل الاستعارية والمناويل المجازية المرسل في تحديد عمليات الإسقاط التي تتوسل بتلك البنية في اشتغالها.

المناويل القضائية تقيم الأبنية القضائية دون اعتماد أدوات التخيل من قبيل الاستعارة أو المجاز المرسل أو التصوير الذهني، وهي مناويل تطابق وحدات ذهنية لها ما يناسبها من الأشياء في الواقع أو العالم. فالقضية تمثل كلاً يتضمن أبعاضاً أو أجزاء هي المحمول والموضوع أو الموضوعات في حال تعددها، فيمكن تمثل القضية على أساس خطاطة الكل-الجزء. وإذا ما اعتمدنا العلاقات بين تلك الأبعاض أمكن تمثلها على أساس خطاطة الوصل فيكون بعضها محدثاً أو متحملاً أو أداة أو موضعاً، ويمكن أن تنشأ القضايا المركبة انطلاقاً من القضية البسيطة المفردة بطرق منها التحوير والتسوير والعطف والتفي وما إلى ذلك (لايكوف 1987، 285).

تقيم المناويل الخطاطية الأبنية الخطاطية، فالخطاطات في ذاتها مفاهيم ويمكن أن تجري لتنضيد سائر المفاهيم المركبة. والمناويل الاستعارية تقيم الإسقاط الاستعاري كما سبق بيانه في القسم المخصص لنظرية الاستعارة المفهومية. أمّا المناويل المجازية المرسل فتقيم الإسقاط المجازي المرسل في مجال واحد ما بين عنصرين أو قسمين منه.

وفي الإسقاطين (الاستعاري والمجازي المرسل) يكون كل من المجالين المصدر والهدف منضداً باعتماد المناويل الخطاطية أو القضائية. ويجري في الإسقاط الاستعاري إسقاط بنية المنوال العرفي من المجال لمصدر على بنية المنوال العرفي المناسبة لها من المجال الهدف. ويجري الإسقاط في المجاز المرسل في المجال المفهومي الواحد الذي ينضده منوال عرفي واحد: حيث يقوم عنصر مقام عنصر آخر من ذلك المجال نفسه، فيكون التعلق بينهما على أساس "يقوم مقام" ¹ أو "ينوب عن".

ومن نماذج الإسقاط المجازي المرسل تسمية شخص بما أكل في مطعم أو بنوع سيارته في محطة الغسيل، حيث المجال واحد هو منوال عرفي منضد بعناصره من نادل وطباخ وماكل وزبائن وبطاقة اختيار الماكل وما إلى ذلك في مجال المطاعم، فعندما نقول مثلا:

خرج صحن الكسكسيّ دون أن يدفع.

ينوب 'صحن الكسكسي' عن 'الزبون' بعلاقة "يقوم مقام" وذلك بجريان عملية الإسقاط داخل المنوال العرفي الواحد أو الفضاء الذهني على حدّ عبارة فوكونيائي (راجع فصل الأفضية الذهنية من هذا العمل).

ومن نماذج الإسقاط المجازي المرسل المتواترة في مختلف الثقافات قيام عنصر من المجال المفهومي مقام عنصر آخر في الإجابة عن سؤال يكون المطلوب فيه العنصر الغائب من الجواب.

فقد لاحظ رودس¹ (1977، نقلا عن لايكوف 1987، 78) أنّ المتكلمين بلغة الأوجيبوا وهي واحدة ما لغات الأمريكيين الأصليين في كندا، يعمدون إلى إقامة عنصر من منوال التنقل مقام عنصر آخر منه في أجوبتهم عن سؤال مداره كيفية الجيء أو الحضور إلى مكان ما. فالتنقل منوال عرفي متكامل فيه خطيطة بمراحلها المتعاقبة: منها الشرط الماقلي الذي يتضمّن توفر أداة التنقل أو حصولها عند صاحبها، ومنها طور الركوب أو الامتطاء أو الحلول في المركب أو السيارة أو الصعود إلى الطائرة. ومنها طور قطع المسافة سياقة أو تجديفا أو قيادة أو طيرانا، ومنها طور الوصول بما يتضمّن من إيقاف أو موضوعة أو تصفيف ثم نزول أو خروج. وما إلى ذلك مما يمكن تصوّره قسما من الخطيطة. ويمكن لكلّ مكوّن من تلك المكوّنات أن يجري في الجواب مقام المطلوب فيكون الجواب عن كيفية الوصول بعبارات من قبيل "عندي سيارة" أو "استعرت سيارة أختي" أو "أخذت سيارة أجرة" وما إلى ذلك. ويثبت بهذه التماذج قيام الجزء من المنوال مقام الكلّ، فالمنوال كلّ متكامل بعناصره وبنيته ولا يستعمل إلا بعضها ليقوم مقام الكلّ.

أما المنوال العرفي الرمزيّ فبنية مكوّناتها الرموز، والأبنية الرمزية نوعان بسيط ومركّب، والمركّب نوعان:

أوّلهما بنية لبنية¹، بمعنى أنّ العناصر البانية لها ذات وجود مستقلّ بنفسها وأنّ المعنى الكلّيّ فيها تجميع للمعاني الجزئية.

وثانيهما بنية جشططية، بمعنى أنّ عناصرها غير ذات وجود مستقلّ عن الكلّ وأنّ معناها الكلّيّ لا يمكن تحصيله من المعاني الجزئية ومن طريقة التّوليف بينها.

وقريب من مفهوم المنوال العرفيّ الرّمزيّ عند لايفوف ما يذهب إليه لانفاكر من أنّ جميع الأبنية النّحويّة ذات طبيعة خطاطيّة لها تحقّقات نوعيّة في أقسام الكلام أو في العبارات العينية المخصوصة. فكلّ وحدة نحويّة قوامها خطاطة رمزيّة ذات قطبين (القطب الصّوتيّ والقطب الدّلاليّ)، ويجري التّوليف بين تلك الوحدات وفق أبنية خطاطيّة يكون فيها الاندماج ما بين أبنية متعدّدة لتكوين أبنية أكبر منها، من ذلك أنّ القطب الدّلاليّ في حرف الجرّ (من) في العربيّة قوامه خطاطة يجري بها في الكثير من المجالات المفهوميّة، وجملة مداليله نابعة من المكوّن الخطاطيّ (مصدر) في خطاطة (مصدر-مسلك-غاية)، فيكون الحرف (من) أساسا تبلور فيه نقطة الانطلاق في اتّجاه غاية من الغايات، وما جريان حرف الجرّ المذكور في جميع سياقاته إلّا تحقّق لخطاطته العامّة، فالخطاطة على غاية من الفقر من التّخصيص أمّا التّحقّقات فعلى غاية من الثّراء في التّخصيص، وعلى هذا تنقاس سائر الوحدات والأبنية اللّغويّة. (راجع فصل النّحو العرفيّ من هذا العمل).

مباحث في نظرية الخطاطة

من المباحث المهمّة في مجال الخطاطة نشوءا وتطورا وتعاملا وتحقّقا ما تشترك فيه جميع الخطاطات وما به تتمايز من زاوية تصوّريّة محض غايتها إقامة تصنيفيّة للخطاطات مطلقا. ويتّصل بهذا، البحث في طبيعة الخطاطات بساطة وتركّبا وهو ما يفرض البحث في الأساسيّ الأوّل من الخطاطات يجري عنصرا في توليف تتكوّن به الخطاطات المركّبة، وجميع ذلك في مظهري الخطاطة بنية وتحقّقا.

فإذا ما أخذنا - على سبيل المثال - عملا من الأعمال وليكن أخذ كتاب من رفّ مكتبتك، مثّل ذلك تحقّقا لخطاطة تحكم جميع أعمالك المشابهة من أخذ كتب أخرى في مناسبات متعدّدة متكرّرة من مكتبتك أوّلا أو من أخذ جميع ما تأخذ أو تتناول باليد، ولتصوّرها خطاطة المصدر-المسلك-الهدف، بما في ذلك من انطلاق

حركة اليد من موضعها الأول وتحركها وفق مسلك محدد من حيث سرعته ودرجة الانحناء في الذراع فانفتاح الأصابع فإمساك بالكتاب وفق ما تقتضيه عملية الإمساك من إطباق الأصابع وما إلى ذلك، وهنا يكون الكتاب هدفاً.

ثم يكون الأخذ الحقيقي بمعنى إخراج الكتاب من الرف والذهاب به في اتجاه جسمك وهو ما يمثل حركة العود بما تقوم عليه من خطاطة مصدر-مسلك-هدف ولكن في الاتجاه الآخر. بمعنى أن موقع الكتاب مصدر وحركة اصطحابه مسلك والهدف موقع جسمك أو منتهى الحركة من الذراع مطلقاً.

والملاحظ أن هذا العمل البسيط لا تحكمه خطاطة واحدة (المصدر-المسلك-الهدف) وإنما فيه من الخطاطات الكثير. فانفراج الأصابع من اليد وهياتها عند المسك والضغط بها متناسقة جهداً وقوة وموقعاً وتوازناً - حتى لا يسقط الكتاب - خطاطة أخرى تتحقق في كل ما يؤخذ باليد من حبة الرمل إلى أقصى ما يمكن للأصابع أن تسعه، وهي نفسها التي تحكم اليد في الذراع الآلية سواء اشتغلت بذاتها أو شغلها كائن ذكي يسقط حركة أصابعه على اليد الميكانيكية بأصابعها وفق الخطاطات التي توجه حركة يده هو لو كان مكان الآلة وكانت يده هي التي تؤدي تلك الحركة. وهي الخطاطة التي يصممها صانع الآلة في مظهرها الميكانيكي في هذه الحال وفي مظهرها الميكانيكي والدكائي البرمجي في حال الروبوت في مجال الذكاء الاصطناعي.

ولا فائدة من أن نطيل أكثر فالثابت أن أبسط عمل تؤديه أجسادنا إنما هو موجّه بخطاطات كثيرة متزامنة متراكبة وأن البحث فيها يمثل برنامجاً قائماً في البحوث العرفية.

وإذ كانت الخطاطة مركبة وجب البحث في عناصر تركيبها ووجوهه وفي أدنى درجات التركيب وأقصاها. ويقترح في هذا الشأن كرايتزر¹ (1997) ثلاثة مستويات عامة في التركيب الخطاطي هي المستوى المكوّن² والمستوى العلائقي³ ومستوى الإدماج⁴.

1 Kreitzer, Anatol.

2 Component level.

3 Relational level.

4 Integrative level.

فقد اهتم بمختلف التّحقّقات الّتي تكون للخطاطة الفضائيّة (فوق) وانتهى إلى ما يلي:

المستوى المكوّن فيها خطاطات لعناصر فضائيّة مكانيّة من قبيل النّقطة والمسطّح والخطوط وهي عناصر خطاطيّة هندسيّة تنطبق بموجب طبيعتها على كلّ الأشياء والعلاقات، كأن يلامس الشّيء نقطة من المسطّح وما إلى ذلك.

المستوى العلائقيّ ينضّد تلك العناصر في علاقات فضائيّة مخصوصة كأن يكون في خطاطة (فوق) مجال فضائيّ ذو حدود بدايةً وانتهاءً يكون ما بينها تنقل أو عمل بما له من مسلك ويكون المنتقل¹ - بمفهومه عند لانكاكر - عابراً لجميع تلك النّقاط من المعلم.

وأما في مستوى الإدماج فتتوحّد جميع الخطاطات بوجه يفرز وضعاً أو معنى مخصوصاً في ضوء ما كان في المستويين السّابقين، ويفسر كرايتزر بذلك مختلف الاستعمالات الكائنة لـ'فوق' في مختلف السياقات.

وفي هذا المجال تثار قضية مدارها أوّلية الخطاطات البسطى ونشوؤها تطوريّاً وفيزيولوجيّاً وإداركيّاً. وللخطاطات في ضوء هذا سلّميّة تنقسم بمقتضاها إلى خطاطات أساسيّة وأخرى قائمة على الأساسيّة (ماندلار 1992).

فما نشأ من الخطاطات من التّمثّل الذّهنيّ المتّصل بالعمل الإدراكيّ كان أساسيّاً بحكم كونه أساساً في تمثّل الكون والتّجربة. فبعض الخطاطات أوّل بدئيّ بالقياس إلى أخرى من قبيل خطاطة المسلك، وتتوالف الخطاطات الأوّلية لتكوين خطاطات مركّبة.

ولئن كانت الخطاطات ناتجة عن حركات الجسد في المحيط فإنّ للثقافة والمحيط العيش اليوميّ ولطبيعة الأدوات واستعمالها فيه دوراً محدّداً. فقد أثبتت تجارب سنها ويانسن دي لوباز (2000) أنّ الخطاطات ناتجة عن حركات الجسد في المحيط وعن طبيعة الأدوات في الثقافة ومحيط العيش اليوميّ، ونموذج ذلك القفّة (الإناء السّعفيّ) واستعمال الطّروف (فوق) أو (تحت) الّذي يختلف باختلاف الثقافة ما بين الزّابوتيّة - من جهة - والإنجليزيّة والدانماركيّة:

تستعمل القفّة في الزّابوتيّة بوجهين: أوّلها لاحتواء الأشياء كما هو معهود، وثانيهما مقلوبةً لحفظ الأشياء وتغطيتها أو للقبض على الدّجاج والطّير، وهذا

الاستعمال غير متوفّر في اللّغتين الدّانماركيّة والإنجليزيّة حيث تستعمل القفّة فقط في اتّجاه واحد. ولذلك لا تدلّ عبارة (تحت القفّة) في اللّغات موضوع الدّرس على الشّيء نفسه، فما هو تحت القفّة في الإنجليزيّة مثلاً لا تحتويه القفّة إذ هو خارج عنها، أمّا ما هو تحتها في الرّابوتيّة فهو فيها إذ تحتويه من حيث وافق حالاً لها وهي مقلوبة. والحاصل من ذلك أنّ الخطاطة تنشأ مرتبطة بالبيئة وبما يتوفّر فيها من الأدوات وتحقّق في نماذج مختلفة باختلاف مكوّنات الثقافة، وتنعكس دون شكّ على مظاهر عديدة منها الاكتساب اللّغويّ والترجمة وما إلى ذلك.

تلك بعض النّماذج ممّا يمكن الإفادة فيه من الدّراسات باعتماد الخطاطة وتحقّقاتها ولكنّ مجالات الدّرس في هذا الشّأن واسعة من ذلك مبحث الاشتراك الدّلاليّ حيث تكون جملة المعاني خطاطيّة وإجراء اللفظ محلّ الاشتراك في معنيّ بعينه دون آخر تحقّقاً للخطاطة (راجع نظريّة التّحو العرفيّ من هذا العمل، وانظر كذلك تحليل (فوق) في لايكوف 1987). ومن ذلك الإنحاء¹ والتّغير اللّغويّ عامّة فمن الفرضيّات القائمة أنّ ذلك يحدث بتغيّر الكثير من التّفاصيل أو بفقدانها في الأصل دون أن يتغيّر شيء من البنية الخطاطيّة (ري 2002، سميت 1999). ففي مجالات التّعلّم بيني المتعلّم خطاطات ثمّ يعيد النظر فيها كلّما حصل على معلومات جديدة، فيكون له ثلاثة مواقف من كلّ معلومة جديدة بناء على علاقتها بالخطاطة التي يملكها:

- يمكن أن يصهرها في خطاطاته دون أن يغيّر من الخطاطة الكبرى شيئاً.
- أو يبدّل الخطاطة القديمة في ضوء الجديد.
- أو يعيد البناء فيقيم خطاطة جديدة ترتق بها الفجوة ما بين الخطاطة القديمة الحاصلة والمعلومة الجديدة المكتسبة.

خلاصة في المناويل العرفيّة

تتحدّد بنية الدّهن بالمناويل العرفيّة وتوافق المقولات في الدّهن عناصر تلك المناويل، وتقوم بعض المناويل العرفيّة على حدود بيّنة فتوافق مقولات ذات حدود بيّنة ثابتة وتقوم بعض المناويل العرفيّة على أساس التدرّج وهذا ما يحدث مقولات يكون الانتماء إليها متدرّجاً.

وتقوم بعض المناويل العرفية على أساس مجازي يسمح بقيام جزء أو عنصر من المقولة مقام المقولة كاملة، وبعض المقولات شعاعي أو انتشاري¹ إذ يتكوّن من مناويل منطلقها مركز ومقولات طرفية مرتبطة بذلك المركز. وتحدّد تلك الترابطات إمّا بالشّبه أو المماثلة أو بمناويل عرفية هي جزء من النظام المفهومي.

وتنقسم المناويل العرفية إلى أربعة أنواع: قضويّ وخطاطيّ واستعاريّ ومجازي، تحدّد البنية بالمناويل القضائية والخطاطية وتحدّد المناويل الاستعارية والمجازية عمليّات الإسقاط التي تتوسّل بتلك الأبنية في اشتغالها. واللّغة في أساسها محدّدة بمناويل رمزية تقوم على القرن بين معلومات لغوية ومناويلها المناسبة لها في النظام المفهومي.

وهذه المناويل مجسّدة بصفة مباشرة أو غير مباشرة بواسطة المفاهيم المجسّدة، وتجسّد المفاهيم أساسه أنّ مضامين المفاهيم مبرّرة بالتّجربة الجسّدية والاجتماعية. وفي جميع ذلك سعي من لا يكوف إلى إقامة منطق طبيعي ولكن خارج الفلسفة الموضوعية.

نظرية العرفنة المجسدة (الذهن المجسد)

توفّر الجسدنة الرّابط المبرّر (غير الاعتباري) ما بين العرفنة والتجربة.
(لايكوف 1987، 154)

تبلورت فكرة الجسدنة¹ واستقامت نظريّة متكاملة في المنطلق في ثالوث من الأطر فلسفيّ وعرفنيّ ولسانيّ، ثمّ توسّعت العناية بها في سائر العلوم العرفنيّة والعلوم العصبيّة العرفنيّة أساسا. وبين هذه الأطر من التّوازي والتّعاظم ما يجعل من الواحد منها صدّى للآخر ينقسم في ضوئه إلى طورين يمثّل ثانيهما ثورة على سابقه، ولذلك يكون من الواجب أن يُرصد التّفاعل فيها جميعا في مستوى أوّل ثمّ الخلوّص لمظاهر الجسدنة في اللّغة بنية ودلالة.

وهو تفاعل قلّما يولّى العناية الكافية في الدّراسات المتعلّقة بعلاقة الفكر بحامله أو بعلاقة الذّهن بالجسد في الأطر المعنيّة هنا. والمشارك بين هذه الأطر يتمثّل في جمع ما كان منفصلا في ثنائيات العقل والمادّة أو الفكر والجسد أو التّجريديّ والمحسوس يتعالى فيها الطّرف الأوّل عن الطّرف الثّاني، وتحوّل علاقة التّباين بينهما إلى علاقة يكون فيها الطّرف الثّاني وسيطا وأرضيّة يتجذّر فيها الأوّل، ويتحوّل البحث من السّعي إلى تحديد العقل/الذّهن/الفكر تحديدا في ذاته مطلقا من كلّ إطار يحلّ فيه إلى بحث في ما به يشتغل الذّهن في أرضيّة عصبيّة أوّلا وفي إطار جسديّ ثانيا وفي بيئة تضمّ الجسد المعرفن ثالثا.

وتندرج الجسدنة مبحثا في العرفنيّات واللّسانيّات في حركة فكريّة أوسع تتمثّل في العود بالعناية إلى موقع الجسد في الثقافة وفي عودة الجسد الغائب إلى المباحث من حيث تصوّره وقيّمته ودوره ومن حيث إدراكه.

ولجميع ذلك أثر في توجيه التناول في مباحث عديدة كالاقتصاد والجنس¹ وعلوم الطب والتاريخ وفي الفنون من قبيل الرسم والنحت والموسيقى عامة وفي الموسيقى الإثنية² خاصة وفي علوم القانون والتقد الأدبي وغيرها، وجميع هذا يمكن تلخيصه في كون الثقافة بنية أمّا³ تعم جميع الأبنية قائمة على بنية بيولوجية تتحدّد بها الكثير من المظاهر (فوكس 1999).

الجسدنة: عودة الجسد الغائب

يقوم الفكر الكلاسيكي - والعبارة للايكوف - على اعتبار العقل (أو الفكر) تجريدياً صرفاً لا صلة له بالمادة أو بالجسد، فالفكر متعال يتجاوز كلّ حدود المادة أو الجسد، وقد يحدث أن تتجسّد المفاهيم (وهي مادة العقل) في أجسام من الأحياء والأناسي والآلات وما إليها ولكنها تظلّ ذات وجود تجريديّ مستقلّ عن كلّ حامل جسديّ.

أمّا الفكرة الحديثة فقائمة على خلاف ذلك إذ ترى أن للعقل أسساً جسديّة، فهو يمثل كلّ ما له صلة بالذوات المفكّرة، بل هو وظيفتها، فيصبح، على هذا، الجسدُ المفكّر بما له من طرق وأدوات في العيش في المحيط مركزاً للمباحث المهتمّة بالعقل.

والجسد، في الرؤية الموضوعيّة، أداة يتوصّل بها إلى المفاهيم المجردة من حيث كان مجرد أداة بيولوجيّة تحاكي أنماطاً من الفكر المتعالي، وهو فوق ذلك يفرض بحكم طبيعته حدوداً على المفاهيم والفكر. وهو الأساس الذي قامت عليه رؤية الفكر سجيناً للمادة مطلقاً وللجسد على وجه الخصوص.

أمّا في التجريبيّة فدور الجسد يتحوّل إلى أداة تمكّن من التفكير وليس مجرد تحقّق للفكر فيه، فالفكر ينبت في الجسد في بعده الفرديّ والجماعيّ من حيث تكوينه الوراثيّ الجينيّ ومن حيث طبيعة المجال الذي يعيش فيه ومن حيث طبيعة اشتغاله في ذلك المحيط، فالفكر ينبت وينشأ ويتبلور في ذلك جميعاً، على حدّ عبارة لايكوف (1987).

Gender studies. 1

Ethnomusicology. 2

Super-structure. 3

وتنطلق فكرة الجسدنة، في المباحث اللسانية العرفية، من قضية أساسية قديمة هم المعنى: كيف يكون للعبارة اللغوية وللمفاهيم التي تعبّر عنها، من معنى؟ وجواب ذلك في المقاربة الكلاسيكية الموضوعية يتمثل في أن العبارات والمفاهيم التي تعبّر عنها أبنية رمزية لا معنى لها في ذاتها وإنما تستمد معناها من علاقتها المباشرة بالأشياء في العالم الحقيقي أو العوالم الممكنة، وهذه المقاربة - عند لايكوف - لا تذكر الكائن البشري ولا تعتمد طبيعة الكائنات في تفكيرها وفي التواصل ما بين أفرادها.

وعلى خلاف ذلك تقوم المقاربة التجريبية على تحديد المعنى باعتماد طبيعة الكائنات المفكرة من حيث تجربتها والتواصل ما بين عناصرها سواء كانت أفرادا أو مجموعات أو شعوبا. والتجربة مفهوم يتجاوز ما يحدث للفرد إلى كل ما يحدث للمجموعة كاملة وللتنوع بالاستتباع فهي مأخوذة في معناها الواسع الشامل لكل ما له دور فيها وكذلك طبيعة الأجسام من حيث بنيتها البيولوجية ومن حيث طاقتها الموروثة جينيا، واشتغالها في المحيط وانتظامها الاجتماعي (لايكوف 1987، 266).

وفي العلوم العرفية مظاهر القطيعة ما بين الفكر والحامل الفكري (أو الوسيط¹) إذ اعتُبرت العرفنة معزولة عن كل وسيط مادي في طور أول، ولكن توسّع ذلك ليثبت أمران مهمّان جوهريان في اشتغال العرفنة هما:

الجسد-في-الدماغ² والجسد-في-العالم³ (روهرر 2007، 343).

أمّا الجسد-في-الدماغ فقوامه ما به تتشكّل⁴ العرفنة بحكم كونها نتاجا لدماغ ماديّ تتفاعل مكوناته (مراكز، موصّلات، خلايا) وتترابط فيكون لها بنية من طبيعة البنية الدماغية، ولكن هذا المظهر ينصبّ على العرفنة في الدماغ مغلقة وخارج كل الأوضاع، وهو مواصلة للقطيعة التي أشرنا إليها.

وأبرز ما توسّع به مفهوم الجسد-في-الدماغ ما ثبت من تشكّل العرفنة في الدماغ بما يكون للجسد من تفاعلات مع المحيط أو العالم الخارجي وذاك هو الجسد-في-العالم.

Medium. 1

The body-in-the-brain. 2

The body-in-the-world 3

Shape(d). 4

فالجسد-في-الدماغ (الدَّهْنُ المجسَّد¹) لا يشكّل بالجسد فقط وإنّما يتشكّل كذلك بما يكون للجسد من تفاعل بمحيطه، فيكون الحاصل من جميع ذلك أنّ العرْفنة تتشكّل بالجسد-في-الدماغ-في-العالم: (العالم (الجسد (الدماغ)). ومن دلائل ذلك التَّجريبية المخبرية ما أثبتته أبحاث كوسلين² (2001) وفينقروتهوس³ (2002) في التصوير الذهني:

فقد ثبت أنّ المواضيع التي تنشط في الدماغ عند تحريك الأشياء المادّية من قبيل الأدوات المعهودة أو تقلّيبها في اتجاهات مختلفة، تنشط كذلك في تصوّر تلك الحركات نفسها تصوّراً ذهنيّاً، فمعناه أنّنا نمسك "ذهنيّاً" بتلك الأدوات باليد نفسها التي بها نمسك تلك الأدوات إمساكاً مادّياً فيزيائياً. وإذا ثبت أنّ الدَّهْن يتشكّل بالجسد وبالمحيط الذي يتفاعل فيه ذلك الجسد نشأت فكرة الجسدنة المتموضعة (جوردان زلاتاف 1997) التي تضمّ التجربة الجسدية وما اتّصل بها من الإطار الثقافي، وهذه بدورها تندرج في ما يسمّى بالعرْفنة المتموضعة⁴ (شلانقار 1990)⁵.

الجسدنة والاستعارة المفهومية

نشأت فكرة الجسدنة أو تجسّد الدَّهْن موازية لفكرة الاستعارة المفهومية، فالاستعارة تمثّلُ لِمَجال على أساس مجال آخر والجسدنة تمثّلُ للمفاهيم المجردة على أساس الجسد من قبيل الغضب والفرح والخوف والحزن والقلق، إلخ. ومن فروع هذا المجال البحث في الاستعارة الجسدية⁶ أي تلك الاستعارات الجارية في تمثّل أجزاء الجسد على أساس مفاهيم أخرى أو في تمثّل الأشياء الأخرى على أساس أعضاء الجسد، ومن قبيل استعارة الجسد وانفعالاته في مجال الآلة عموماً والإعلامية خصوصاً أو في مجال المؤسسات أو المجموعات البشرية وغير هذا من الميادين كثير.

Embodied Mind. 1

Kosslyn. 2

Vingerhoets. 3

Situated Cognition. 4

Schlanger. 5

Body metaphor(s). 6

ولكنّ الجسدنة تتجاوز مجال الاستعارة المفهوميّة من حيث وفّرت مجالا أوسع لدراسة الذّهن مطلقا بتبيّن مظاهر تجسّدنه في سائر الأنشطة والتّصورات غير الاستعاريّة من قبيل الإسقاطات المفهوميّة كالقياس والمزج¹ وما إلى ذلك من الأدوات والصّناعات. ولكنّ تظلّ الاستعارة المفهوميّة خير مورد لفكرة الجسدنة من حيث مظاهرها وانتظامها واشتغالها. فالجسد - مأخوذا من هذه الزّاوية - يمثّل، في آن، المجال المهدف في تمثّل الأحاسيس، والمجال المصدّر في تمثّل مفاهيم أخرى عديدة.

وتنقسم الاستعارة في ضوء ذلك إلى نوعين:
أولهما متّصل بتمثّل مجالات أو مفاهيم تجريديّة على أساس الأجساد أو الأعضاء الجسديّة وفيها يكون الجسد مجالا مصدرا، وذلك من قبيل المجموعات والفرق والجماعات والمدن والأمم والآلات:

(1) أ. المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعت له سائر الأعضاء.

ب. الأمازون رئة الأرض.

ج. باريس قلب أوروبا التّابض.

د. حلق الوادي شريان التّجارة في تونس.

هـ. هو يحشر أنفه حيث لا ينبغي.

و. الفيروس والمضادّ للفيروس في البرمجيات الحاسوبية.

ز. ساق الزّهرة طويلة.

أمّا التّوع الثّاني فقوامه تمثّل الجسد أو أعضائه على أساس مجال آخر، وفيه يكون الجسد مجالا هدفا. يجري ذلك في تمثّل الجسد أو أعضائه أو ما يكون من أحواله على أنّه إنسان أو آلة أو نبت أو شيء مصنوع أو ما يكون لها من أحوال:

(2) أ. القلب مضخّة والأوردة سواق.

ب. للجدران آذان.

ج. الجسم قلعة حصانتها التّلقيح. والمرض هزيمة والشّفاء انتصار.

د. الجسد تراب والروح نور.

هـ. الجهاز العصبيّ شبكة مترابطة من الموصّلات العصبيّة ذات

محطّات وأسلاك ومركز تحليل وتوجيه.

وتمثّل التجريبية الإطار الحاضن للجسدنة والاستعارة المفهومية عند لايكوف (1987). فالنظام المفهومي البشريّ نتاج للتجربة البشرية، والتجربة تتشكّل بتوسط الجسد. فلا وجود لعلاقة مباشرة بين اللغة البشرية والعالم الخارجي كما هو موجود خارج التجربة البشرية، فاللغة قائمة على مفاهيم بشرية هي بدورها مبرّرة بالتجربة البشرية (لايكوف 1987، 206).

فالمفاهيم تقسوم دوماً على التجربة التي للجسد ما كان منها مباشراً أو غير مباشر، ولايكوف مسير في ذلك لما أثبتته بوتنام (1975) من أنّ المعنى شيء والذهن شيء آخر¹. فمن المعاني ما يتحدّد اجتماعياً، تحدّده مجموعة من الخبراء - مثلاً- تكون لها سلطة تحديد بعض المفاهيم من قبيل ما يجري في المجالات المختصة التي لا تتوفر في تجربة الأفراد جميعاً بصفة مباشرة، من ذلك أنّنا نعرف الكثير من الأشياء كالذرة والمعادن والكواكب ولنا عن الواحد منها فكرة عامّة تمكّننا من تحديده بوجه من الوجوه وذلك باعتماد ما يقوله عدد من الناس درسوه أو لاحظوه أو جرّبوه، فشرط حصول التجربة للمعرفة ليس ضرورياً في هذه الحال (لايكوف 1987، 206-207)، فكلام الخبراء الذين عاشوا تلك التجربة يؤخذ به فيكون المعنى ناشئاً بواسطة اجتماعية في ذهن من لم يجرب. فالمعنى، على هذا، متأسّس دوماً على التجربة، هي تجربة الفرد المباشرة أو تجربة أخرى غير مباشرة هي تجربة الخبراء عند من يسمع به منهم.

وإذ يتحدّد المعنى على أساس التجسّد في الواقعية التجريبية عند لايكوف (1987، 267) تكون العرفنة مستويين هما البنية وتجسّد البنية:

تنظم المفاهيم في بنية من زاويتين انتظاماً داخلياً ذاتياً في المفهوم الواحد كما تنظم في ما بينها انتظاماً خارجياً. وهذا الانتظام هو ما به نتمكّن من التفكير ومن الفهم ومن اكتساب المعرفة ومن التواصل، وهو ما تنهض به المناويل العرفية (انظر المناويل العرفية قبل هذا). ولكنّ مفهوم الانتظام في بنية مفردة لا يفسّر ما به تكون تلك البنية ذات معنى. فيكون للبنية المفهومية معنى لأنّها متجسّدنة أي أنّها نابعة من التجربة الجسدية ما قبل-المفهومية² وترتبط بها وثيق الارتباط. فالبنية المفهومية قائمة على الأبنية ما قبل-المفهومية.

1 Meaning is not the mind.

2 Preconceptual bodily experience(s).

ويفترض لايكوف قيام نوعين من الأبنية في التجربة ما قبل-
المفهوميّة:

أبنية أساسيّة دنيا تتحدّد فيها المقولات الأساسيّة الدّنيا على أساس التّركّز¹ في الإدراك الجشطلّيّ وقدرة أجسادنا على الحركة وعلى ملكة تكوين صور ذهنيّة متنوّعة متعدّدة.

وأبنية خطاطيّة جامعة هي أبنية بسطى ممّا يتواتر عاليا في تجارب أجسادنا اليوميّة، من قبيل المسالك، والحاويات والروابط والقوى والتوازن ومن قبيل الاتجاهات والعلاقات المختلفة المتنوّعة بما فيها فوق-تحت وصعود-نزول وأمام-خلف وجزء-كلّ ومركز-أطراف، إلخ (لايكوف 1987، 267).

وتنشأ البنية المفهوميّة المجردة من التّجربة الجسديّة بمستوياتها مستوى البنية الأساسيّة الدّنيا ومستوى البنية الخطاطيّة بطريقتين:

- أولاهما الإسقاط الاستعاريّ من مجال الأشياء المادّيّة على مجالات تجريديّة (راجع قسم الاستعارة المفهوميّة أعلاه).

- ثانيتهما الإسقاط من مستوى المقولات الدّنيا الأساسيّة على المستويات العليا من المقولات العامّة (لايكوف 1987، 268).

فالتّجربة لا تحدّد البنية المفهوميّة ولكنّها تبرزها (لايكوف 1987، 310).

والجسدنة عند لايكوف نوعان مفهوميّة ووظيفة:

تتمثّل الجسدنة المفهوميّة² في كون خصائص بعض المقولات نتيجة لطبيعة الجسم البشريّ من حيث هو كائن حيّ ذو طاقات معلومة وهي نتيجة كذلك لتجربة العيش في بيئة مادّيّة ومحيط اجتماعيّ. وهذا خلافا للمعتقد الذي يسلم بقيام المفاهيم قياما ذاتيا مستقلا عن طبيعة الجسد في الذات المفكّرة وعن تجربتها الجسديّة في المحيط (لايكوف 1987، 12).

أمّا الجسدنة الوظيفيّة³ فقوامها أنّ بعض المفاهيم لا يُتمثّل تمثلا تجريديا وإنّما يستعمل بصفة آليّة غير واعية ودون عناء أي جزءا من اشتغال الجسد (لايكوف 1987، 12-13).

1 Convergence of gestalt perception.

2 Conceptual embodiment.

3 Functional embodiment.

مفهوم الجسدة

يمكن أن نحمل الجسدة في تنضد المفاهيم في النظام المفهومي وفي اللغة بالاستتباع على أساس بعض الخصائص الجسدية واشتغال الجسد في الحياة اليومية العادية. فالجسدة جملة "الآليات العصبية والعرفية التي تمكّنا من الإدراك ومن التنقل في ما يحيط بنا، وهي الآليات نفسها التي تُنشئ أنظمتنا المفهومية وطرق التفكير عندنا" (لايكوف وجونسون 1999، 4). وإذا كان ذلك يكون من الضروري فهم النظام البصري والنظام الحركي والنظام العصبي بترابطاته، فهما دقيقا لكي نفهم الذهن. وللجسدة أبعاد عديدة يمثل الواحد منها ركيزة من ركائز المفهوم الأمّ الذي تسعى الدراسات الجسدية إلى إقامته، ويمثل البعد الواحد منها مفهوما جاريا في مجال بعينه من العلوم العرفية في معناها الشامل مقترنا بمظهر من مظاهر الجسدة في ذلك المجال (روهرر 2007)¹.

فمنها بعد فلسفي تعبّر فيه الجسدة عن موقف ضديد للتصور الديكارتي للذهن، وقد سبق النظر فيه، ومنها بعد متصل بالتموضع الثقافي الاجتماعي عامة وفيه تعبّر الجسدة عن مظاهر السلوك الاجتماعي والثقافي التي يتموضع فيها الجسد. ومنها البعد الظواهرية من حيث تتضمن الجسدة إدراك الجسد من حيث دوره وموقعه في تحديد الهوية والثقافة من خلال عمليات فكرية واعية قصدية أساسها الاستبطان. ومقابل ذلك تقوم الجسدة على تمثّل للجسد على أساس روتين عرفي يطلق عليه لايكوف وجونسون "اللاوعي العرفي" (1999) ومفاده أنّ الذهن توجهه عمليات آلية غير واعية على غاية من السرعة بوجه يجعل الوعي بها غير متوفر.

ومن الأبعاد ما تجري فيه الجسدة على زاوية النظر الذاتية التي من خلالها تتأسس الرؤية الشخصية الفردية الذاتية، وفي ذلك خروج عن المؤلف القائم على رؤية عامة ومعرفة شاملة موضوعية موقعها زاوية نظر محايدة ترى منها الذات ولا تُرى². وهو الأساس الذي قامت عليه فكرة نخط التناول عند لانفاكر في النحو العرفي وآلية المقولة عند ماك لوري (نظرية زاوية النظر³ (ماك لوري 1997)) من جملة نظريات كثيرة.

Rohrer. 1

Panoptic vantage point. 2

Vantage Theory (VT). 3

ومن أبعاد الجسدنة ما يهتمّ تجسّد النشاط العرفيّ في حامله العصبيّ (الفيزيولوجيا العصبية) من حيث قياس النشاط بالوسائل المعلومة في الخلية العصبية الواحدة وفي شبكاتها وذلك في مستويين العمليّات العرفيّة الدّنيا أو البسطى من قبيل إدراك المكان أو العمليّات العرفيّة العليا من قبيل حلّ المسائل والتذكّر والتخيّل والمظهر الزمّنيّ في اللّغة وغيرها.

ومّا ثبت في هذا المجال ما يطلق عليه ظاهرة "الخلية العصبية المرأة"¹ أو النّورون المرأة (جاليزي وجماعته 1996، ريتزولاتي وكريقر 2004)² في علم الأعصاب العرفيّ، وقوامها أنّ بعض الأنظمة العصبية الحركية الكائنة في القشرة ما قبل الحركية³ من الدّماغ (عند القردة) تنشط عند قيام القرد الواحد بحركة ذاتية بواسطة عضو من أعضائه كما تنشط عندما يشاهد ذلك القرد الحركة نفسها بالعضو المعنيّ يؤدّيها واحد من أبناء جنسه.

ومن الأبعاد المهمّة في الجسدنة ما يتوفّر في الروبوتية، حيث يقتضي الذّكاء (الاصطناعيّ) حاملا اصطناعيا من معدن أو غيره يمثّل جسدا، هو ما به يكون التفاعل بين الآلة الذّكية ومحيطها. وتنصبّ العناية على الجسدنة خاصّة في فرع من الروبوتية مجاله صناعة الروايت المتأدّمة⁴ بما يجب أن يكون، من التّناسب بين ما تقتضيه العمليّات العرفيّة الصّرف من أعمال، من جهة، وبنية الجسد الآليّ من أعضاء أو مكوّنات تتحقّق بها تلك الأعمال في المحيط، من جهة ثانية. فنشاط الروبوت وسلوكه يعتمدان شكل الجسد فيه.

مظاهر الجسدنة

تتجلّى الجسدنة في نماذج عديدة نورد في ما يلي بعضها وهي على مراتب منها العاديّ البسيط ممّا يعيشه الكائن البشريّ في أبسط مظاهر الحياة ومنها ما يتعلّق بأعلى الوظائف العرفيّة تصوّرا وتخيّلا ومفهمة واستحضارا. فإذا ما اعتبرت الجسدنة عودة الجسد إلى المباحث المتّصلة بالذهن والفكر وقد غاب منها في بعض الأزمنة الماضية، فإنّه في الحياة اليوميّة يعود إلى الوعي، وعي الذات بجسدها، في

Mirror neuron(s). 1

Gallese & allee, Rizzolatti & Craighero. 2

Premotor Cortex. 3

Humanoid(s). 4

بعض المقامات وقد غاب عنه في ما قبلها ثم لا يلبث أن يغيب من جديد ليعود مرة أخرى.

فمن نماذج التجسّد في تجارب الحياة اليوميّة ما يورده روهّر (2007، 339) في حال انقطاع التيار الكهربائيّ وانطفاء مصابيح الإنارة وما يكون للفرد من تلمّس للطريق وتحسّس للأثاث في الغرفة أو بحث عن الأشياء أو نزول في السلم وما إلى ذلك، وفي هذه الحال يحضر الجسد، من حيث هو كلّ أو أعضاء، وقد غاب الوعي به في حال الإنارة العاديّة. فما كان من المشاكل، والتّور موجود، يجد حلاًّ له في ما دون الوعي أي بوجه آليّ مباشر يصبح طاغيا غامرا للجهاز العرفيّ عند الذات، في حال الظلام.

ومن نماذج التجسّد ما يكون في توجيهات الطّريق عند إرشاد من لا يعرف وجهته فيسأل في شأنها، وفيها نلاحظ ما يفعله الشّخص الذي يقدّم توجيهات للآخر للوصول إلى موقع دقيق من خلال كثير من المعالم المتداخلة ونلاحظ كيف يستدير أو يحوّل اتجاه جسده في الفضاء ليكون -مثلا- الموقع المعنيّ مواجهاً له و/أو لسامعه وفي ضوء ذلك تتوزّع المعالم إلى ما قبل وما بعد وإلى يمين أو يسار، إلخ. وفي ذلك الكثير من مظاهر الإسقاط التي تكون ما بين توجيهات أجسادنا وتوجيهات الأشياء ومن ذلك أمام السيّارة والشّجرة والدّار أو الجامع وأمام المغازة وما إليها. والمشكل المطروح -هنا- عندما تتعدّد الأبواب أو المخارج من الجهات كلّها، فتصوّر مركزاً تجارياً مربّع الشكل في كلّ جهة من جهاته مداخل فما هو الأمام والخلف فيه مثلاً؟ ومن الموضوعات المهمّة في هذا دراسة التّوجيهات في كتب الرّحلات والجغرافيّين العرب وما به يكون تحديد المواقع في المكان عامّة وفي تعديد الأوصاف باعتماد الجسد وتوجّهه. وهو موضوع يذهب بنا بعيداً.

ويتّسع مفهوم الجسدنة ليشمل نماذج من الآلات والمصنوعات الأدوات التي تمثّل تجسّداً لمعرفة أو مهارة أي حلولاً لها في حامل مادّي، ومن ذلك الأسطربلاب (هاتشنس 1995) من حيث هو جملة من الصّفائح المعدنيّة الدّائريّة تجسّد العلاقات ما بين الأجرام السّماويّة في منازلها المختلفة في الفضاء بوجه يفوق دقّة استحضارها باعتماد الذاكرة عند البحّارة.

ويرى هاتشنس في الأسطربلاب بمكوّناته المادّيّة وما تحمله من أشكال (خطّ الأفق، توزيع الزّمن على السّلم المرقوم...) تجسّداً لأعمال اجتماعيّة ثقافيّة بوجهين:

أولهما يكون به الأسطرلاب امتدادا للجسد، جسد البحار أو التوقي الذي يستعمله استعمالا ماديا فيزيائيا بإدارة الصفائح وقراءة المواقع فيها لمعرفة أوضاع الأجرام وحرركاتها.

وثانيهما يكون به الأسطرلاب من حيث كان أداة مصنوعة تتجسد فيها عن طريق الترسب أعمال فلكية متكررة على امتداد أجيال كثيرة من البحارة وغيرهم. فيكون الأسطرلاب تجسدا ماديا لكل ذلك كما يكون مستعملة وريثا لمهارات من سبقه وقد صورت في حامل مادي (هاتشنس 1995، 96-97). فيمثل الأسطرلاب، وما شاكله من المصنوعات أو الحوامل المادية، نوعا من المشد المادي تتجسد فيه المفاهيم والأفكار.

وقريب من هذا تجسد الوحدات الزمانية ودورها في أدوات قيس الزمن (عند هاتشنس)، وهو ما يعتمده فوكونيائي ليثبت جريان الإسقاط ما بين فضاءين ذهنيين هما فضاء المكان وفضاء الزمان، فيكون تمثل الزمان على أساس المكان (انظر الأفضية الذهنية من هذا العمل).

ومن مظاهر الجسدنة ما يتوفر في بعض اللغات من تمثل المواقع الفضائية على أساس أجزاء الجسد وفيها يجري الإسقاط ما بين الجسد والأشياء. ومنها لغات تجري فيها أسماء لأعضاء الجسد أدوات نحوية (حروفا) تدل على مواقع في المكان (لايكوف 1987، ماك لوري¹ 1989).

ففي بعض لغات المايا الأصلية في المكسيك الغربية² يكون التعبير عن كون الحجر -مثلا- تحت الطاولة بما معناه حرفيا "الحجر موجود عند بطن الطاولة"³ وكذلك 'كون الشيء فوق الجبل' يعبر عنه حرفيا بكونه على رأس الجبل، وكون الشخص مستلقيا على الفراش بما معناه حرفيا هو على وجه الفراش (لايكوف 1987، 313-314).

وقريب من هذا تسمية بعض الأماكن برأس كذا (وهو ما دخل في البحر مسافة من الأرض) من قبيل: رأس أنجلة، رأس زيبب، رأس سرات وما إليها في تونس، أو تسمية المجردات من قبيل 'رأس البلاء' أو 'رأس القوم' وما إلى ذلك.

MacLaury, Robert. 1

Chalcatongo Mixtec (Otomanguan language of Western Mexico). 2

Yuù wá hiyà ìi-mesá (stone the be-located belly-table). 3

ومن نماذج الجسدنة أيضا ما يتّصل بالاكْتساب اللّغويّ في الثقافات المختلفة ما قام على مقارنة بين أطفال من الدّانمارك وإنجلترا من جهة وأطفال يتكلّمون اللّغة الزابوتية¹ (واحدة من لغات المايا) من جهة أخرى.

فقد أثبت يانسن دي لوباز وسنها² (2000، 2002) أنّ الأطفال المتكلّمين بالزابوتية يكتسبون أسماء الأعضاء من الجسد في البداية على أنّها أدوات تعبّر عن علاقة فضائية ثمّ يجرّونها في مرحلة لاحقة أسماء على أجزاء الجسد كما أثبتنا أنّ الأطفال الدانماركيين والإنجليز يكتسبون الأسماء على أنّها جارية على أجزاء الجسد ثمّ يجرّونها في العلاقات الفضائية في وقت لاحق.

وتفسير ذلك قائم -عندهما- على فرضية تدعم تجسّدن الدّهن على أساس ممارسات ثقافية اجتماعية بالإضافة إلى قيامه على أسس عصبية-فيزيولوجية. فقد ذهب الباحثان إلى أنّ نمط التربية علاقة بذلك، فالأطفال الزابوتيون يقضّون العامين الأوّلين محمولين على ظهور أمّهاتهم فيكون إدراكهم للفضاء (المكان) وتمثّلهم إيّاه من زاوية نظر أمّهاتهم وهن يحملنهنّ على ظهورهنّ، وعلى خلاف ذلك ينشأ الأطفال في الثقافتين الدانماركية والإنجليزية مستقلّين في المكان يتحرّكون فيه معتمدين على أنفسهم، فيدركون الفضاء ويتمثّلونه بناء على مواقع أجسادهم فيه. فمن تمثّل من الأطفال المكان من زاوية جسم الأمّ تمثّله في البداية على أنّه في علاقة بأعضاء الجسم (جسم الأمّ) وهي تتّجه فيه فأسماء الأعضاء جارية أدوات على العلاقات الفضائية ثمّ بعد ذلك يستقلّ عنده مفهوم الجسم جزءا جزءا ليجري جريان الاسم، وعلى خلاف ذلك، من يتمثّل من الأطفال المكان من زاوية جسمه وهو يتّجه فيه تعلّم الأسماء جارية على أجزاء الجسد أوّلا ثمّ أجراها في التعبير عن العلاقات الفضائية لاحقا.

ومن نماذج الجسدنة تمثّل المفاهيم التجريدية على أساس جسديّ فيزيولوجيّ، ومنها مفهوم الغضب. فقد كانت تُعبّر الانفعالات أحوالا ذهنيّة (عرفيّة) صرفا ولا اختلاف بينها من زاوية فيزيولوجيّة (شاشتر وسنجر³ 1962)، ولكن ذلك غير ثابت إذ تبين أنّ سرعة دقّات القلب وارتفاع درجة الحرارة السّطحيّة في الجسم متواتران في

1 Zapotec.

2 Jensen de lopez & Sinha.

3 Schachter and Singer.

الانفعالات المختلفة (ليكمان وليفنسان وفريزن¹ 1983). ويتخذ لايكوف من هذه الحقيقة رافدا يسند تجسّد الانفعال بتوسط النظام العصبي الفيزيولوجي، ويسند كون الاستعارات والمجازات المعبرة عن الانفعال مبررة فيزيولوجيا أي جسديا، وبذلك يفسر قيام الاستعارات الجارية في الغضب على مفهومي الحرارة والضغط الداخليين (لايكوف 1987، 380 وما بعدها) فيكون تمثّل الغضب إجمالا كما يلي:

الجسد حاوية والغضب نار والدم ماء والنار تفعل فعلها في الدم فتحرق، وتسخن وتغلي وتفجر، وتقاوم بالإطفاء أو التهدة أو يمكن أن تؤدي إلى الانفجار بزيادة الضغط والغليان فيكون الضرر:

(3) غلى الدم في عروقي.

فار الدم في عروقي.

تركته يغلي وخرجت.

دمه سخن، فهو سريع الغضب.

دمه بارد، فهو لا يغضب سريعا.

برد دمك، يا رجل.

سأنفجر من الغضب (ماش نظرشق، أنا ماش نتفلق (تونسية)).

كان يرتعش من شدة الغضب.

يتطاير الشرر من عينيه.

احمر وجهه غضبا. احمرت عيناه غضبا. هو يحمر عينيه عليه.

رأسه ساخن.

أعماه الغضب.

أخذ الدجاج الأسود يدور بي.

أنا عندما أغضب، لا أرى شيئا.

فالغضب منوال عرفني منضد تنظمه بنية، هي بنية كامنة في اللغة تتحكم في

جميع التماذج العبارية التي يتحقق فيها المفهوم، وهو منوال مجسّد تجسّد الكثير من المناويل المتعلقة بالمشاعر والانفعال وغير ذلك.

وتقوم الاستعارات الواردة في (3) على نوعين من التناسبات أنطولوجية

وإستيمية:

تجري التّناسبات الأنطولوجيّة ما بين المجال المصدر (حرارة السّوائل في حاوية) والمجال الهدف (الغضب): فالحاوية تناسب الجسد، وتسخن السّائل عمليّة الغضب، ودرجة السّخونة في السّائل درجة الحدّة في الغضب، وحرارة الحاوية حرارة الجسد، والضّغط في الحاوية الضّغط الدّاخليّ في الجسد، غليان السّائل واضطرابه غليان الدّم واضطراب الجسد، والانفجار غياب السّيطرة والتّحكّم في الجسد، وهكذا إلى أن تستقصى وجوه التّناسب المختلفة بما فيها أن برودة السّائل تناسب غياب الغضب، كما في قولنا "دمه بارد، له دم الإنجليز... فهو لا يغضب".

وتجري التّناسبات الإستيميّة على أساس التّناسب بين المعارف العامّة المتعلّقة بكلّ من المجالين (الهدف والمصدر)، وذلك من قبيل أن كلّ ارتفاع في حرارة سائل محبوس في حاوية مآله الانفجار تناسب ارتفاعاً في حرارة الجسد بفعل الغضب يكون له الاضطراب والخروج عن السّيطرة والتّحكّم، وأنّ الانفجار يضرّ بالحاوية وبما يحيط بها وكذلك الانفجار في الغضب يضرّ بصاحبه وبمن معه في محيطه (لايكوف 1987، 387).

خاتمة

تمثّل الجسدنة عودة للجسد الغائب منذ قرون إلى مباحث الدّهن - على حدّ عبارة روهّر (2007) - وعودة بالدّهن (العقل) إلى حامله الجسديّ (المادّة) منتجاً له مباشرة أو وسيطاً بينه وبين العالم يسرّ تمثّله واستيعابه. فيكون الدّهن على هذا مجسّداً والعرفنة كذلك بما لها من مناويل مجسّدة رأساً من حيث مضامينها ومناويل متّصلة بصفة آليّة ومباشرة بالأولى.

وتظلّ نظريّة الجسدنة في حاجة إلى إثبات الأرضيّة التّفسيّة لتحقيق الكفاية التّفسيّة باعتماد حقائق يسطّرها علم التّفنيس العرفيّ، وأمام هذا الطّريق طويلة من المفروض أن تتجاوز مباحث اللّغة.

الأفضية الذهنية

مثل اكتشاف الترابطات العرفية أو إعادة اكتشافها في منتصف السّنوات 1970 منطلقاً لأبحاث عديدة في طبيعة الدّلالة اللّغوية وفي علاقتها بانتظام الفكر. فكان التحليل تدريجياً عن التناول المنطقي الشكليّ للدّلالة ليقوم الدّرس الدّلاليّ على الأبنية العرفية التي تساهم العبارة اللّغوية في تشكيلها من قبيل الإسقاط الاستعاري¹ وانتظام الأطر² والأدوار³ وتشكّلات الرّسم-الأرضية⁴ والدّالات التّداولية في المجاز المرسل⁵ وترابطات الأفضية الذهنية والخطاطات العرفية⁶ والمناويل الثّقافية⁷. وفي هذا الإطار تندرج أعمال فوكونيائي التي تكوّن نظرية الأفضية الذهنية⁸.

تنضوي أعمال فوكونيائي في تيار يدحض مسلّمة منطقية يعتقد أصحابها أنّ الدّلالة اللّغوية يمكن الإحاطة بها باعتماد أدوات من المنطق الشكليّ، فهو يرى أنّها أدوات قاصرة في تفسير الكثير من الظواهر اللّغوية، ويسعى إلى إقامة بديل نظريّ لها يقوم على طاقة الدّهن البشريّ عوضاً عن طاقة الحسابات الرّياضية التي يستعملها المناطق.

كما يرفض ما دأبت عليه الفلسفة والأنحاء التّقليدية من الاكتفاء بالجملة معزولةً موضوعاً أساسياً للدراسة. ويفسّر ذلك بما كان سائداً من قبيل البداية بدراسة الجزئيّ البسيط التّمودجيّ لتحديد قوانين بنائه الجيّد من حيث بنيته

-
- | | |
|--------------------------------|---|
| Metaphoric projection. | 1 |
| Frame organization. | 2 |
| Roles. | 3 |
| Figure-ground configurations. | 4 |
| Metonymic pragmatic functions. | 5 |
| Cognitive schemas. | 6 |
| Cultural models. | 7 |
| Mental Spaces. | 8 |

الإعرابية ودلالته ثم الإلمام بالبنية اللغوية العامة في مرحلة تالية بنوع من التعميم ينقاس فيها المعقد الغريب الشاذ من الأبنية على البسيط النموذجي. ولكن هذا التوجه موقّع في الكثير من المغالط والمزالق - في رأي فوكونيائي - إذ قلّما يكون الجزئي المحدود المتواتر متضمّنًا الأحوال العامة، ثم إن هذا يؤدي إلى إساءة توزيع في المعطيات وصفًا وتحليلًا.

وتنطلق تساؤلات فوكونيائي من ظاهرة متواترة في الخطاب تحيل فيها العبارة على معناها أو مرجعها إحالة غير معهودة إذ لا يمكن تفسيرها بمدخل معهودة: من ذلك ما يمكن سماعه في بعض المطاعم من تسمية الزّبون بما طلب من المأكّل أو المشرب من قبيل:

صحن السمك يريد بعض اللّيمون.

حيث يطلق 'صحن السمك' على شخص يتناول السمك.

وهذه الظاهرة وقريب منها كثير إنّما تسمح بها عدد من العناصر المترابطة منها المكان والخدمة المقدّمة ودور الواحد في ذلك من طبّاخ ونادل وزبون وعملية التبادل القائمة على تقديم الأطعمة بمقابل وما إلى ذلك ممّا يمكن أن يجتمع في إطار "خدمة المطاعم".

ومن الأمثلة كذلك ما يجري في تونس - مثلاً - في محطات غسيل العربات من تسمية الزّبون بنوع سيّارته في عبارات من قبيل "المسيداس على عجل" أو "الفورد جاء قبل الفيات" أو من قبيل ما يُسمع من شرطيّ المرور يخاطب زميلاً له موضّحاً سبب تعطلّ المرور في نقطة محدودة من الطريق "الفورد يلزمو يخرج" أو "الفورد داخل في اتجاه ممنوع" وما إلى ذلك.

ونظرية الأفضية الذهنية منوال في العلاقة بين الدلالة والعرفنة ينطلق من تفسير الظواهر المتواترة من قبيل ما ذكر منذ أسطر، سعياً إلى إقامة نظرية أوسع في علاقة اللغة بالعرفنة يكون فيها الكشف عن الاتصال ما بين التحو والتجربة في جميع المستويات وما يكون به بناء الواقع والتجربة والتعبير عنهما عند الإنسان باعتماد العبارة اللغوية.

ومن منطلقات فوكونيائي أنّنا نستعمل اللغة للحديث عن الأشياء الموجودة كما هي في حال الكون والتجربة، وعمّا يمكن أن يوجد، وعمّا سيوجد، وعمّا نعتقد أو نتصوّر وجوده، وعمّا نتمناه أو نفترضه كأننا وعمّا نراه رؤية العيان وعمّا

به نُقنع وما نتخيّله في القصص والروايات وعمّا كان وعمّا كان من المفروض أن يكون وغير ذلك. ولئن اختلفت هذه المظاهر في طبيعتها بما تقوم عليه من تقسيم للزّمن ومن العوالم الممكنة والعوالم المستحيلة ومن أحوال القصد وأحوال المعرفة بالأشياء والكون وغير ذلك من مظاهر الاختلاف، فإنّها تجتمع في مستوى يكون لها فيه نفس الأدوات في تكوين الأبنية العرفيّة، وكلّ ما يجب فعله هو البحث في ما به تشغل هذه الوجوه اشتغالا واحدا من زاوية دلاليّة منطقيّة ونحويّة لغويّة.

ومن أهمّ الأفكار والمبادئ عند فوكونيائي، مفهوم الإطار والتحليل الإطاريّ وما يستتبع ذلك من مفهوم الدّور والقيمة وهو في جميع ذلك مواصل لمبادئ وظيفيّة في التحليل اللّسانيّ والدّلاليّ ولكنّه موظّف إياها في مستوى تصوّريّ ذهنيّ يجد له مظاهر عديدة في التّشاطر اللّغويّ الخطائيّ.

ويتمثّل برنامج البحث عند فوكونيائي في الانتظام المفهوميّ الكامن في انبناء المعنى عن طريق الخطاب بوجه تستطيع به الأطراف فيه متابعة الخطاب في ديناميّته قصد تحقيق الغايات التّواصلية والفكرية. وإذ مثّلت اللّغة واحدا من تجليات ذلك الانتظام يكون من الطّبيعيّ أن تعكس بنيتها بنية الفضاء الدّهنيّ، ويكون من الطّبيعيّ كذلك أن نجد في أنحاء اللّغات الطّبيعيّة أدوات بها يتمكّن المتخاطبون من تبين عدد من المظاهر كلّما كان ذلك مفيدا أثناء انبناء المعنى في الخطاب من قبيل نقطة الانطلاق في الخطاب وهي الفضاء الأساس، ومن قبيل الفضاء الذي يتمثّل موطن البؤرة أي ذاك الذي يتمثّل مادّة الوعي في لحظة ما وإليه ينضاف شيء جديد، ومن قبيل التّراپطات بين الأفضية المختلفة ومن قبيل التّشكّلات الدّاخلية في الفضاء الواحد. وقوام هذه العمليّات جميعا - عند فوكونيائي - هو مبدأ الاهتداء¹ كما يكون بيانه لاحقا.

الروابط العرفيّة

ثبت في الدّراسات العرفيّة أنّ البشر يهتدون إلى نفس المعلومات ويعالجونها بطرق مختلفة في سياقات ومقامات مختلفة وفرضيّة "آثار الأولنة"² في علم النّفس

Access, access principle. 1

Priming effects. 2

دليل قاطع على ذلك. ولكنّ الدلالة الموضوعية¹ تركّزت أساسا في المظاهر المعنوية التي تقبل التحليل بصرف النظر عن المقام أو السياق، ملقية بما تجاوز ذلك من المظاهر إلى التداول. ولكن بات من الثابت أنّ الوظيفة الأساسية للبنية اللغوية إنّما تكمن في تحديد قابلية الاهتداء الاختلافية وفي استغلالها من زاوية عرفية. فالبنية اللغوية في أساسها متشكّلة تشكّلا سياقيا مقاميا.

ويجد فوكونيائي في ذلك مدخلا يثبت ضرورة البحث في ما يمكن للذهن أن يقيمه من عمليات ربط في مختلف السياقات وفي ما يكون للسياقات المختلفة من آثار في انبناء المعنى. ومن مظاهر الربط ما بين مجال² وآخر أن يجري اللفظ الواحد أو العبارة الواحدة المنتمية إلى مجال ما قادحا³ يحيل على وحدة هدف⁴ من مجال عرفي آخر. يحمل فوكونيائي بعضا من أنواع الربط في بعض الدالات⁵ التداولية والمجاز المرسل والاستعارة والقياس وربط الدور بالقيمة والاهتداء إلى التطابق والعلاقات الرابطة بين العالم المتصور ونظيره في الواقع.

ومن أمثلة الدالة التداولية الرابطة ما بين مجال وآخر أن يترابط المؤلفون والكتب بواسطة دالة تجمع المؤلف بكتابه أو أعماله. فيجري في هذا اسم المؤلف أو صفاته - وهو القادح هنا- ليحيل على الكتاب - وهو الهدف. كما تربط نفس الدالة ما بين مجال الزبائن ومجال البضاعة فتحيل البضاعة على الزبون أو بين مجال المالك وما يملك فيحيل الشيء المملوك على صاحبه:

(1) أ. يشغل ابن خلدون رفا كاملا في المكتبة.

ب. ربع الدجاج يريد بعض الهريسة.

ج. المرسيداس على عجل فالأولى تبجيله.

ومن ذلك أن يترابط التمثيل بما يمثل له:

(2) في الصورة، الفتاة ذات العينين الخضراوين، عيناها زرقاوان. (عن

جاكندوف 1975)

1 Objectivist semantics.

2 Domain.

3 Trigger.

4 Target.

5 Pragmatic function(s)

وفي ضوء ذلك يقيم فوكونيائي مبدأ عامًا نصّه:

كلّ مفهوم يقتضي في تمثيله فضاءين ذهنيين، يكون الواحد منهما أوليًا¹ والآخر تابعا له.

وتمثّل هذه العلاقة قادح-هدف جزءا من الأبنية العرفيّة التي تحكم تمثّلنا للعالم الذي نعيش فيه، وهي ما يسهّل إجراء عبارة مقترنة بوحدة من مجال ما على وحدة مربوطة بها من مجال آخر.

ومن خصائص العرفنة البشريّة قيامها على التّطابق² وهو أن تُجري روابط بين وحدتين في سياقات متباعدة في الزّمان أو في المكان وتعتبر الوحدتين متطابقتين أو تمثّلان الشّيء نفسه. فقد يذكر الواحد منّا شخصا عرفه منذ زمن بعيد ورغم الفوارق الزّمنيّة وما تجرّه من تغيّر في القسمات أو الشّكل بفعل الزّمن والتّقدّم في السنّ وما إلى ذلك ثمّ يلقاه فيعرفه بعد مدّة طويلة أي في سياق زمنيّ أو مكانيّ آخر، وجميع ذلك قائم على ربط على أساس التّطابق بين الشّخص في السّياقين. فالشّخص عند التّأمّل قد تبدّل فلم يعد هو نفسه الذي كان فهو في الواقع شخص آخر ولكنّ بعض الملامح المشتركة بين صورتيه أو تمثّليّه (صغيرا في زمن بعيد، وكبيرا في زمن لاحق) تمثّل رابطا عرفنيّا بين شيئين من مجالين مختلفين على أساس أنّهما متطابقان.

ويمكن أن ينضاف إلى هذا أمثلة كثيرة من قبيل التّعرفّ على الأماكن عند العود إليها بعد الغياب الطّويل أو التّعرفّ على الأماكن وقد عرفها الشّخص في زمن من الأزمنة، انطلاقا من صورة لها أخذت في زمان متقدّم، فمن يعرف منطقة باب الخضراء في تونس-مثلا- في مطلع هذا القرن، بما هي عليه من الحياة يمكنه أن يتعرّفها من خلال صورة أو صور فوتوغرافيّة كانت لها قبل العشرات من السّنّوات وذلك بناء على ما يجد فيها من معالم كبرى يكون بها التّطابق وإن تغيّرت الجزئيات وتبدّلت.

العلاقات الرّابطة بين العالم المتصوّر ونظيره في الواقع

من القدرات العرفيّة أن يكون لنا تمثيل لرؤية الذات للكون ورؤية الآخر (ين) له من نفس الرّأوية أو من زوايا أخرى. هو ما يجري التّعبير عنه في المحاورات اليوميّة البسيطة بعبارات من قبيل:

Primary. 1

Identity. 2

(3) أ. اجعل نفسك مكاني فما عساك تفعل؟

ب. لو كنتُ مكانك لفعلت كذا وكذا.

ج. مكانك أنا أفعل كذا وكذا.

وفي جميعها تمثل لعالمين ثانيهما مبنيّ على الأوّل من حيث كانت الذات قد تمثّلت رؤية الذات الأخرى لذلك العالم من زاويتها هي ثمّ أقامت على تلك الرؤية رؤية أخرى هي لها لذلك العالم ولكنها أضافت ما هو من زاويتها هي بأن يكون منها ما لم يكن من الأولى من فعل أو قول أو تصرّف.

ومن رؤى الكون، ما ننشئه من عوالم متصورة تقابل العالم الواقع. يكون ذلك في التمنيّ أو الترجّي وفي أبنية الشرط وكلّ ما عبّر في اللغة عن الإمكان عموماً. يقوم ذلك على الرّبط بين حاليّن للعالم واحدة منهما واقعة والأخرى متخيّلة بناء على الأولى تطابقها في الكثير من الخصائص ولكنها تختلف عنها في بعض منها:

فالتّمنّي مثلاً قوامه عالم واقعيّ - أو متصورّ على أنّه كذلك - منطلقاً وعالم متخيّل هدفًا، مع فارق في حضور شيء في المتخيّل وهو مفقود في العالم الواقع. ففي مما يلي على سبي المثال:

ليت زيدا يصل الآن.

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد.

يتوقّر عالمان الأوّل منهما عالم الأشياء زمن القول. بما فيه من أشخاص وأوضاع وأحداث والثاني عالم آخر هو نفس الأوّل في كلّ أحواله ويبنى عليه حال جديدة هي شخص زيد أو إنجاز الوعد. فيكون الرّبط بين فضاءين ذهنيّين واقعيّ وممكن، يرث الممكن منهما سمات الواقعيّ وفق مبدأ الوراثة¹.

علاقات المجاز المرسل

يمثّل المجاز المرسل منذ القديم دلالة اللفظ على معنى ليس له في الأصل بعلاقات متنوّعة أساسها الانتماء أو الاحتواء. وهذا الأمر مرتبط بالتجربة وبما يقوم فيها من ترابطات بين الأشياء بعضها طبيعيّ من قبيل علاقة الجزء بالكلّ (يد-جسم، عين-جسم...) أو الأثر بالآلة (العطايا- اليد، الثّبات - المطر...) وبعضها ثقافيّ مؤسّسيّ (زبون- بضاعة، مملوك - مالك، كتاب- كاتب...) وما إلى ذلك.

وإذ تندرج الوحدات من زاوية تصنيفية مقولية في مجموعات أو مفاهيم أكبر يمكن أن تكون الواحدة منها قادحا يحيل على وحدة هدف تنتمي إلى الإطار نفسه. فدلالة "يد" على "العامل" تقوم على رابطتين ثابتين في التجربة - حسب فوكونياي (1996، 4) - أولهما يتمثل في أن البشر والبشر فقط لهم أياد وثانيهما أن العمل البشري قائم على استعمال اليد. وهذا ما جعل 'يد' صالحة لتحليل على العامل. ويمكن أن ينضاف إلى هذا المثال كثير من العريية جميعها يدعم ما يذهب إليه فوكونياي ولكن بعضها يفتح الباب لإمكانية في الربط تكون للوحدة الواحدة بوحدات أخرى لا تنتمي إلى الإطار نفسه بالضرورة كما يظهر في ما يلي:

- (4) أ. له عليّ أياد كثيرة.
 ب. أسقط في يده.
 ج. اليد العاملة كثيرة في المدينة.
 د. تدوم السيارة إذا كانت على يد واحدة.
 هـ. اليد الواحدة لا تصفق.
 و. من أمسك بالإصبع أمسك اليد كلها.
 ز. كان فلان جالسا بين يديه.
 ح. دهن ثلاثه ايدين.¹
 ط. فلان يده خفيفة.²
 ي. هو بيده.³

تحليل "اليد" على وحدات تنتمي إلى أطر مختلفة منها إطار "النعم" في (4. أ) وإطار "الحيرة" حالا ذهنية في (4. ب) وإطار "العامل" في (4. ج) وإطار "قيادة العربات" في (4. د) وإطار "العائلة" في (4. و) وإطار "المجموعة" في (4. هـ) في تعاونها وإطار "الاتجاه" في (4. ز) بدلالاتها على الأمام وإطار "الطلاء" في (4. ح) مفردا أو متعددا وإطار "السرقعة" في (4. ط) وإطار "توكيد الهوية" في (4. ي) وإن أمكن عدم اعتباره في سياقنا هذا لاتصاله بعمل التوكيد.

1 عبارة تونسية للطلاء على ثلاث طبقات.

2 عبارة تونسية لوصف شخص بكونه سارقا.

3 عبارة تونسية لتوكيد الذات: هو عينه.

ولئن استقام مبدأ الرّبط وقيامه على أساس التّجربة فإنّ الهدف متعدّد وإن كان القادح واحدا. وفي ضوء هذا يمكن أن نتصوّر في تعدّد الأهداف وتعدّد الأفضية الذّهنيّة وتعدّد الأطر بالاستبّاع تعدّدا في مسالك الرّبط بين القادح والهدف. وتعدّد مسالك الرّبط أساسه تعدّد التّجربة الذي يمثّل تعدّدا للأطر التي يدخل القادح في تكوينها وبنائها. ويسهل تعدّد المسالك هذا بما بين الأطر العرفيّة من تقاطع وتداخل تكون بمقتضاه الوحدة الواحدة مشتركة بين أطر عديدة تمثّل نقطة من نقاط تقاطع أخرى تكون بفعل التّجربة وتمثيلها وفق أنماط مخصوصة. فالانتماء إلى الإطار شرط أساسيّ لتحقيق الرّبط بين فضاءين عرفيّين ولكنه غير كاف بمفرده إذ تنضاف إليه التّجربة في تنوعها الذي تتنوّع به مسالك الرّبط. ومثل هذه المعطيات داعم لما يقترحه فوكونياي (1996) من تناول لظاهرة المجاز المرسل باعتماد تحليل إطاريّ موسّع.¹

الأدوار والقائمون بها

تعرّف الأطر بكونها تمثّلات أو تصوّرات منظّمة لوجوه اشتغال الكون، وهذه الأطر تمكّننا من استعمال كلّ ما يتوفّر من معطيات وإجراءات في وجوه عديدة ممكنة تضمن التّفاهم على أساس واضح غير مكلف، حيث تحيل الوحدة الجارية على معناها وتفهم دون عناء ما كان الإطار الذي تدخل في تكوينه ماثلا في الذّهن.

ويتضمّن الإطار إضافة إلى الوحدات التي تشارك في تكوينه دور الوحدة منها مفردا كان أو متعدّدا، فلا يكون تحديد الأدوار إلّا في ضوء تأطير² للتّجربة الفيزيائيّة المادّيّة أو الثقافيّة الاجتماعيّة:

فالّدور مهما كان نوعه إنّما يوجد في ضوء تصوّرنا لبنية الإطار الذي تكون فيه الوحدة مشاركة، من ذلك أنّ دور الأبوة أو البنوة لا يتصوّر إلّا في إطار الأسرة، وكذا الرّئاسة والوزارة وما إليها في إطار مؤسّسة الدّولة. وبين الدّور والقيمة³ (أي القائم به) وجوه عديدة في الإسقاط:

1 Extended 'frame metonymy' analysis.

2 Framing.

3 Value (filler).

فالدور أحادي القيمة بالأساس ذلك أن الدور الواحد لا تؤدّيه إلا ذات مفردة، كأن يكون دور الأب في الأسرة لذات واحدة معلومة في إطار الأسرة، والمعرفة بهذا الدور قد تسهل الاهتداء إلى القائم به بحكم تلك الأحاديّة.

أما الذات الواحدة فيمكن أن تكون متعدّدة الأدوار، فالذات المعروفة في إطار الأسرة مثلا على أنّها الأب يمكن أن يكون لها أدوار أخرى في الإطار الواحد أو في أطر أخرى فقد يكون زوجا في إطار الأسرة النووية وابنا وأخا وعمّا وما إلى ذلك في إطار العائلة الموسّعة وصديقا أو عدواً في أطر أخرى، ومديرا أو سائق سيارة أجرة في إطار العمل. ولذلك ليس من المفروض أن نهندي بسهولة إلى الدور باعتماد معرفتنا بالذات.

ويعتبر فوكونيائي أنّ بنية الأطر والأدوار تمثّل واحدا من أحسن ما يمثّل الاهتداء العرفيّ الاختلافي¹. ومن أمثلة ذلك قولنا: "للمدير أنف أفطس" حيث تنسب الصفة إلى الشخص في ذاته لا إليه قائما بدور المدير، أو تسند إليه صفتان أو أكثر بناء على تعدّد الأدوار كما في قولنا:

زيد أب ممتاز وزوج مخلص ولكنّه مدير أعمال فاشل.

ومن خصائص الدور كونه مفهوما نسبيا أي يكون في بعض الأحيان دورا لقيمة في مستوى ما وهو قيمة لدور في مستوى آخر أرقى في نفس الإطار: فعبارة "الوزير الأوّل" - مثلا - يمكن أن تكون دورا لقيمة (القائم به) كما في: "زيد هو الوزير الأوّل" ويمكن أن تكون قيمة لدور أرقى في الحكومة كما في قولنا: "الوزير الأوّل هو رئيس الحكومة".

مبدأ الاهتداء

تعكس البنية اللغوية بكلّ دقة مظاهر العرفنة البشرية. وأحسن حجة عند فوكونيائي تتمثّل في قدرتنا على تسمية الأشياء باعتماد ترابطات عرفيّة متّصلة بالتّجربة البشريّة تمكّن السّامع من الاهتداء إلى المرجع المقصود، وذلك عوضا عن تسمية الأشياء في ذاتها. والنماذج الواردة في دراسة التّرابطات العرفيّة بين المجالات المختلفة تثبت ذلك كمّيّا ونوعيّاً.

يصوغ فوكونباي لمبدأ الاهتداء التعريف التالي:

يمكن لعبارة تسمّى أو تصف وحدة معلومة من مجال ما أن تجري للإحالة على وحدة أخرى من مجال آخر، تسمّى الوحدة الأولى قادحا وتسمّى الثانية هدفا وعملية الإحالة اهتداء.

والشرط في قيام عملية الاهتداء أن يكون المجال الثاني ممّا يمكن الاهتداء إليه عرفيًا من المجال الأول، وأن يكون الترابط بين القادح والهدف. يتحقّق الترابط في أداة أو قرينة ظاهرة.

الفضاء الذهني

الفضاء الذهني هو جملة المعلومات المنظّمة المتعلقة بالمعتقدات والأشياء. ويتكوّن من عناصر وليس من الضروري أن تكون لتلك العناصر مراجع (في المعنى السوسيري)، وقد يحدث أن يطابق فضاء ذهنيّ حالا من حال الأشياء في الكون (مطابقة كلية أو جزئية) فيكون التّطابق بين عنصر من عناصره وشيء في الواقع، ويكون التّطابق بين خصائص ذلك العنصر وخصائص الشيء الواقعيّة. ويمكن أن يمثل الفضاء الذهنيّ عالما متخيلا منبثقا بوجه من الوجوه فليس من الضروري أن يكون خاضعا للتّقييم العقليّ المنطقيّ فيعتبر مستقيما أو غير منطقيّ.

يكون بناء الأفضية الذهنية في جميع الأنشطة الرّمزية لعلّ أبرز ممثّل لها هو التّشاطر اللّغويّ. فالتّكلّم إنّما ينشأ ما لا نهاية له من الأفضية الذهنية في جميع الأقوال التي ينجزها من قبيل المحادثات والقصص والخرافات والشعر والرواية والمسرح ونشرات الأخبار ونشرات الأحوال الجوية ودروس الرياضيات وما إلى ذلك، وكذا الكاتب والرّسام في اللّوحات أو الصّور المتحرّكة أو الأشرطة المصوّرة وما إلى ذلك.

تنشأ الأفضية الذهنية نشوءا فوريا أثناء الكلام وتتعدّد وتتناسل، كلّ ذلك بوجه آن-قوليّ (فوريّ آني)¹. فالفضاء الذهنيّ بنية عرفيّة تُبنى فيها المجالات وتنظم وترابط بأنواع من الترابطات ما بين المجالات.

ففي قولنا مثلا:

يبدو زيد شابّا في هذه الصّورة.

ينبني فضاءان ذهنيّان أولهما واقعيّ هو شخص زيد في العالم الحقيقيّ أي كما يعرفه المتكلّم والسّامع على هيأته الواقعيّة وهي مستمدّة من التجربة والمقام، وثانيهما فضاء ذهنيّ هو الصّورة الّتي تعرض ملامح الشّخص زيد، ففي كلّ واحد من الفضاءين يوجد "زيد" وهما نظيران¹. ويتربط الفضاءان عرفنيّا على أساس التّطابق ما دام المعروض في الصّورة شبيها بالمعلوم في الواقع وإن كان ذلك مجرد اهتمام إذ لا سبيل إلى أن يكون زيد الحقيقيّ لحما ودما هو زيد في الصّورة بألوانها وظلالها.

بناة الأفضية

تمثّل بناة الأفضية² آليّات يستعملها المتكلّم ليجرّ سامعه إلى تأسيس فضاء ذهنيّ جديد. وهي العبارات المتحقّقة في الخطاب (مركّبات أو وحدات نحويّة) تؤسّس فضاء ابنا لفضاء أساس يتربطان بوجه ما. ولا تحمل بناة الأفضية في ذاتها معلومات عن الفضاء الجديد، وتتكوّن من الأسماء والصفّات وكلّ ما يعبر عن الزّمان والمكان وغيرهما من الأطر الافتراضيّة، وفي ما يلي نماذج من ذلك:

(5) عام 1959، كان هذا الكهل ذو الشّعر الأبيض شابّا يافعا.

تبني العبارة (عام 1959) فضاء ذهنيّا يختلف عن الفضاء الأساس أي عالم الواقع الموافق للزّمن الحاضر (الآن)، وفيه (شاب يافع) نظيرا للكهل بشعره الأبيض. فالترابط كائن بتطابق هيأتين للشّخص الواحد.

(6) في الصّورة تبدو خولة أجمل.

الفضاء الأساس هو عالم الواقع (ملاحح خولة كما هي معروفة الآن) وعليه تبني عبارة "في الصّورة" فضاء ابنا هو عالم الرّسم المعروض في اللّوحة أو العمل الفوتوغرافيّ بما فيه من ملاحح مدركة الآن، ويتربط الفضاءان تداوليّاً بتطابق خولة في الواقع بنظيرها في الصّورة بتوسّط مبدأ الاهتمام.

(7) باب البحر، في تونس، بعيد عن البحر.

تبني عبارة "في تونس" فضاء ذهنيّا قد يختلف عن الفضاء الأساس وهو المكان الحاضر (هنا) فقد يكون تونس نفسها أو مدينة أخرى في الجمهوريّة التّونسيّة وقد

Counterpart(s). 1

Space builder(s) 2

يكون بلدا آخر في الخارج، وتعيّن "باب البحر" الموقع المعروف ومن خصائصه في هذا الفضاء بعده عن البحر. ولكنّ باب البحر في تونس قد يكون نظيرا لباب آخر في مدينة أخرى - مثلا- من خصائصه ما به يكون الاهتداء إليه نظيرا من قبيل الكينونة قبالة البحر والانباء على مخطط الباب حجما وشكلا ولكنّ الفارق يكمن في المسافة ما بين البحر وموقع الباب فهو في الفضاء الأساس قريب من البحر ولكنه في الفضاء الابن بعيد عنه.

ويمكن أن تتعدّد بناء الأفضية فيكون المكان والزمان بانيين للفضاء كما في (8):

(8) في تونس، اليوم، باب البحر بعيد عن البحر.

حيث تشترك كلّ من "في تونس" و"اليوم" في بناء فضاء ذهنيّ جديد من جهتي المكان والزمان، وفيه ما في السابق من الترابطات الممكنة بين الأفضية والتطائّر. ولكنّ "اليوم" تضيف بعدا آخر ليس في ما سبق يتمثّل في استدعاء فضاء ذهنيّ مقتضى قوامه موقع في القدم (منذ قرون) كان الباب المعنيّ فيه أي نظير الباب الحاليّ قريبا من البحر، جميع ذلك بما يصاحبه من افتراض التّطابق بين البابين (الباب الحاليّ والباب كما كان منذ قرون) واعتبارهما شيئا واحدا كما ينصّ على ذلك مبدأ التّطابق الذي يقود عمليّة الاهتداء.

ومن بناء الأفضية ما يدلّ من العبارات على الظنّ والتّرجي والتّمنيّ والشرط وغيرها من أدوات الاعتقاد. وجميعها يبني أفضية افتراضية أساسها الممكن:

(9) يظنّ زيد أنّ باب البحر في تونس يفتح على البحر.

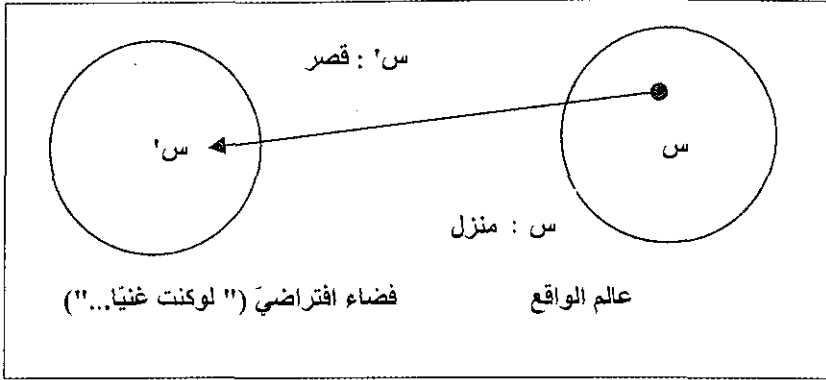
تبني "يظنّ" فضاء ذهنيّا سليلا لفضاء أساس "واقعيّ" قد يتنوّع: فهو واقع الأشياء في تونس أو في غيرها ممّا يكون فيه زيد. ففضاء الظنّ فضاء افتراضيّ يتوفّر فيه نظير لباب البحر يشاركه جميع خصائصه ما عدا موقعه بعيدا في الواقع خلافا لقربه في العالم المتصورّ.

كما تتوفر أدوات تبني بها أفضية ممكنة في المطلق أو النسبيّ من قبيل كلّ ما يعبر عن الإمكان كالتمنيّ والتّوقّع والالتماس وما إليها وعن الشرط وما يحايته من الظّرف. ففي حال الشرط تبني (إن ق ف) و(لو ق ف) فضاء ذهنيّا جديدا يقوم فيه كلّ من ق وف. وتمثّل 'إن ق' و'لو ق' بانيي الفضاء، من ذلك (10):

(10) أ. لو كنت غنيا لاشرت سيارا.

ب. لو كنت غنيا لكان منزلي قصرا.

في (10. أ) يوجد المتكلم في عالم الواقع ومن خصائصه الفقر - اقتضاء - ولا وجود لسيارة، وفي الفضاء الافتراضي يتوفر نظير للمتكلم يقود عملية الاهتداء وبه تفتقر صفة الغنى وتحضر السيارة. أمّا في (10. ب) فيتضمن عالم الواقع منزلاً (عاديّاً أو متواضعاً) وله نظير في الفضاء الذهني الافتراضي هو القصر، كما يبيّنه الرّسم التّالي، حيث يشير السّهم إلى الاهتداء على أساس التّطابق:



ومن بناء الأفضية ما يسمّيه فوكونياي (1994، 88) بناء الأفضية الثنائية¹، وهي أدوات تبني فضاءين بناء واحداً من قبيل "إمّا... وإمّا.." و"إمّا... أو..." وما إلى ذلك كما في (11):

(11) أ. تأخّر زيد عن الموعد، فهو إمّا مريض أو سيّارته معطّبة.
ب. تأخّر زيد عن الموعد، لا أدري أهو مريض أم سيّارته معطّبة.
ففي عالم الواقع فضاء مضمونه تأخّر زيد عن الموعد، وهو الفضاء الأساس ومنه ينشأ فضاء أوّل تنشئه الأداة الأولى وفضاء آخر تنشئه الأداة الثانية ويستقيم الحكم الوارد فيهما واحداً واحداً.

ويمثّل بناء الأفضية بناء للأطر كذلك فالإطار يمثّل نوعاً من الخطاطة الجردّة التي تقود عمليّة الإسقاط ما بين الأفضية، ولذلك تكون العناصر الفاعلة في تصوّر المجال الجديد وتمثّله موروثاً من مجال أو مجالات سابقة أو مستمدّة من عالم التجربة والخلفيّة المعرفيّة. وتبعاً لذلك تنشأ في المجال الجديد نظائر لجميع العناصر التي كانت في المجالات السّابقة.

الرّوابط بين الأفضية

وظيفة الرّوابط¹ الوصل ما بين المجالات والأفضية. وتضمن الرّوابط استمرار الإحالة على غمط واحد مستقيم خلال الخطاب وتضمن خاصّة توزّع المعلومات بشكل يحقّق الفهم وذلك بأن يقترن كلّ عنصر بكلّ ما له من نظائر في المجالات المختلفة بما له من الخصائص والأطر.

وتتجلّى ديناميّة بناء الفضاء الذّهنيّ وديناميّة الرّبط بين الأفضية في درج الكلام أي أنّ الواحد ممّا يتكلّم ويفكّر في آن، وباسترساله في الخطاب تبني الأفضية الذّهنيّة وتنظم وترابط في ضوء القيود التّحويّة والسّياقيّة المقاميّة والثّقافيّة. فيكون الحاصل أن تنشأ شبكة من الأفضية نحول في ما بينها بتقدّمنا في الخطاب.

وتتعدّد وجوه الانتقال من فضاء إلى آخر. يكون ذلك بأن يحفظ أطراف الخطاب أثر كلّ فضاء من الأفضية المتعدّدة بترابطاته المتشعّبة ويتوفّر في التّحو ما به يكون ذلك من قبيل الزّمان والجهات وبناء الأفضية والمضمّرات وأسماء الإشارة وغير ذلك من العوامل العرفيّة.

وإذ تتكاثر الأفضية بأن يتولّد كلّ فضاء من فضاء آخر يفرّحه، يطلق فوكونيائي على الوالد- مجازاً- "الفضاء الأب"² وعلى الفضاء المولود "الفضاء الابن"³ مجازاً. فالفضاء الأب يمثّل الفضاء الأوّل أو الفضاء الأساس، يفرّخ تفريخاً أحاديّاً أو متعدّداً كما هو الشّأن في الطّبيعة فيكون الحاصل شبكة من الأفضية ذات شكل متعرّش. فإذا ما انطلقنا من فضاء أساس وتولّد منه فضاء أو أكثر في مستوى أوّل أمكن للواحد منهما أن يولّد بدوره فضاء أو أفضية من مستوى ثان (جيل ثان) وهكذا دواليك وأمكنا الجولان نزولاً من الأفضية العليا إلى السّفلى وصعوداً من هذه إلى تلك. تمثّل ذلك في (12) حيث حرف ف مختصر لفضاء:

Connector (s)	1
'parent'	2
'child'	3



فإذا أخذنا خطابا ما وأخذنا منه نقطة ما وجدنا فضاء واحدا - على الأقل - أو أفضية عديدة قد قامت وتراپطت عندها، وعند تلك النقطة بالتحديد، يمكن أن يجري إفراد فضاء ذهني من جملة تلك الأفضية فيجعل منظورا¹ أي يجعل ذاك الفضاء منطلقا، منه يمكن الاهتداء إلى سائر الأفضية أو منه تُبنى أفضية جديدة. كما يمكن في أي نقطة من الخطاب أن يتخذ واحد مخصوص من الأفضية (وليس من الضروري أن يكون الفضاء المنظور² وإن كان ذلك ممكنا) موطنا للبؤرة³ أو محلّ التّبرير والعناية. وهذا الفضاء البؤرة هو ما ينضاف إلى بنيته شيء أو عنصر أو خصيصة أو ما يُهتدى إليه انطلاقا من الفضاء المنظور.

ويقوم التّنقل في شبكة الأفضية الذهنية على الانطلاق من فضاء أساس يوفّر المنظور المنطلق ثم تحدث الحركة بنقل⁴ المنظور والبؤرة من فضاء إلى آخر بالتوسّل بما يناسب من الروابط بين الأفضية. وتراپط الأفضية بأن يُهتدى إلى الواحد منها انطلاقا من الآخر بتوفّر العنصر الواحد في الواحد منها وتوفّر نظير له في الآخر. وبحدوث نقلة الانتباه من الفضاء الواحد إلى الآخر تتعدّد الأفضية الأساس فتتّناهى الأفضية في الخطاب فتقطع سبيل الاهتداء بينها.

الأفضية الذهنية: خبر جحا والحمال نموذجا

لعله من المفيد أن نطلق من (13) سبيلا إلى توضيح ما ورد من أفكار ومبادئ:

(13)

اشترى جحا يوما دقيقا وحمله على حمال فهرب بالدقيق فلمّا كان بعد أيام رآه جحا فاستتر منه فقبل له: "ما لك فعلت كذا؟" فقال: "أخاف أن يطلب منّي كراه". (ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين ص 46).

يتمثّل الفضاء الأساس في عمل الشّراء (يوم، جحا، دقيق، وأمور أخرى تعرف من التجربة كالبائع والكيل والدفع إلخ)، والشّراء إطار كامل بما يقوم عليه من الأسس والأطراف المعلومة وكذلك شخص جحا إطار كامل بما يصاحبه من الخصائص التي نسجتّها الثقافة العربيّة عنه.

Viewpoint. 1

The viewpoint space. 2

Focus. 3

Shift (ing). 4

بُني هذا الفضاء الأساس بمحدّد الزّمان 'يوما'. ومن هذا الفضاء ينشأ فضاء ابن هو حمل الدقيق (الحمال، جحا، دقيق، وأمور أخرى كالاتفاق في الأجر والمسيرة أو المتابعة وما إلى ذلك)، ينشأ هذا الفضاء بعنصر جديد (الحمال وما يصاحبه من إطار مفهوميّ كامل) ويرث هذا الفضاء الابن من الفضاء الأساس عددا من العناصر هي نظائر لما في ذلك الفضاء الأساس يجري التعبير عن الواحد منها بالضمير العائد على جحا والضمير العائد على الدقيق وتضاف إليها عناصر أخرى. وهذا الفضاء بدوره يُبنى منه فضاء جديد (هرب الحمال بالدقيق).

ترابط الأفضية الثلاثة بما توفّر في الواحد منها من نظائر لكلّ عنصر من العناصر المشتركة بينها، وهذا ما به يكون الاهتداء من الواحد منها -القادح- إلى الآخر-الهدف- عنصرا بعنصر فيكون انسجامها.

فالعنصر 'جحا' ورد ظاهرا في الفضاء الأساس ثمّ ضميرا في الفضاء الثاني ولكنّ العنصر 'دقيق' ورد ظاهرا في الفضاء الأساس وضميرا في الثاني 'حملة' وظاهرا معرّفا في الثالث 'الدقيق'، وهذا الإظهار مردّه إلى ضمان الترابط بين الأفضية لتباعد المسافة بين الفضاءين الأوّل والثالث. وتصاحب هذا الترابط حركة الانتباه من حيث نقلة التّعبير بنشوء الأفضية، فمن 'جحا يشتري دقيقا' تنتقل العناية إلى 'دقيق يحمله حمال' ثمّ إلى 'حمال يهرب بالدقيق'.

يبنى الفضاء الرابع (رؤية، جحا، الحمال) بـ 'بعد أيام' بتحديد موقع زمانيّ يتلو ما سبق من الأفضية وله من العناصر نفسها ما يشار إليه بالاسم الظاهر 'جحا' لتباعد ما بين الفضاء الأساس وهذا الفضاء الرابع وما يشار إليه بالضمير عائدا على الحمال لقرب المسافة الذهنيّة ما بين هذا الفضاء وسابقه مباشرة. وينشأ فضاء خامس (استتار، جحا) سليلا للرابع. ويتربط الفضاءان الرابع والخامس بالفضاء الثالث عن طريق رابط عرفيّ هو التّطابق ما بين 'الحمال' وقد هرب بالدقيق و'الحمال' وقد رآه جحا واهتدى إلى أنّه هو هو. بملاحمه وليس حمالا آخر رغم تباعد الزّمن بأيّام، ويتجلّى هذا الرّابط لغويّا في شكل الضمير العائد على الغائب المفرد المذكّر.

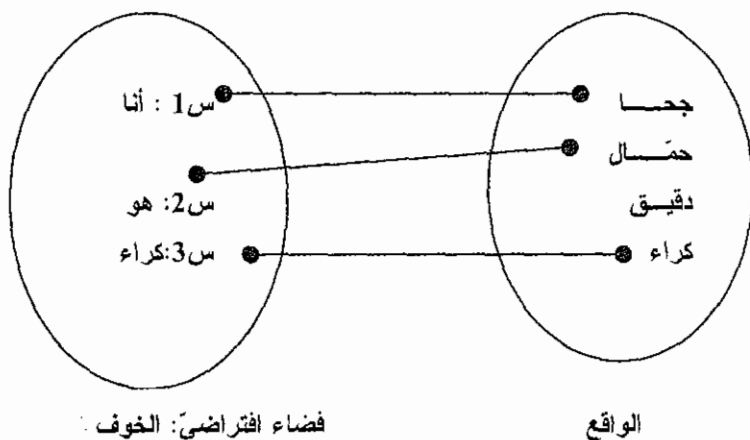
ويتنقل الانتباه من الحمال هاربا بالدقيق في الفضاء الثالث وقد خفتت صورته وخبث 'بعد أيام' إلى حدث الرّؤية والتّعرف عليه وما يصاحب ذلك من عمليّات عرفيّة أساسها التّطابق ما بين صورة الحمال ماثلة في الواقع وأثر له في صورة

كانت له في وقت سابق خزنتها الذاكرة، ثم ينتقل محلّ البؤرة إلى حدث 'الاستتار' سريعا ولهذا الحدث مظهر عرفنيّ سلوكيّ ومظهر لغويّ عبّرت عنه أداة الرّبط 'ف' بما تدلّ عليه من قصر المهلة.

ويبين الفضاء السّادس بأداة الاستفهام مفتاحا إلى فضاء افتراضيّ يطلب به علم بخبر، وإذ ورد هذا الفضاء في فضاء محاورة يبيّنه فعل القول، يستصحب إطارين هما مقام المحاورة (قائل، سامع، قول، موضوع) وإطار الفضاء الخامس (الاستتار)، ولكنّ إطار القول شفاف فلا يمثّل موطن انتباه أو تبئير فينصبّ التّبئير على مضمون السّؤال أي سبب الاستتار. فالفضاء السّادس سليل للفضاء الخامس من حيث التّوالد المنطقيّ إذ كان سؤالا عن سبب الاستتار الّذي كان في ذلك الفضاء الأب، أمّا تداوليّا فالصلة بعيدة جدّا إذ يمكن لفضاء القول أن يجري في زمن آخر ومكان آخر بعيدا عن السّوق وعن الحمال وغير ذلك.

وأما الفضاء السّابع فافتراضيّ صرف إذ كان جوابا عن سؤال، يبنّي بفعل الخوف الّذي مضمونه طلب الكراء، فهو يحيل على حال ذهنيّة عند جحا بها يبرّر سلوك الاستتار بنوع من الحجاج خاصّ به. والافتراض في فضاء الخوف قائم على الواقع الّذي توفّرت عناصره في جملة الأفضية السّابقة: فالواقع (حال الأشياء في الكون) يتضمّن جحا والحمال والدّقيق صراحة ويتضمّن الكراء استصحابا وفق مبدأ الأطر العرفيّة، ولجميع هذه العناصر نظائر في فضاء الخوف الافتراضيّ، تمثّل ذلك في (14):

(14)

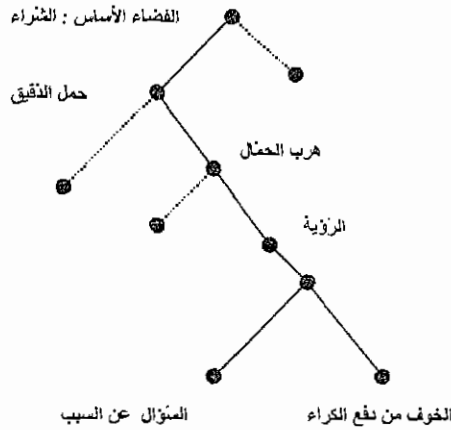


ولا يكمن الأثر الهزليّ في عناصر الأفضية الذهنية (الأحداث، الأشياء، الأشخاص، الأزمنة، إلخ) ولا في بنية الخطاب ذاتها وإنما يكمن في ما بين الخلفية المعرفية بما تقتضيه من سير الكراء العاديّ يؤدّي الحمال عمله بأن يحمل المحمول إلى حيث يريد صاحبه ويأخذ أجرا مقابل ذلك، قيمته في العرف دون قيمة المحمول، وهذا يقتضي معرفة بسيطة بقواعد الحساب لتبين الفارق في القيمة مطلقا أو بين قيمة الحمل عملا وقيمة المحمول بضاعة، من جهة، و'منطق جحا' من جهة أخرى، من عدم التناسب.

فقد حدث خلاف ما تقتضيه الخلفية المعرفية إذ حمل الحمال الدقيق لنفسه وقيمة المحمول تفوق بكثير قيمة الأجر، وبعبارة أخرى لا يتوفّر التناسب بين الخطاطة العامة (حمال-مؤجر، حمل-دفع الأجر، بضاعة-تسليم البضاعة للمؤجر، قيمة الأجر > قيمة البضاعة) وخطاطة جحا (حمال-جحا، حمل-Ø أجر، دقيق-Ø تسليم الدقيق، قيمة الأجر = قيمة البضاعة). فجحا خاسر في العملية ويعتقد أنّه مطالب بدفع الأجر وقد فقد دقيقه، وعليه أن يعمد إلى الحيلة بالاستتار لتجنّب دفع الأجر وكأنّه لا يعلم أنّه خاسر منذ أصل العملية.

ويمكن أن نعرض تعريشة الأفضية الذهنية المكوّنة للنصّ (13) في التمثيل (15) سندا لاستكمال عدد من المبادئ في نظرية الأفضية الذهنية يتوضّح اشتغالها باعتماد حامل بصريّ يعين على تمّثلها:

تمثّل كلّ عقدة في (15) فضاء ذهنيا يمكن الإشارة إليه بأرقام عددية أو بحروف أو بأسماء مختصرة كما فعلنا، وهي تختزل كلّ المعلومات التي يتضمّنها الفضاء ما كان منها حاضرا حضورا فوريا في الخطاب وما كان منها من مستلزمات الأطر العرفية التي لا تظهر فوريا في الخطاب ولكنها فاعلة فيه تصوّرا واشتغالا، ففضاء 'الشراء' مثلا يختزل جملة المعلومات الفورية في النصّ (13) وهي 'جحا' و'دقيق' وعمل 'الشراء' وجميعها منتم إلى إطار هو بنية عرفية مؤمثلة تعمّ ما لا نهاية له من الوضعيات المتماثلة في المطلق على أساس مكان فيه أشخاص بعضهم يعرض بضاعة يبيعها وبعضهم يطلب بضاعة يشتريها والبيع والشراء تبادل بالنقد أو ما يقوم مقامه وكذلك فضاء 'حمل الدقيق' وما إليه من سائر الأفضية في النصّ.



وتمثل العقدة من التعريشة حالا من أحوال الخطاب في زمن ما مطلق من حيث تكاثر الأفضية ومن حيث مركز الانتباه والبؤرة فما كان أعلى موقعا في التعريشة كان أسبق في التصوّر وما كان دونه كان تاليا وتكون نقلة الانتباه على ذلك التدرّج. فالعقدة المسماة 'هرب الحمّال' مثلا تمثل طورا من أطوار انبناء الخطاب تلي ما قبلها مباشرة وعندها ينصبّ الانتباه على عمليّة الهروب بالدقيق بعد أن كانت على عمليّة الحمل، وعندها يضاف الجديد فيكون الفضاء الذهني المعنيّ قد قام وهذه العقدة بدورها محطة ينتقل منها الانتباه إلى ما بعدها بانضياف الجديد في ما يليها من الأفضية على درجات.

والتعريشة تمثيل لتناسل الأفضية وترباطها، فيكون للواحد أفضية أبناء متعدّدة نظريّا وهو ما نشير إليه بالفروع المتقطّعة خطوطها في (15)، ولكنّ واحدا منها فقط يتحقّق في التعريشة، ففضاء 'حمل الدقيق' مثلا يمكن أن يتولّد منه فضاء آخر قد يكون خصاما بين جحا والحمّال وقد أوصل الدقيق، في الأجر مثلا، تماما كما يتولّد فضاء 'الهرب'.

ولكنّ فضاء 'الاستتار' ولّد فضائين أخوين 'السؤال' و'الخوف'، وبين الفضائين 'الاستتار' و'السؤال عن السبب' ترابط لتوفّر نظير في كلّ منهما لما في الآخر، فيكون الاهتمام من الثاني إلى الأوّل وهما مجالان مختلفان بتطابق ما بين العناصر فيهما بتوسّط الضمير واسم الإشارة:

ففي الجملة التي تتضمّن فضاء الاستتار "استتر منه" يتوفّر الفعل الدالّ على الحدث وهي هيئة التخفيّ التي كانت لجحا في ذلك المقام بما يصاحبها من إطار

عرفنيّ كامل يكون به تخفيّ جحا تحقّقا أو نموذجاً من التّخفيّ مطلقاً، ويتوفّر الشّخص المستتر في شكل ضمير الفاعل المستتر (مفرد مذكّر غائب) يطابق جحا وهي سمات موروثه في هذا الفضاء من الأفضية السّابقة بما يرتبط هذا الفضاء بتلك الأفضية، ويتوفّر شخص الحمّال في ضمير المفعول وظيفه والجرور موقعا بعد حرف الجرّ 'منه'. ولهذه العناصر نظائر في الفضاء السّؤال منها ضمير الخطاب واردا في مستويين أوّلهما باني الفضاء 'ما لك' وثانيهما في نواة الفضاء مقترنا بالفعل 'فعلت'، ولحدث الاستتار نفسه نظير كان في شكل كناية في معناها الواسع متحقّقة في لفظ الفعل وفي اسم الإشارة 'فعلت كذا' وهي مكافئة لما ورد في الفضاء السّابق 'استتر منه'. فنظير الحمّال غائب في مستوى أوّل ولكنه حاضر من حيث تضمّنته 'فعلت كذا'.

أمّا فضاء الخوف وهو أخ لفضاء السّؤال فمتضمّن لنظائر العناصر في الفضاءين. فبنيويّاً يمثّل هذا الفضاء جواباً عن سؤال - قد يكون جرى في محاورة في مقام آخر كما أشرنا إلى ذلك- فمن المفروض اعتباره سلباً لفضاء السّؤال وتكون التّعريشة أحاديّة الاتّجاه أي دون أن يتفرّع فضاء الاستتار إلى الفضاءين الأخوين، ولكنّ فضاء الخوف يعود رأساً إلى فضاء الاستتار من حيث حمل عبارة عن سلوك أثارته رؤية الحمّال وعن حال ذهنيّة كانت لجحا عند ذلك ومن قرائن ذلك زمن الفعل الحاضر 'أخاف' وهو حضور مزامن لفعل الرؤية والاستتار.

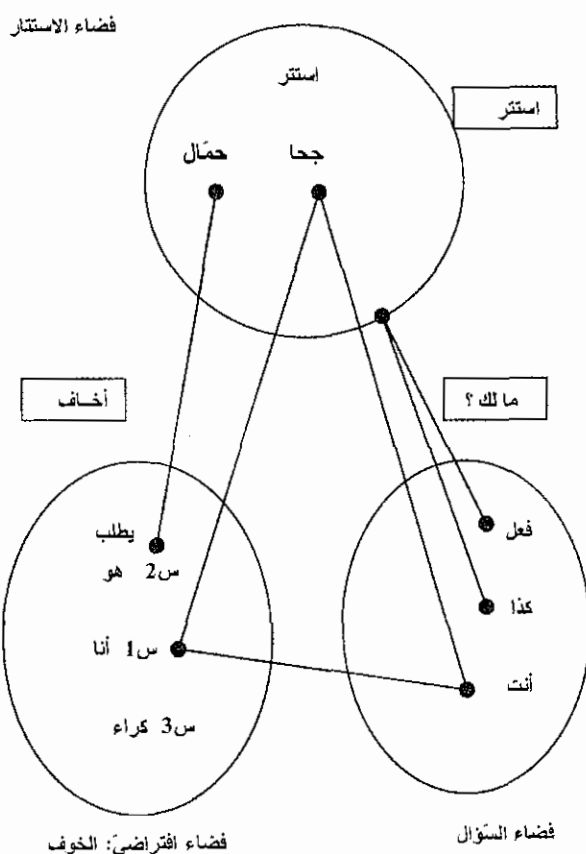
والمهمّ أن مفتاح الاهتداء حاصل بتوفّر القادح وهدفه متطابقين: (يطلب هو=الحمّال)، (مّني=أنا جحا). ونلاحظ أن فضاء الخوف يتضمّن عنصراً ما كان له من أثر في الأفضية السّابقة هو 'الكراء'، وهو يمثّل في الظّاهر جديداً ينضاف إلى مضمون الخوف الافتراضيّ. ولكنه في الواقع نظير لعنصر لم يظهر بلفظه في الأفضية السّابقة إذ كان من مستلزمات الإطار إطار الحمالة الذي يستصحب كما سبق بيانه الأجر أو الكراء من جملة ما يستصحب. ولعلّ تولّد فضاءين أخوين تولّداً واحداً من الفضاء الواحد ممّا لم نصادفه في ما اطلّعنا عليه من أعمال فوكونيائي، ولكن نشير إليه وقد قادتنا المعطيات إلى تسطيره. وفي (16) تمثيل لذلك.

تمثّل الدوائر في (16) الأفضية الثلاثة بعناصرها وما ورد في صندوق يشير إلى بناء الأفضية والخطوط إلى ترابط العناصر ما بين الأفضية على أساس التّطابق بينها وفق مبدأ الاهتداء. ونلاحظ أن في فضاء السّؤال عنصرين في شكل كنايتين ('فعل' من حيث دلالته على كلّ حركة أو حدث أو سلوك، و'كذا' إشارة إلى كلّ ما

يمكن الإشارة إليه) ولذلك نجد ذينك العنصرين يطابقان فضاء كاملا وإذا طبقا الفضاء كاملا فقد طبقا عناصره التي يتضمنها أي 'استتر' و'جحا' و'حمال'. ولئن لم يرد في ما أطلعنا عليه من أعمال فوكونيائي ما يشير إلى قيام التطابق بين عنصر أو أكثر من فضاء ما وفضاء ذهني كامل فإننا نعتقد في ضوء ما قادنا إليه تحليل النص (13) نموذجاً على اشتغال الأفضية أن منواله يسمح بذلك من مدخلين متصلين بطبيعة الإحالة بالمضمرات وبالكنائيات:

الأول منهما أن يحيل الضمير على عنصر من الفضاء وأن تحيل الكناية على عنصر من فضاء أو فضاء كامل. والثاني منهما متصل بالتشارك الإحالي¹ ما بين كنايتين (هما في النص فعل وكذا) على مفسر واحد هو في النص (13) فضاء الاستتار كاملاً في درجة أولى وعلى عناصره في درجة ثانية.

(16)



ويمكن أن نتابع مسالك الترابطات صعوداً من آخر سليل من الأفضية حتّى الفضاء الأساس ونزولاً من هذا إلى ذاك، وهو أمر لا يسعنا التمثيل له في هذا العرض المحدود، فتعريشة الأفضية شبكة في توالد الأفضية تترايط بمسالك ذهنيّة عرفيّة بها يتبلور الخطاب وينمو على محطّات تتولّد الواحدة منها من سابقتها وتولّد لاحقتها. ويكون الاهتداء ما بين الأفضية المتقاربة والمتباعدة بتوفّر النظائر في جميعها توفراً يقوم على أساس التّطابق.

ومما يمكن توسيع البحث به من المعطيات مدخل رواية السّدّ نموذجاً للمسرحيّة مكتوبة أو منجزة على مسرح، حيث يفرد المؤلّف صفحة عنوانها 'الأشخاص' تعرض فيها شخصيّات المسرحيّة في شكل قائمة من الأسماء أمام البعض منها صفات وخصائص ولا شيء أمام البعض الآخر:

(17) الأشخاص

ميمونة: امرأة

غيلان: رجل، كائن زائف

مياري: خيال وطيف وحبّ وجمال

بغل ذكيّ

ذئب ذو عواء

أطياف وهواتف

وواد وجبل. (المسعودي: السّدّ ص 13).

يمثّل كلّ واحد من الأسطر فضاء ذهنيّاً ينشأ بمجرّد قراءة الاسم والفارق بين فضاء وآخر توفّر خصائص للعنصر أو العناصر الواردة فيه، فتختلف الأفضية تخصّيصاً وتعميماً. فأكثرها تخصّيصاً فضاء مياري، وأفقرها ميمونة. فميمونة عنصر في فضاء ذهنيّ كلّ ما لها كونها امرأة، وغيلان رجل مخصّص بالزّيف كيانا أمّا مياري فلها الخيال والطّيف والحبّ والجمال، بل إنّ البغل مخصّص بالذكاء والذّئب بالعواء، يمكن أن نواصل هذا إلى أن تستكمل سائر الأفضية المبنية في بداية المسرحيّة. وجميع هذه الأفضية أفضية أساس آباء سيتولّد منها مفردة أو مجتمعة على درجات أفضية سليمة لها في المسرحيّة. وفي كلّ فضاء منها إطار يستصعبه وهذا الإطار سيكون الرّكيزة التي يقوم عليها الرّمز في كامل الرواية وهو يبنى شيئاً فشيئاً إلى منتهاها.

خاتمة

لعلّ خلاصة في الفرضيات والمبادئ العاملة في نظرية الأفضية الذهنية تمثل خاتمة مفيدة:

1- تشتغل في انبناء الأفضية الخلفية المعرفية في شكل أطر ومناويل عرفية مؤهلة ومناويل ثقافية وما إلى ذلك.

2- تنبني الأفضية الذهنية بالتأطير المحلي والمعلومات التداولية من قبيل قراءة رواية أو قصة أو مشاهدة مسرحية أو في مقام حجاجي، أو في نقل الحكاية أو سرد لأحداث، أو بمكان الوجود والأشخاص الحاضرين وما يتوقّر في المقام عموماً.

3- ينطلق بناء الخطاب من فضاء أساس (الفضاء الأصل، الفضاء الحالي في الخطاب) منه ينطلق التعرّيش في الأفضية الذهنية ويتوسّع.

4- تستعمل الأفضية لإقامة أبنية عرفية ومعلومات تتعلق بأنواع مختلفة من الأشياء: فترات زمنية، زوايا نظر، وضعيات مفترضة أو متخيّلة، معتقدات، صور، رسوم، كمّيات وأحجام وأعداد، مواضع جغرافية، وأبنية ثقافية، وما إلى ذلك.

5- يوجد دائماً في نقطة ما من نقاط انبناء الخطاب وتبلوره فضاء ذهنيّ وحيد في موطن البؤرة، ولتحويل البؤرة تشتغل الأدوات اللغوية والأدوات التداولية.

6- ترابط الأفضية بطريقتين كبيرتين:

(أ) - **علاقة الترتيب** بها تترتب الأفضية في التعريشة حيث ينشأ الفضاء الواحد من فضاء آخر (الفضاء الأب) ولا يفرّخ الفضاء فضاء جديداً إلاّ عندما يكون في موطن التّبرير.

(ب) - **علاقة الترابط**: تكون بواسطة الروابط التي بها ترابط العناصر عبر الأفضية وفق مبدأ الاهتداء.

7- تتطابق الأفضية المترابطة في عدد من الخصائص والعناصر والأبنية تنتقل عبر الأفضية بطرق عديدة منها:

(أ) - **التشريح**: يمثّل التشريح¹ آلية تتحوّل بها خصيصة أو مقتضى (افتراض ما قبلي) أو أكثر من فضاء ذهنيّ إلى آخر، وهو نوعان حسب الاتجاه الذي

يحدّده موقع الفضاء في التعريشة: نشر صاعد أو تصاعديّ يسمّيه فوكونياي الطّفاوة¹ ونشر نازل أو تنازليّ يسمّيه نقلا². ويرى فوكونياي أنّ التّشر بوجهيه المذكورين يمثّل واحدة من أقوى الآليات اللّغويّة التي تنتقل بها أجزاء كبيرة من البنية عبر الأفضية بطريقة ضمنيّة دون تصريح في العبارة.

(ب) - الطّفاوة: يحدث هذا التّوع من التّشر عبر تعريشة الأفضية صعودا حيث تترقى الخصيصة أو المقتضى من فضاء ذي موقع داخليّ في التعريشة إلى موقع أعلى فيها إلى أن يصادف ما يوافقه أو ما يعارضه. ففي قولنا: "تعتقد ليلي أنّ ابن قيس أعرج" يطفو المقتضى "لّيس ابن" في اتّجاه الفضاء الأساس حيث يصادف ما يثبتّه، ولكن في قولنا: "لو كان قيس أبا لكان ابنه أعرج" لا شيء يقتضي (مسبقا أو استنتاجا) أن يكون قيس أبا وأن يكون له ابن. وفي قولنا "لّيس ابن وتعتقد ليلي أنّ ابن قيس أعرج" تقتضي استنتاجا مضمونه أنّ لّيس ابنا.

(ج) التّقل القائم على الانتقاء: حدث التّحويل حدوثا تنازليّا من الفضاء الأب إلى الفضاء الابن تبعا لموقع هذا الأخير في تعريشة الأفضية وهو ما عوجه يرث الفضاء الابن البعض من خصائص الفضاء الأب: مثال "تمنّيت لو كان زوج زينب مهذّبا" يحوّل إلى الفضاء الابن (وهو فضاء التّمني هنا) عددا من الخصائص الثّابتة في الفضاء الأب التي يتّصف بها الزوج بصرف التّظر عن خصيصة التّهذيب من قبيل المظهر وكونه زوجا لزينب وإن كان التّمني لا يشملها.

(د) الاهداء: قوامه إنشاء نظير لكلّ عنصر من عناصر الفضاء الأب في الفضاء الابن باعتماد مبدأ التّطابق. كما هو الحال في المثال "تمنّيت لو كان زوج زينب مهذّبا" حيث يكون في فضاء التّمني نظير لكلّ من زينب وزوجها.

(هـ) الإسقاط: يجري إسقاط الإطار برمّته أو الأطر بما فيها إثر إنشاء الفضاء الابن في حال الافتراض وهو أمر يجري في الاستعارة خاصّة.

Upward floating. 1

Transfer. 2

(و) شروط التوافق: تشغل شروط التوافق¹ خاصة في الأفضية الافتراضية حتى يتسنى تحويل بنية إضافية على أساس توافق جزئي بين الفضاء الأب والفضاء الابن. ففي قولنا مثلاً "لو أحببت ليلي قيساً لكان سعيداً" ينشأ فضاء ذهني افتراضي على أساس شرط التوافق مع الفضاء الأساس في وجود الحب بين ليلي وقيس <حب (ليلي، قيس)>. وتوفر هذا الشرط في ذاته يمثل فضاء ذهنيًا يمكن من تحويل البنية المتبقية وهي سعادة قيس <سعيد (قيس)>.

ولنظرية الأفضية الذهنية مجالات عديدة تتنوع فيها أشكال التعبير ولكن جميعها قائم على آليات عرفية واحدة في جوهرها، فيمكن تناول الكثير من الفنون والأنشطة البشرية العادية في إطارها، من ذلك أن فوكونياي يفسر توهم الحركة في وميض مصباحين أو عدد من المصابيح بالتناوب على أساس وجود فضاءين ذهنيين واحد في الواقع (الفضاء الواقعي) والآخر في ما يُرى (فضاء الإبصار): يوجد في فضاء الإبصار ضوء متحرك مستمر وفي فضاء الواقع مصباحان أو مصابيح تومض بالتناوب، وتوجد روابط تقرر ما بين الضوء الوحيد المتحرك في فضاء الإبصار من جهة والمصابيح المتعددة في فضاء الواقع من جهة أخرى. وهي من النماذج التي لا يمكن أن تجد حلاً لها في المقاربات الدلالية الكلاسيكية (نقلاً عن لايكوف 1987، 214).

نظرية المزج

المزج ملكة عرفية

ترتبط نظرية المزج بنظرية الأفضية الذهنية (فوكونياي وتورنر 1994، 1998) ولها أسماء عديدة جارية منها 'المزج'¹ أو 'المزج المفهومي'² أو 'الإدماج المفهومي'³. تتأسس هذه النظرية على خصيصة لغوية مدارها أن لكل وضع، واقعياً كان أو خيالياً، سبيلاً إلى استعمال بنية لغوية تعبّر عنه وعن مجمل أفكارنا عموماً. ويطلق على هذه الخصيصة مصطلح الشمولية⁴. ومن أبرز ما تتحلّى فيه تلك الطوعية ملكة المزج المفهومي - على حدّ عبارة تورنر (2000، 15) - وهي ملكة يختصّ بها بنو البشر تمكّنهم من بناء المعنى في شكل شبكات من التمازج المفهوميّ يكون فيها خلق لمعان جديدة ومفاهيم جديدة ومناويل ذهنية جديدة.

ويذهب فوكونياي وتورنر (1998) إلى أن المزج ملكة قائمة برأسها تماماً قيام ملكات القياس⁵، والتكرارية⁶ والنمذجة الذهنية⁷ والمقولة المفهومية⁸ والتأطير⁹. وهي من الملكات ذات الغايات العرفية المتعددة، هي ملكة حركية مرنة عاملة زمن التفكير (آن-قوئية) بصفة غير واعية، فهي جزء من العرفنة الخلفية¹⁰ (الباطنة) تشتغل من وراء الستار فتفعلت من الوعي حيث تقيم شبكات واسعة من الأفضية الذهنية في مستوى اللاوعي فتنشأ لذلك أعمال عرفية في مستوى الوعي

-
- | | |
|---|----|
| Blending Theory (BT). | 1 |
| Conceptual blending. | 2 |
| Conceptual integration. | 3 |
| Equipotentiality, (Fr: équipotentialité). | 4 |
| Analogy. | 5 |
| Recursion. | 6 |
| Mental modelling. | 7 |
| Conceptual categorization. | 8 |
| Framing. | 9 |
| Backstage cognition. | 10 |

تبدو أنها بسيطة مباشرة لا إشكال فيها ولكنها في الواقع ناجمة عن قوانين على غاية من التعقيد تشتغل في العرنة الخلفية (فوكونياي 2001، 2).

فأساس نظرية المزج هو الفضاء الذهني وهو تلك البنية التمثيلية التي يبينها الأشخاص أثناء الحديث أو التفكير عن المدركات والتخييلات وعن جميع الأوضاع الماضية أو المعيشة أو الآتية. تُنشئ ملكة المزج المفهومي مفاهيم وصورا تتحول إلى أشياء متجددة في البنية المفهومية عند البشر وفي النحو (الملكة اللغوية) كذلك وهي تشتغل على ما سبق أن تجذر منها بفعلها لتتخذ منه دخلا تحدث منه مفاهيم أو أفضية جديدة. ويمكن الاهتمام إلى المزج في حالات بارزة لافتة ولكنه جار في الأغلب جريانا آليا عفويا. فخلال المزج، تنعكس البنية من أفضية ذهنية دخل على فضاء مزيج مستقل بذاته، والانعكاس عملية انتقائية، تنشأ بمقتضاها في الفضاء المزيج بنية مفهومية لا توفرها الأفضية الذهنية الدحل، وذلك عن طريق الإكمال والبلورة. ويشغل المزج وفق عدد من المبادئ البنيوية الحركية يوجهها عدد آخر من المبادئ الأفضية.

من قضايا المزج

ومن القضايا الأساسية التي قامت عليها نظرية المزج (تورنر 2000) ما به يمكن للبشر تمثل المعاني المختلفة المتداخلة المعقدة والاهتداء إليها والتصرف فيها بما يكتنفها من ترابط بعضها ببعض في شبكات مفهومية متبدلة دينامية، ومنها ما يتصل بالوجوه التي يمكن للبشر بما معالجة تلك المعاني بطريقة فضلى ناجعة وبالوجوه التي يتكون بها الحدس الجامع للإلام بتلك المعاني في تشابكها المعقد. ومن القضايا ما يتعلق بما به يمكن للذاكرة أن تحفظ تلك المعاني ذات التشابك المعقد وأن تظهرها عند الحاجة، وبعبارة أخرى كيف يمكن لنا أن نستعمل الشبكات المفهومية المترابطة وهي تتضمن أفضية ذهنية متعددة مترابطة؟ فنظرية المزج المفهومي مقترح نظري في تفسير ذلك.

المزج: الأركان والآليات

لعل خير ما تتضح به الأشياء هو الانطلاق من مثال يعرضه أعلام النظرية أساسا ينون عليه فرضياتهم وتبلور به الإشكاليات شيئا فشيئا. وخير الأمثلة ما توفر نظير له في عدد من اللغات ولذلك نعلم مثلا متداول في الأبحاث المزجية يعرف بمثال حفر القبر (كولسن 1997، فوكونياي وتورنر 1998، تورنر 2000):

(1) أنت تحفر قبرك بنفسك.¹

وهي عبارة كثيرة الجريان في سياقات التحذير مما يُتصور حدوثه نتيجة لعمل ما وليكن في مجال المضاربة في البورصة (فوكونياي وتورنر (1998، 166) تورنر (2000، 2)). ويقوم استعمال هذه العبارة على شبكة مزج مفهومي يتوفر فيها فضاءان ذهنيان دخلان وفضاء مزيج:

أ- فضاء ذهني أول يتضمن عناصر عديدة منها القبور والموتى (الجثث) والدفن.
ب- فضاء ذهني ثان يتضمن إطارا للمخاطرة (السلوك المخوف بالمخاطر) عامة وبشراء الأسهم وبيعها على وجه الخصوص وما يتصل بذلك من إطار البورصة بما في ذلك الشخص المضارب فيها والمعنى في السياق.

ج- الفضاء المزيج: تقوم بين الفضاءين (أ) و(ب) عملية إسقاط جزئي تحدث بها المناسبة بينهما، فيناسب المخاطر (المضارب في البورصة) الحفار، ثم يُعكس ذلك في الفضاء المزيج فيكون الشخص المضارب في البورصة هو الحفار حيث يتميز الشخصان وينصهر الواحد منهما في الآخر فيحل فيه وتراكم صورتاهما تراكبا لا ينفك له الواحد من الآخر. فيكون المزج في هذه الحال مزجا ثنائيا² يجتمع فيه ما افرق في الفضاءين الدخلين: فلا توافق بين فضاء الحفر وفضاء البورصة ولكن الفضاء المزيج يستعير - والعبارة لتورنر - من كل واحد منهما جزءا يجري في تكوين بنيته المركزية. فينشأ بذلك في المزج الثنائي إطار مفهومي جديد حادث. وهذا الإطار ليس مجرد توسيع للإطارين المفهومين في الفضاءين الدخلين.

ولئن كان الفضاءان الدخلان (حفر القبور والمخاطرة) مختلفين بل متناقضين في عدد من الأبعاد فإن الفضاء المزيج يستعير من الواحد منهما أبعادا تكون فيه متناغمة منسجما بعضها مع بعض. ومن تلك الأبعاد نجد العلوية (السببية) والأبنية القصدية وأدوار المشاركين والانتظام الزماني والهوية وانتظام الأحداث:

فمن فضاء المخاطرة يستعير الفضاء المزيج بُعد العلوية حيث يرتبط الخطر بالمخاطرة ارتباطا نتيجة بسببها وهو ارتباط لا يتوفر في فضاء الحفر حيث لا يقود حفر القبر حتما إلى الموت، إذ يتبع الحفر عادة حدوث الموت باستثناء أحداث

1 You are digging your grave by yourself, (Tu creuses ta propre tombe).

2 Double-scope integration. (Integration bilatérale).

حفظها التاريخ يحفر فيها الأسير أو السّجين قبره بنفسه قبل أن يُقتل على حافّته ويُقَبَّر. ففي فضاء البورصة (وهو الفضاء المزيج) تسبّب أعمالُ المضارب هلاك صاحبها أي خسارته، وهو أمر متوقّر في فضاء المخاطرة دون فضاء حفر القبر.

وبين الفضاء المزيج وفضاء المخاطرة تناسب آخر، فلئن كان عمق القبر أو اتّساعه غير ذي صلة بخطّ الموت فإنّ بين المداومة على المخاطرة والمداومة على المضاربة تناسبا في حدوث الخطر من جهة والخسارة من جهة أخرى حيث التّناسب طرديّ إذ يزداد الخطر والخسارة بازدياد المخاطرة والمضاربة.

وفي فضاء الحفر يتوقّر القصد من المحدث حيث يعرف الحفّار أنّه يحفر قبرا لمواصلة ميث فيه أمّا فضاء المخاطرة فلا وعي للمُخاطر بالنتيجة ولا قصد عنده إليها بالاستتباع وذاك ما يستعيره الفضاء المزيج منه، فالمضارب في البورصة لا يعي أي لا يقصد إلى الخسارة، وإنّما يأتي سلوكا يقود إلى خسارته دون قصد.

ثمّ إنّ المحدث والضّحية في فضاء الحفر مختلفان إذ الحفّار شخص ما والمحفور له شخص آخر، وهما متطابقان في فضاء المخاطرة والفضاء المزيج إذ يكون فيهما المُخاطر والمُضارب محدثا وضّحية في آن. فالفضاء المزيج موافق في توزّع الأدوار لفضاء المخاطرة ومخالف فيه لفضاء الحفر.

كما يستعير الفضاء المزيج انتظام الأحداث من حيث ترتّبها زمانا و/أو تتابعا من فضاء المخاطرة دون فضاء الحفر. فالحفر مطلقا لاحق على الموت في حين تكون المخاطرة سابقة على الخطر وكذا المضاربة في البورصة سابقة على الخسارة أي أنّ المحدث يأتي أعمالا قبل أن يكون ضّحية لها.

وباكتمال الفضاء المزيج ينشأ معنى جديد فيه، فالحفّار في الفضاء الدّخل الأوّل ليس أحقّ ولا المُخاطر كذلك في الفضاء الدّخل الآخر، حيث لا يكون من يشتري الأسهم في البورصة أحقّ بالضرّورة، ولكنّ من يحفر قبره بنفسه في الفضاء المزيج أحقّ لا محالة بل هو أكثر من ذلك مسؤول عن مآله.

المزج المجسّد

يمثّل المزج ملكة عرفيّة عامّة وإذ كان كذلك يكون من الطّبيعيّ أن يتجاوز المظهر اللّغويّ فيجري في كلّ ما له صلة باشتغال الدّهن في إطار الجسد في محيطه. ومن التّماذج التي يتجلّى فيها المزج المفهوميّ في نشاط غير لغويّ ما يتواتر في الكتابات

المزجية في إطار الحديث عن المزج الجسدي من أمثلة متصلة بوضعيات مادية، يكون فيها ناتج المزج حركة أو هيئة مزيجا لا فكرة أو مفهوما (فوكونياني 2001، 3).

من ذلك ما يكون من مدرّب يعلم شخصا التزلج على الجليد، فيسعى المدرّب إلى تلقين الشخص هيئة مخصوصة تكون للذراعين وللعينين أن الانحدار. أي النظر إلى المنحدر عوض تركيز العينين على المزلجين، فهذا فضاء ذهني دخل أول. ليلقنه الهيئة المطلوبة يقول له بأن يتخيّل أنّه نادل في بعض المقاهي يحمل طبقا عليه أكواب مليئة بسائل ما وبعض الحلويات، وعليه أن يتنقل بها دون أن يريق أو يسقط منها شيئا، وهذا فضاء دخل ثان. والنتيجة أنّ الشخص المتدرّب يأتي حركة أو هيئة قريبة من المطلوب في الانحدار هي حركة مزيج بين الفضاءين. فالفضاءان الدحلان هما وضعيّة التزلج ووضعيّة النادل وبينهما تناسب عن طريق الإسقاط في هيئة الذراعين والنظر بالعينين، والفضاء الجامع فيه هيئة الجسم والحركة مطلقا، أمّا الفضاء المزيج ففيه تتمزج هيئة النادل بهيئة المتزلج فيحمل المتزلج الطبق، فيكون الناتج حركة أو تنقلا ماديا في المكان. فهذا نموذج به يبين اتساع عمليّة المزج وشمولها لكل المجالات شمولاً يجعل منها ملكة عرفيّة عامّة.

المزج آلية إنشاء للمعاني الجديدة

من النماذج المتداولة في الأبحاث المزجية نجد "الجراح جزّار" في عبارات من قبيل (2):

(2) هذا الجراح جزّار.¹

تمثّل العبارة (2) واحدة من كثير من العبارات الاستعارية لا تجد لها تحليلا في نظرية الاستعارة المفهومية (لايكوف)، إذ لا أرضية عرفية أو ذهنية عامّة تصوّرية تتضمن خطاطة تتحقّق في نموذج من النماذج. فلا وجود لاستعارة مفهومية قوامها خطاطة "الجراح جزّار"، وإنّما تمثّل هذه العبارة جمعا اعتباطيا بين مجالين متباعدين هما الجزارة والجراحة (براندت وبراندت²).

ويتمثّل المعنى الحاصل من العبارة في كون الجراح فاشلا لا كفاءة له، وهو معنى جديد حادث ولا يمكن تفسير بنائه باعتماد مبدأ الإسقاط ما بين فضاءين

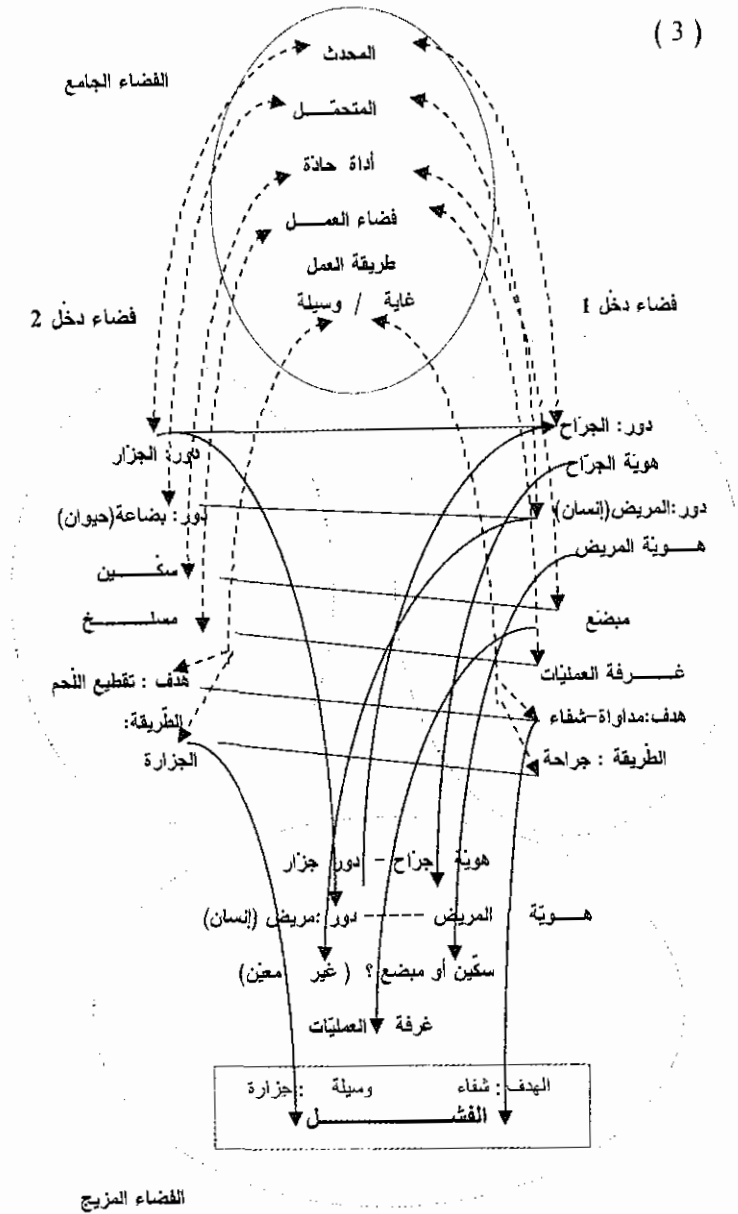
1 This surgeon is a butcher.

2 Brandt & Brandt.

مصدر وهدف هما فضاء الجزّار وفضاء الجراح. فالإسقاط الثنائي يكون رأسياً ما بينهما عنصراً بعنصر. فالجزّار يناسب الجراح، والحيوان (بقر، ضأن أو غيره) يناسب الإنسان، والبضاعة (لحم) تناسب جسم المريض، والسكّين أو أدوات الجزارة تناسب أدوات الجراحة، والمسلخُ غرفة العمليات وتقطيع اللحم تشريح الأنسجة البشريّة.

ويتجلّى من خلال هذا أن لا أثر لمعنى الفشل وغياب المهارة عند الجراح في هذه المناسبة بين الفضاءين. وهذا ما يمثّل مظهر النقص في نظريّة الاستعارة المفهوميّة القائمة على ثنائيّة الفضاء والإسقاط المباشر بينهما عند لايكوف. فالفشل أو غياب المهارة معنى ناتج عن عمليّة استدلاليّة يمكن إظهارها بوسائل التحليل في نظريّة المزج القائمة على الإسقاط متعدّد الأفضية.

وتمثّل ذلك في (3) حيث يتجلّى عدد من العمليّات تنشأ بها معان في الفضاء المزيج لم تكن في الفضاءين الدّخلين، فيكون بذلك للفضاء المزيج مضمون لم يرثه منهما. فكلّ ما يرث هو بنية جزئيّة من كلّ من الفضاءين الدّخلين ينشأ عن طريق المطابقة بينهما ذلك المضمون. فمن فضاء الجزارة مثلاً تنعكس علاقة الغاية/الوسيلة بشكل غير ملائم لعلاقة الغاية/الوسيلة في فضاء الجراحة بأن تكون الوسيلة تقطيعاً للحم والغاية هي الشّفاء فيحدث التّوليف ما بين وسيلة الجزارة وغاية الجراحة والأشخاص فيها ومقامها في الفضاء المزيج فيكون حاصل ذلك معنى ناشئ هو 'الفشل'. يحصل ذلك عن طريق نوع من الاستدلال أساسه عدم التّناسب بين الوسيلة والغاية. فإذا كانت غاية الجراح الشّفاء وكانت وسيلته في ذلك الجزارة بما فيها، كان جراحاً فاشلاً كما يبين في التمثيل (3).

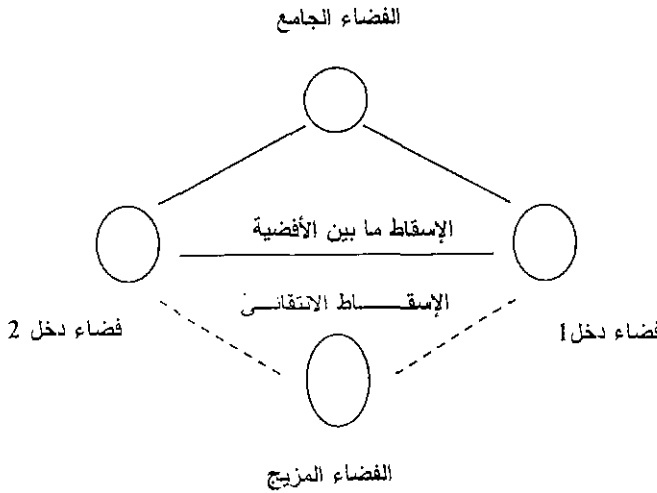


شبكة المزج المفهومي

تقوم نظرية المزج على تمثيل ما يجري من العمليات العرفية آن القول والتفكير، وتجتمع تلك العمليات في ما يسميه أصحابها شبكة المزج المفهومي¹. وقوام هذا المنوال عدد من العناصر والعمليات منها الأفضية الذهنية

والإسقاط ما بين الأفضية والفضاء الجامع¹ والمزج والإسقاط الانتقائي² والتركيب والإكمال (الإتمام) والبلورة فالبنية الناشئة.

أمّا الأفضية فأربعة: فضاءان دخلان وفضاء جامع وفضاء مزيج. يمثل الواحد من الفضاءين الدّخلين (حدثين كانا أو واقعيتين أو مفهومين) مصدرين للإسقاط يمتزجان في الفضاء المزيج، ويربط بينهما إطار خطاطي يجمع العناصر المشتركة بينهما ممثله الفضاء الجامع، والمزج عملية يتطابق بمقتضاها الفضاءان الدّخلان تطابقاً جزئياً وينعكس قسم من عناصر كلّ منهما عن طريق الانتقاء في فضاء رابع هو الفضاء المزيج. فيكون للمزج عناصر وعمليات يحملها التمثيل التالي (فوكونياي وتورنر 1998، 137؛ فوكونياي 2001، 3) حيث يوافق الفضاءان الدّخلان الفضاء المصدر والفضاء الهدف في نظرية الاستعارة المفهومية (لايكوف) أمّا الفضاء الجامع فيتضمّن البنية المفهومية المشتركة بين الفضاءين الدّخلين. والفضاء المزيج فضاء تتوالف فيه مكوّنات مختلفة من الفضاءين الدّخلين لينشأ فيه عن طريق الاستدلال معان جديدة ما من أثر لها في الفضاءين الدّخلين.



ويقوم المزج على ثلاث عمليات أساسية هي التركيب³ والإكمال⁴ والبلورة⁵:

- | | |
|-----------------------|---|
| Generic space. | 1 |
| Selective projection. | 2 |
| Composition. | 3 |
| Completion. | 4 |
| Elaboration. | 5 |

(أ) - التركيب

يجري في المزج التركيب بين عناصر من الفضاءين الدّخلين فيحدث لذلك علاقات لم تكن موجودة في ذينك الفضاءين منفصلين. فتمثّل عمليّة التركيب في إسقاط مضامين من كلّ من الفضاءين الدّخلين إسقاطاً رأسياً في الفضاء المزيج. ويحدث أن ينصهر عنصران ينتمي الواحد منهما إلى فضاء دخل في عنصر واحد في الفضاء المزيج. من ذلك ما يحدث في مثال (2) ويتجلى في التمثيل (3) حيث يتحد الجزّار بالجراح دوراً وهويّة لوجود محلّ واحد تشغله ذات مفردة في الفضاء المزيج. وتُنشئ عمليّة التركيب فضاء مزيجاً قد يوافق الواقع وقد يخالفه، من ذلك أن اشتغال جزّار في قاعة العمليّات بأدواته وطريقته المعلومة أمر مستبعد، ولكن ذلك لا يمنع من تصوّر المشهد تصوّراً افتراضياً.

(ب) - الإكمال

تمثّل عمليّة الإكمال في إكساء النموذج التّصوّريّ الذي ينشأ في الفضاء المزيج بالتركيب، أبعاداً ما بالعود إلى المعارف العامّة المحفوظة في الذاكرة طويلة المدى. وتجري عمليّة الإكمال دون وعي (فوكونياى وتورنر 1998، 144). فعمليّة الانعكاس ما بين الفضاءين الدّخلين والفضاء المزيج التي يتمّ بها التركيب وينشأ بها المزيج توافق نماذج معلومة عند الناس على درجات، هي ما يسهّل عمليّة الإكمال، يكون ذلك مثلاً بإقامة تصوّرات أو استنتاجات لا يفي بها مجرد الإسقاط فتنشأ معان لا يحملها منطوق الفضاء المزيج. ففي (3) بني الفضاء المزيج على أساس انصهار الجزّار في الجراح وهذا يقود إلى تحيّل جزّار في غرفة عمليّات - انطلاقاً ممّا تحفظه الذاكرة الطويلة المدى من المعارف العامّة - وما يصاحب ذلك من تفاصيل تتعلّق به من حيث هيّاته وأعماله وأدواته والمريض وما إلى ذلك، فتكتسب شخصيّة الجراح سمة غير منطوق بها هي 'الشلل'.

(ج) - البلورة

تمثّل البلورة مواصلة للتركيب والإكمال من حيث مثّلت مضياً في تطوير المزيج تصوّراً وتخيّلاً وتوسيعاً. وهي بذلك تكشف عمّا يمكن أن يقود إليه المزيج من إنشاء معان جديدة لا تتوفّر في الفضاءين الدّخلين بل لا أثر لها فيهما. فممّا يمكن تصوّره في الفضاء المزيج في (3)، استكمالاً لصورة الجزّار وقد حلّ في مجال

الجراحة، أنه يقطع لحوم المرضى ويعرضها على الزبائن ويزنّها ويبيعها بمقابل ولم لا يغشّهم فيزيّف تواريخ صلاحيتها أو يفرز القطع فيحتفظ بالجيّد الصّالح منها ويلقي بالردّيء منها، فينشأ معنى جديد هو سمة تنضاف إلى هويّة الجراح هي التجارة بما يتّصل بذلك من متاجرة في الأعضاء وما إليها.

ولئن كانت جميع الأبنية المرجيّة خاضعة للمبادئ والعمليّات المعروضة قبل هذا فإنّها متفاوتة في الجودة، وذلك في ضوء ما يسمّيه فوكونياي وتورنر (1998)، 162-163) مبادئ الأفضليّة¹ وهي الإدماج² وثبات التّعالق³ وشدّة الاتّصال⁴ وقابليّة التّفكيك⁵ والتّبرير⁶:

(أ)- الإدماج

ينصّ مبدأ الإدماج على أنّه من الواجب أن يكون المزيج مندمج العناصر بوجه يكون له وحدة متكاملة تعالج معالجة كلّية. ففي (3) يكون الفضاء المزيج وحدة متكاملة العناصر بما فيها الجراح الجزّار والمريض وغرفة العمليّات والأدوات، وجميعها متماسك بوجه يضمن استقامة الفضاء واستقلاله تصوّراً واشتغالا.

(ب)- ثبات التّعالق

مدار هذا المبدأ على أن يكون لكلّ عنصر في الفضاء المزيج نفس العلاقات التي لنظيره من العناصر المكوّنة للفضاء الدّخل. ففي (3) يكون لكلّ عنصر نفس العلاقة التي لنظيره في الفضاءين الدّخلين (الجراحة والجزارة) فيكون للجراح فيه بالمريض نفس العلاقة التي له به في فضاء الجراحة وكذلك المريض من حيث هويّته ودوره وكذا غرفة العمليّات بالجراحة كاملة وهكذا دواليك.

(ج)- شدّة الاتّصال

ينصّ هذا المبدأ على أنّه من الأفضل الحفاظ على الاتّصال ما بين الفضاء المزيج

Optimality principles.	1
Integration.	2
Topology.	3
Web.	4
Unpacking.	5
Good Reason.	6

وكلّ من الفضاءين الدّخلين، بوجه يسهل به الاهتداء إلى التّناسب بين المضامين في كليهما وذلك مباشرة ودون جهد إضافي ولا استدلال. ففي (3) تقوم بين الفضاء المزيج والفضاءين الدّخلين صلة قويّة يسهل بها استحضار ذينك الفضاءين استحضارا آلياً ودون الحاجة إلى عبارة تتجاوز نصّ القول "هذا الجرح جزّار".

(د) - قابليّة التفكيك

قوام قابليّة التفكيك أن يتضمّن المزيج ما به يمكن أن يعاد بناء الفضاءين الدّخلين أحدهما أو كليهما وما بينهما من إسقاط والفضاء الجامع كذلك وشبكة العلاقات الرّابطة بينها جميعاً، كلّ ذلك انطلاقاً من المزيج ليس غير. وبعبارة أبسط يتضمّن المزيج ما به يمكن تفكيكه وتحليله إلى مكوّناته بعلاقاتها التي ورثها من كلّ من الفضاءين الدّخلين وما لم يرثها.

(هـ) - التّبرير

يستلّق مبدأ التّبرير بأن يكون لكلّ عنصر يتضمّنه الفضاء المزيج سبب أو مرر لوجوده بأن يكون له معنى أو غاية أو سبيل به يكون تعليل وجوده فيه بوجه من الوجوه، ويمكن تلخيص ذلك في الإفادة¹ في مستويين من حيث تعلّقه بسائر العناصر الواردة في الأفضية الدّخل ومن حيث وظيفته في اشتغال الفضاء المزيج واستقامته. ومن المظاهر المهمّة والمعقّدة كذلك في عمليّة المزج - على ما يرى تورنر (2000) - ما يكون فيها من تكثيف للعلاقات الأساسيّة² التي تعمّ جميع الأفضية بما فيها الأفضية الدّخل ومن تحويل لها. تتضمّن العلاقات الأساسيّة الزّمان والمكان والقياس والقصدية والتّماتل وتطابق الهوية وما إلى ذلك من المقولات العابرة للأفضية³ الذّهنيّة والمنظّمة لها. فالفضاءان الدّخلان تعمّهما علاقات عابرة للأفضية تتحوّل إلى علاقات داخل الفضاء⁴ المزيج، وإذ تندمج هذه العلاقات بفعل المزج في الفضاء المزيج تجري عليها عمليّات تكثيف⁵ وتحويل⁶ في آن.

Relevance.	1
Vital relation(s).	2
Extra-spatial.	3
Intra-spatial.	4
Compression.	5
Transformation.	6

يكون التّكثيف فيها بأن يعود المتفرّق المختلف المتعدّد المتكرّر من العلاقات إلى علاقة واحدة، من ذلك أنّ تعدّد الأزمنة والأمكنة والأشخاص والحيوانات والأدوات وتكرّر أعمال الجزّار والجراح كلّاً في مجاله وما إلى ذلك ممّا يعمّ الفضاءين الدّخيلين (الجزارة والجراحة)، يتقلّص بفعل المزج فيندمج جميعها في بنية واحدة ليس غير وتحوّل تبعاً لذلك التّكثيف إلى علاقات داخل الفضاء (أو داخل-فضائية). ففي (3) يتضمّن الفضاء المزيج لكلّ علاقة أو عنصر نموذجاً أو تحقّقاً واحداً.

المزج في العربيّة: النّاقة سفينة الصّحراء نموذجاً

لعلّه من المفيد بعد هذا تحليل نموذج من التّماذج المتداولة في العربيّة، من قبيل (4):

(4) النّاقة سفينة الصّحراء.

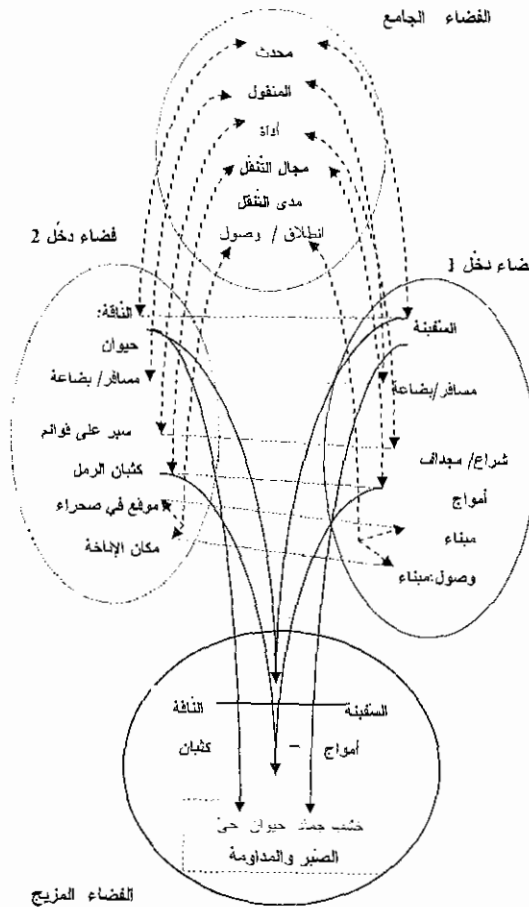
يتمثّل الفضاء الجامع في مجال التّنقل عامّة بما فيه من محدث (هو النّاقة أو السّفينة أو غيرها من أدوات التّنقل أو التّقل) ومنقول (إنسان أو بضاعة) ومجال (الجوّ أو البرّ أو البحر) وأداة (سير على قوائم) ومدى (انطلاق من مكان منقول منه فوصول إلى نقطة أخرى منقول إليها)، ويندرج كما هو معلوم في هذا الفضاء الجامع جميع ما يكون به التّقل مادّيّاً في الفضاء أو معنويّاً في المطلق. أمّا الفضاءان الدّخيلان فهما فضاء السّفينة (فضاء دخل 1) وفضاء النّاقة (فضاء دخل 2). وفي الواحد منهما عناصر توافق إسقاط العناصر المكوّنة للفضاء الجامع، ويكون بين الفضاءين الدّخيلين إسقاط على أساس التّناسب: تناسب السّفينة (بما يقترن بها من السّمات والخصائص مادّة وصنعا ونوعاً) النّاقة (بما لها من خصائص منها كونها كائناً حيّاً آكلًا شارباً عاشباً) ويتناسب المنقولان في كليهما عن طريق الإسقاط من حيث كانا إنساناً مسافراً أو بضاعة منقولة وكذلك مجال التّقل فهو أمواج البحر من جهة وهو رمال الصّحراء من جهة أخرى، وما إلى ذلك حسب ما يبين في التّمثيل (5). ويكون حاصل المزج الفضاء الرّابع وهو المفهوم المزيج النّاشئ بانصهار الفضاءين الدّخيلين وفق العمليّات العرفيّة المحدثة للمزج:

فبالتركيب تحدث علاقات لم تكن موجودة في الفضاءين الدّخيلين منفصلين (السّفينة والنّاقة) وذلك بإسقاط المضامين في كلّ منهما إسقاطاً رأسياً في الفضاء المزيج. فتستقرن العناصر في الفضاءين الدّخيلين واحداً بواحد، فالسّفينة بالنّاقة، والتّزحلق على سطح الماء بفعل الشّراع أو التّجديف بالسّير على القوائم، والأمواج بكتبان الرّمّل، وميناء الانطلاق بنقطة في الصّحراء تنطلق منها رحلة النّاقة، والمرسى

بمكان الإناخة. فتتصهر السفينة في الناقة انصهارا وتتحدا بها من حيث أدت دور الثقل فيحدث لذلك معنى ليس من منطوق الفضاءين الدخيلين كما يأتي بيانه.

وبالإكمال - وهو عملية آلية غير واعية عند أهل نظرية المزج - يكتسي النموذج المزيج الناتج (الناقة سفينة) أبعادا تتصل بالثقافة والمعارف العامة فيمكن أن نتصور سفينة على شكل ناقة (أو ناقة على شكل سفينة) تمخر عباب الرمال وهي تصعد وتصوب في الكثبان محملة بأثقال ما فيها ومن عليها في رحلة شاقة طويلة، وينضاف إلى جميع ذلك ما تخزنه الذاكرة 'الجماعية' من تصورات في طبيعة الصحراء وطبيعة الظروف والتثقل فيها فينشأ استدلال مؤداه استنتاج لا يحصل بمجرد الإسقاط هو صير الناقة وطول مراسها، فهي حيوان في حاجة إلى ماء وعشب ولكنها لا تشتت ذلك كثيرا كما هو الأمر في شأن السفينة تبحر طويلا ولا أكل لها ولا شراب.

(5) شبكة المزج المفهومي: 'الناقة سفينة'.



وبالبلورة يكون تطوير المزيغ الحاصل بالتركيب وبالإكمال وذلك بالتوسّع في التّصوّر والتّخيل والتّوسيع. فمما يمكن أن يتوسّع به الفضاء المزيغ تصوّر الصّحراء بحراً مترامي الأطراف وصاحب النّاقة - فردا كان أو شعباً - بحّاراً في الصّحراء يجوبها دون عائق ويكابد صعاها دون وهن فهو حرّ جلد وإن عاش على الكفاف، فيقودنا هذا التّوسيع من مجال النّاقة إلى مجال موغل في التّجريد: الحرّيّة، وليس من قبيل الصّدفة أن تُتخذ السّفينة رمزا للحرّيّة. وغير خفيّ ما لآليّة البلورة بما تحتزّنه من طاقة في التّحدّد والتّجديد من دور في إنشاء المعاني الحادثة المتناهية. وهذا مدار نظريّة المرج.

ومن مبادئ الأفضليّة العاملة في نشوء المزيغ "النّاقة سفينة" وفي ضمان دورانه وثرائه، الإدماج وثبات التّعالق وشدّة الاتّصال وقابليّة التّفكيك والتّبرير. ففي (4) يحدث الاندماج التّام بين الفضاءين الدّخيلين في الفضاء المزيغ كما يتحلّى من التّمثيل المعروض في (5) بوجه يكون له وحدة متكاملة متماسكة العناصر فيها النّاقة سفينة تبحر في أمواج الصّحراء تحمل البضاعة والمسافرين على مسافات طويلة ويعرض لها أن تتوقّف أثناء الرّحلة في محطة أو محطّات وما إلى ذلك، ويثبت كذلك في الفضاء المزيغ، للعنصر الواحد نوع التّعالق الذي كان لنظيره في الفضاءين الدّخيلين (السّفينة والنّاقة) فتكون له نفس البنية التّصوريّة القائمة على أدوار الثقل والتّنقل والقيادة والإطار وتدرّج الرّحلة من الانطلاق إلى الوصول وما إلى ذلك من الهويّات والأحداث والمحدثين، كلّاً في مجاله. كما تثبت شدّة الاتّصال ما بين الفضاء المزيغ (النّاقة سفينة) وكلّ من الفضاءين الدّخيلين (السّفينة والنّاقة) بوجه يكون به الاهتمام يسيراً مباشراً إلى التّناسب بين المضامين في كليهما بأن تقرن العناصر الواحد منها بنظيره، فانطلاقاً من الفضاء المزيغ يُستحضر الفضاءان الدّخلان استحضاراً آلياً واحداً آن-قوليّاً وذلك دون الحاجة إلى ما زاد عن مضمون القول لفظاً ودلالة. ويمكن تفكيك الفضاء المزيغ إلى الفضاءين الدّخيلين والفضاء الجامع - في ضوء ما ينصّ عليه مبدأ قابليّة التّفكيك- إذ يتضمّن ما به يمكن أن يعاد بناء تلك الأفضية وما ييسنها من علاقات الإسقاط. كما نلاحظ أنّ كلّ عنصر يرد في الفضاء المزيغ مرّراً وجوده من حيث وظيفته أو دوره فيه ومن حيث تعلّقه بنظيره في كلّ من الفضاءين الدّخيلين.

ومن مظاهر التّكثيف والتّحويل في مزيج " النّاقة سفينة" أن تجتمع العلاقات الأساسيّة بعد افتراقها وتحوّل إلى علاقات داخل فضائيّة بعد أن كانت بين الفضاءين الدّخلين، فما كان مكانا مختلفا باختلاف المجال في كلّ من السفينة والنّاقة بين البحر والصّحراء يصبح واحدا بفعل التّكثيف ودخل الفضاء بفعل التّحويل وما كان عابرا للفضاءين كنمط التّنقّل - مثلا - وهو ترلّج على صفحة الماء وغوص جزئيّ فيه من الجزء المعلوم من السفينة من جهة وانتقال القوائم من النّاقة بالتّناوب وغوص الخفّ منها قليلا في الرّمال من جهة ثانية، يتحوّل بفعل التّكثيف إلى عمل واحد في الفضاء المزيج فالنّاقة سفينة وقوائمها صدر السفينة والرّمال أمواج، وعلى هذا تنقاس سائر العناصر بدقائقها الّتي يمكن أن يطول الحديث في شأنها.

ومّا يمكن تناوله في إطار نظريّة المزج من العربيّة كثير، ما كان منها جاريا على ألسنة النّاس يوميّا وما مثل منها عيون الشّعور، من ذلك قول المتنبيّ في هجاء كافور "وكان يُبرى بظفره القلم" أو قوله "أرانب غير أنّهم ملوك مفتّحة عيونهم نيام." ونترك أمر تحليلها لمن شاء ذلك.

مجالات المزج

مّا يسطّره أعلام نظريّة المزج أن أبسط الأشياء والمفاهيم المعهودة في الحياة اليوميّة وفي تفكيرنا إنّما هي ناتجة بفعل العمليّات المزجيّة، كما تمثّل ثمرة لتلك العمليّات متكرّرة متتابعة متواصلة على مرّ الزّمن يكون لها التّراكم في المستوى الثّقافيّ العامّ. فيكون على هذا المزج ملكة تنتج المعنى وتجذّده. ويذهب فوكونيائي (2001) إلى أن ملكة المزج ممّا يميّز به بنو البشر في صناعة المعرفة العلميّة والفنيّة والتّقنيّة بما تتضمّنه جميعا من اكتشافات واختراعات ما كان منها ذهنيّا صرفا أو ذهنيّا عمليّا مادّيّا. من ذلك أن الشّعوب والثّقافات تصنع أشياء مادّيّة تمثّل حاملا مادّيّا للمفاهيم المزجيّة من ذلك آلات قيس الزّمن والتّقود ومنه تجلّيات للمزج في ميادين عديدة كالّتعلّم والصّور المتحرّكة والكاريكاتور والإشهار بما فيه من تركيب للصّور تكون بها المزيج بصريّا مفهوميّا (فوكونيائي 1996). فالمزج المفهوميّ عند فوكونيائي (2001، 6) "ليس شيئا نفعله بالإضافة إلى عيشنا في العالم، إنّما هو على خلاف ذلك أداة من الأدوات الأساسيّة الّتي توسّل بها في الإمساك بعالمنا وفي بنائه".

تُما تتوافق فيه نظريّة المزج ونظريّة الاستعارة المفهوميّة (لايكوف وجونسون 1980) قيامُهما على المجالات المصدر والمجالات الهدف ومبدأ الثبوت وكونُ الإسقاطات أساساً لتحليل الاستعارة. كما يشترك التوجّهان في عدد من الخصائص منها كون الاستعارة ظاهرة ذهنيّة مفهوميّة وليست مجرد بنية لغويّة ومنها أنّ عمليّات الإسقاط ما بين المجالات المفهوميّة تشمل اللّغة والتّصوير والاستدلال. ولكنّ بينهما اختلافات جوهريّة منها أنّ نظريّة الاستعارة المفهوميّة تفترض وجود إسقاط ما بين تمثيلين ذهنيين ولكنّ نظريّة المزج توسّع ذلك ليشمل كلّ المجالات ما كان منها صناعيّاً مادّيّاً وما كان منها عقليّاً مجرديّاً، ومنها أنّ عمليّة الإسقاط اتّجاهيّة في نظريّة الاستعارة المفهوميّة وهي غير ذلك في نظريّة المزج، ثمّ إنّ الإسقاط يقوم في نظريّة الاستعارة المفهوميّة (لايكوف) على علاقات مفهوميّة متجذّرة في الدّهن خلافاً لنظريّة المزج التي ترى أنّ الإسقاط عمليّة آن-قوليّة¹ (تجري آن القول) وهي دون شكّ تستجيب لتلك العلاقات المتجذّرة وتحقّقها ولكنّها في الآن نفسه يمكن أن تحدث استعارات أو تصوّرات جديدة تنضاف إلى الوجوه المتجذّرة.

ومهما يكن من مظاهر الاختلاف بين الاستعارة المفهوميّة ونظريّة المزج فإنّ الأسس المشتركة بينهما كثيرة وبينهما من التّكامل الشّيء الكثير. فبعض الباحثين (منهم قرايدي وجماعته² 1999) يذهب إلى أنّهما متكاملتان من حيث تنهض الواحدة منهما ببيان وجه من وجوه بناء الاستعارة. فمحطّ العناية في نظريّة لايكوف الاستعارات الثّابتة المتجذّرة في اللّغة (الذاكرة طويلة المدى) ومحطّ العناية في نظريّة المزج (فوكونياي وتورنر) ما به تنشأ الاستعارات الحادثة الجديدة من حيث حركيّتها واشتغالها آن القول والتّفكير.

On-line process. 1

Grady et al. (1999). 2

ثبت المصطلحات الواردة في الكتاب

المصطلح الأجنبي

المصطلح العربي

A

Activate and check

الإنشاط والفحص

نظرية الاهتداء المعجمي: الإنشاط هو البحث عن جملة من الوحدات تترشح للعبارة ثم تعرض تلك الوحدات على آلية الفحص للتأكد من صلاحيتها وفيها يكون اختيار أفضل المترشحين. ومنطلق عملية الإنشاط المظهر الشكلي في الوحدة المعجمية أما المظهر الدلالي المقامي فذو دور ثانوي فيه وإن كان دوره أهم في نهاية طور الاختيار.

Activation

إنشاط

مفهوم لساني نفسي عصبي عام، قوامه عملية تكون بها إثارة الوحدة المعجمية في الذاكرة طويلة المدى، وتما به يكون ذلك إشارة من الذاكرة الصوتية العاملة إلى البنية الصوتية المحفوظة للوحدة المعجمية، كما يكون بالتداعي عن طريق الإنشاط الانتشاري ما بين الوحدات المعجمية المترابطة.

Adequacy

كفاءة

Adjective(s)

صفة (صفات)

Adverbials

مبنيات (ظروف)

Analog representation

تمثيل مثيل

نظرية التصوير الذهني: تمثيل مطابق للموضوع في عدد من الخصائص.

Analogy

قياس

Articulator

مقطع

Articulatory-perceptual system

نظام نطقي-إدراكي

عدد من المراكز العصبية والعضلات تمثل ما به تتحول التمثيلات الصوتية إلى أصوات أو العكس.

Artificial Intelligence (AI)	الدِّكاء الاصطناعيّ
Associative	ترابطيّ
Atemporal	لازمنيّة
Autosegmental phonology	الصّوتيّة التّفريعيّة
Nonlinear Phonology	

B

Backstage cognition	عرفة خلفيّة
Base	أساس
Basic domain(s).	مجال أساسيّ، مجالات أساسيّة
Binarity principle	مبدأ الثنائيّة
binary branching	تفرّع ثنائيّ/تفريع ثنائيّ
Binding (copying)	ربط
Blending Theory (BT)	نظريّة المزج
Body metaphor(s)	استعارة جسديّة
Boucle <perception-décision-action>	دائرة الإدراك والقرار والعمل
Building-block structure	بنية لبنة

C

Canonical structural realization	تحقق بنيويّ قياسيّ
Case marking	وسم إعرابيّ
Categorial feature(s)	سمة (سمات) مقوليّة

Category-to-modifier	علاقة المقولة بالمحوّر
Cause (causation)	جعل (جعل (ية))
CENTER-PERIPHERY schema	خطاطة المركز والأطراف
Child space	فضاء ابن
Cluster model(s)	مناويل مجمّعة
Cognition	عرفة
Cognitive	عرفيّ
Cognitive Grammar	النحو العرفيّ
Cognitive Anthropology	الأنثروبولوجيا العرفيّة
البحث في اشتغال الفكر البشريّ في سياقات ثقافيّة مختلفة بما في ذلك من بيئات ماديّة واجتماعيّة مخصوصة. ومدار البحث فيها التّمثيلات الّتي يقيمها البشر في الثقافات المختلفة عن محيطه وعن علاقته به حيث تكون الثقافة نظاما عرفيًّا جماعيًّا له بسائر النّظم الثقافيّة علاقات شبه وعلاقات تميّز واختلاف. والأنثروبولوجيا العرفيّة بحث في العلاقة بين الثقافة والدّهن. هي بحث في ما به يدرك الإنسان الأشياء والأحداث والتّجارب الجارية في محيطه ويتمثلها وفي ما به ينضّدها ويجعل منها نظاما ذا معنى.	
Cognitive commitment	التزام عرفيّ
يتمثّل الالتزام العرفيّ في اللّسانيّات العرفيّة في السّعي إلى إقامة حقائق لغويّة توافق الحقائق العرفيّة الثّابتة في سائر العلوم العرفيّة.	
Cognitive domain(s)	بمجال عرفيّ، مجالات عرفيّة
Cognitive event(s)	وقائع عرفيّة
Cognitive Linguistics	لسانيّات عرفيّة
تسمية عامّة تجري على تيّار أو حركة تجمع عددا من التّطبيقات تشترك في الأسس والمنطلقات ولكنها مختلفة متنوّعة متداخلة في بنائها ومشاغلها وتوجّهاها ومجالات العناية فيها، وهي تنقسم في المطلق إلى اتّجاهين كبيرين - متصارعين - الأنحاء العرفيّة والنّحو التّوليديّ في آخر تطوّر له (البرنامج الأدنويّ أو الأدنويّة). ولّسانيّات العرفيّة صلات بالعلوم العرفيّة من حيث برنامجها ومفاهيمها العاملة ونقضها لما ليس عرفيًّا في المطلق وفي اللّسانيّات الشّكليّة بوجه خاصّ. نهضت	

اللّسانيّات العرفيّة على نقض تيّارات سابقة نقضا منهجيّا بالأساس، فكان الخروج عن المنهج الإجماليّ القائم على الوصف البنيويّ والتّوزيعيّ وعلى المنهج الشكليّ. بما في ذلك الأنحاء المركّبة والتّحويليّة والمقوليّة الرّياضيّة وعلى المنهج المنطقيّ القائم على شروط الصّدق أو الشّروط الضّروريّة والكافية. فقوام برنامج الأنحاء العرفيّة على تناول اللّغة من حيث طبيعتها ووظيفتها الأساسيّتان: فهي نشاط عرفيّ في ذاتها وحامل لتمثيلات عرفيّة ولذلك وجب تناولها من زاوية خصائصها الدّلاليّة العرفيّة ومن زاوية تفاعلها وسائر الملكات العرفيّة من قبيل الإدراك والتّدكّر والتّصوير والعمل والتّجسّد وتمثيل البيئة والسّياق وما إلى ذلك. ويمكن أن يختزل برنامج اللّسانيّات العرفيّة في دراسة الأبعاد العرفيّة في التّواصل اللّغويّ.

معالجة عرفيّة Cognitive processing

علم النّفس العرفيّ Cognitive Psychology

يمثّل علم النّفس العرفيّ قلب العلوم العرفيّة ومحرّكها على اختلاف بين الدّارسين تنظييراً وعملاً. ويعتبر البعض أنّ علم النّفس العرفيّ هو علم النّفس مطلقاً يضمّ جميع الفروع وبعضهم يعتبره فرعاً من علم النّفس. ومجال الدّراسة في علم النّفس العرفيّ عمليّات العرّفنة وأبنيّتها من قبيل الإدراك والانتباه والذاكرة واللّغة والقصد والتّشاطر الفكريّ واللّغويّ وما إلى ذلك من مباحث همّ الانفعال والشّخصيّة وغيرها ممّا له تفاعل مع سائر الملكات العرفيّة. وقد اقترن ظهور علم النّفس العرفيّ بما يسمّى "الثّورة العرفيّة".

نظام عرفيّ Cognitive system

عرفن، يُعرفن Cognize (to)

مُعرفن Cognizer

مبادئ التّوليف Combinatorial principles

التّوليفيّة Combinatoriality

من أبرز خصائص اللّغة البشريّة إذ لا تتوفّر في سائر النّظم التّواصليّة. تسمح في آن بتكوين عدد غير محدود من الأقوال وفهمها في عدد غير محدود من الموضوعات. يعود ذلك إلى خصيصّة أساسيّة فيها قوامها الانطلاق من عدد محدود من العناصر يجري التّوليف بينها بوجوه غير محدودة، وهي عماد النّظريّة التّوليدية. وإذ لا يسع الدّماغ البشريّ حفظ ذلك العدد اللّانهائيّ وجب أن يكون فيه أدوات محدودة

وطاقة على توليد اللامحدود، فالأدوات وحدات تمثل مادة التّوليف هي المعجم بعناصره والطّاقة هي قواعد التّوليف متمثلة في النّحو تركيبا واشتقاقا وتوسيعا وتضمينا وإدراجا وتحويلا ونقلًا وما إلى ذلك.

Communicative intention	القصد التّواصليّ
Completion	إكمال
Component level	المستوى المكوّن
Composition	تركيب
Compression	تكثيف
Computational system	نظام حوسبيّ
Computational theories of lexical access	النظريات الحوسبيّة في الاهتداء المعجميّ
Computer metaphor	الاستعارة الحاسوبيّة
Mind-as-computer metaphor	استعارة الذّهن حاسوبا
Concatenative Morphology	الصّرف التّرصيفيّ
Conceived time	الزّمان المتصوّر
Conceptual blending	المرج المفهوميّ (التصوريّ)
Conceptual Metaphor Theory(CMT).	نظريّة الاستعارة المفهوميّة
Conceptual categorization	المقوّلة المفهوميّة
Conceptual complex	مركب مفهوميّ
Conceptual embodiment	الجسدنة المفهوميّة
Conceptual hierarchy	سلميّة مفهوميّة
Conceptual integration	إدماج مفهوميّ
Conceptual mapping(s)	إسقاط مفهوميّ
Conceptualization	المفهمة (التّصوّر)
Conceptualizer	المتصوّر
Conceptual-intentional system (CIS)	نظام مفهوميّ قصديّ
Connectionist models	نظام يكون فيه تأويل الأبنية اللّغويّة وغيرها إلى مفاهيم أو العكس.
	مناويل ترابطيّة

Connector (s)	رابط، روابط
Constituency	مكوّنة
Constructing	بناء
Constructional schemas	خطاطات بنائية
Construe, construal(s)	نمط التناول/زاوية التناول
التَّحْوِ العرفي: للبشر القدرة على تناول الوضع الواحد (وصفا ونقلًا ومثلاً) بطرق عديدة مختلفة، تمثّل الواحدة منها زاوية يتناول منها ذلك الوضع. يطلق على تلك القدرة تسمية نمط التناول أو زاوية التناول. وتحدّد دلالة العبارة اللغويّة بالمضمون التّصوري المدلول عليه بها وبزاوية التناول الّتي يَصوّر من خلالها ذلك المضمون.	
Container	حاوية
CONTAINER schema	خطاطة الحاوية
Convergence	تراكز/معالجة متراكزة
Conversion	تحوّل/تحويل التّمثيلات
Coreference	تشارك إحاليّ
Correspondence rule(s)	قواعد التّناسب
Count noun(s)	اسم يقبل العدّ
Counterpart(s)	نظير (قرين)، نظراء (قراء)
Cross-domain mapping(s)	إسقاط عابر للمجالات
Cultural Anthropology	الأنثروبولوجيا الثقافيّة
Cultural model(s)	منوال ثقافيّ

D

Declarative	إثباتيّ
Declarative knowledge	معرفة إثباتيّة
Deep structure (D-structure, DS)	بنية عميقة
Dimension(s) of imagery	بُعد (أبعاد) التّصوير
Directionality	اتّجاهيّة
Domain(s)	مجال (مجالات)

كلّ تجربة إدراكية وكلّ مفهوم أو مركّب مفهوميّ وكلّ نظام معرفيّ قائم، وما إلى ذلك. المجالات الأساسية وهي عبارة عن تمثيلات للأفضية البسطى أو الحقول المفهومية المفردة التي لا تقبل القسمة أو التقسيم عرفيّاً، ومن نماذج ذلك التجربة الزمنية من حيث الإحساس به أو إدراكه، ومنها الفضاء من حيث القدرة على التعامل معه ومع تشكيلاته، ومنها ما يتصل بالحواس كاللون والانفعال وغير ذلك مما يمكن تصوّره من المجالات.

double space-builders	باني (بناء) الأفضية الثنائية
Double-scope	ثنائي المدى
Double-scope integration	مزج ثنائي (ثنائي المدى)
(Intégration bilatérale)	
Dynamic system(s)	نظام حركي، نظم حركية

E

Ecological validity	المناسبة البيئية
Validité écologique	
مبدأ ذو منابت نفسية عرفية يعني أنّ النتائج التي تحصل في الأعمال المخبرية يجب أن تقبل الانطباق ضرورة على مظاهر السلوك في الأوساط الطبيعية اليومية العادية (كوهين 1989، وينوغراد 1993). وإذا كان الدماغ أداة طبيعية كانت العرفنة وظيفته في ضمان الحياة للكائن المعرف في بيئته، ولهذا الأمر اتسعت دائرة العناية في العرفنة لتشمل موقع الجسد في العالم فتحوّلت العناية من رصد الأنشطة الذهنية الصّرف إلى ما به يكون ممارسة المهارات والملكات العرفية في عالم الأشياء والواقع، وهو ما يطلق عليه المناسبة البيئية.	
Elaboration	بلورة
Embodied	مجسّد
Emotion	انفعال
Encoding procedures	عمليات التشفير
Equipotentiality	شمولية
Ethnomusicology	الموسيقى الإثنية
Event scenario(s)	سيناريو(هات) الحدث

Event structure metaphor	استعارة البنية الحديثة
Evolutionary engineering	هندسة تطورية
Exception(s)	شاذ، شواذ (استثناء)
Experiential realism	واقعية بحريية
Experientialism	بحريية
Extended Standard Theory (EST)	النظرية النموذجية الموسعة
Extension	اتساع
Externalized language	لغة مظهرية
التحقق المادي الفيزيائي للغة المضمر في مستويين فردي يكون به كلام شخص بعينه أو جماعي يمثل لغة ما مما يسمح به النحو الكوني عند شومسكي (1986، 19).	

F

Feedback	ترجيع (استرجاع)
Figure	رسم
Figure-ground configurations	تشكلات الرسم-الأرضية
Focus (of attention)	محط العناية
Focus, focalization	بؤرة (تبعية)
Formal Linguistics	اللغائيات الشكلية
Formal Grammar	النحو الشكلي
Formal Logic	منطق شكلي/منطق صوري
Formulator	معبر
Frame organization	انتظام الأطر
Framing	تأطير
Full interpretation (FI)	تأويل تام
Functional categories	مقولات وظيفية
Functional embodiment	الجسدنة الوظيفية

G

Gender studies	راسات جندرية (جنسية) جندرة (جنسة)، د
Generalization Commitment	الالتزام بالتعميم

يتمثّل الالتزام بالتّعميم في اللّسانيّات العرفيّة، في السّعي إلى أن يستوعب الدّرس اللّسانيّ العرفيّ جميع المظاهر في النّشاط اللّغويّ، وليس لهذا المبدإ صلة مباشرة بالتّعميم المعهود من سعي إلى إدراك الخصائص الكلّيّة، فمما ترفضه اللّسانيّات العرفيّة تناول اللّغة على أنّها منظومات مستقلّة بعضها عن بعض، وبدلاً من ذلك تسعى إلى دراستها جميعاً في تفاعلها وتكاملها واشتغالها معاً، ببيان انبثاقها من الأرضيّة العرفيّة العامّة وتفاعلها معها.

Generative semantics	علم الدّلالة التّوليديّ
Generic space	فضاء جامع
Global categorization relationship	علاقة المقولة الشّاملة
Goal-directed	توجيه مقترن بالهدف
Good Reason	تبرير
Government and Binding theory	نظريّة العمل والرّبط
Gradation(s)	مدارج، مدارج
Grammaticalization	الإنحاء
Ground	أرضيّة
Grounded	متجذّر

H

Head-first	الرّأس أوّلاً
Head-last	الرّأس آخر
Head-position parameter	برامتر موقع الرّأس
Head-to-adjunct	علاقة الرّأس بالمضاف
Head-to-complement	علاقة الرّأس بالمتّم
Head-to-specifier	علاقة الرّأس بالمخصّص
Humanoid(s)	روبوت متآدم (روايت متآدمة)

I

Icon	أيقونة
Iconicity	أيقونيّة
Idealized Cognitive Model(s) ICM.	منوال عرفيّ مؤمّل

Identity	تطابق
Idiosyncratic	خصوصيات لغوية فردية
Image	صورة
Image-mapping(s)	إسقاط الصورة
Imagery	التصوير
Imagic	تصويري
Imaginative	تخيلي
Imaging	التصوير
Immediate scope	مدى مباشر
Inclusiveness condition	شرط التضمن
Individual language	لغة فردية
هي فردية من حيث تعلقت بالشخص العيني المفرد دون سائر الأفراد المنتمين إلى مجموعته اللغوية والذين يمتلكون نظائر أو أشباه ما يملك ويمكن أن تشمل المجموعة اللغوية عن طريق السحب، سحب الفردي على الجماعي. وليس من المفروض أن يكون الشخص واعيا بحصول تلك المعرفة عنده بل ليس من اليسير أن يجعل واعيا بذلك.	
Inference	استدلال
Information structure	بنية إخبارية
Inheritance hierarchy	سلمية الإرث
Initial state	حال بدئية
حال عند الطفل تتضمن القدرة على اكتساب اللغة المضمرة أي عددا من الوسائل التي يجهز بها الذهن فطرياً أو وراثياً وتشتغل منذ بداية التعرض للأقوال والعبارات لاستخلاص النحو من الكلام المسموع في المحيط الاجتماعي.	
Input(s)	دخل (أدخال، دخولات)
Instruction(s)	تعليم، تعاليم
Integration	إدماج
في المعالجة اللغوية: عملية توليف بين الوحدة المعجمية المستحضرة ووحدة أو وحدات أخرى في بنية أكبر وفق مقتضيات البنية الإعرابية.	

Integrative level	مستوى الإدماج
Intension	مفهوم/ ذاتي نسبي
المفهوم الذاتي النسبي كناية عن مجموعة الصفات التي يمتلكها الفرد عن شيء أو موجود ما سواء كانت تلك الصفات أساسية أو ثانوية. وهذا المفهوم الذاتي نسبي لأنه يختلف باختلاف الأفراد والمكان والزمان.	
Intensional (language)	لغة مفهومية/ ذاتية نسبية
اللغة المضمر لغة مفهومية ذاتية نسبية - في المعنى المنطقي الصناعي - من حيث كانت مخصصة من زاوية المفهوم دون المصدق - والعبرة لشومسكي (1995، 15).	
Interconnection(s)	ترابط (ات)
Interface module(s)	منظومة (منظومات) تصافحية
Interface(s)	تصافح، (صفيح) تصافحات
مستوى افتراضي نظري يكون فيه الاتصال ما بين منظومتين في الحاسوب أو في الذهن تحول الواحدة منهما المعطيات من قرينتها نوعا من التحويل ضمانا للتوليف والتناسب بينهما واشتغال الجهاز كاملا. ويمثل الصفيح الواحد منظومة من النظام كاملا، والتصافح مستوى أو علاقة بين مكونين يكون بموجبها تأويل عنصر أو عناصر من المكون الواحد إلى عنصر أو عناصر من المكون الآخر. ويمثل التصافح واحدا من أبرز الأدوات التمثيلية التي تقوم عليها هندسة النحو (اللغة) في البرنامج الأدنوي (شومسكي).	
Internal(ized) Language	مضمّر (لغة/نحو)
Internalized (Grammar)	
I-Language	
اللغة المضمرة أو النحو المضمّر (الداخلي). بمعنى باطنة من حيث هي قدرة مخزونة تمثل حالا في الذهن/الدماغ موجودة في ذاتها وجودا مستقلا عن سائر الأشياء في الكون.	
International Cognitive	جمعية اللسانيات العرفية العالمية
Linguistics Association	
Interpretive component (s)	مكون تأويلي، مكونات تأويلية

Intra-spatial	علاقات داخل الفضاء
Intrinsic	ذاتية
Invariance principle	مبدأ الثبات

K

Kinaesthesia	الحاسة الكينيةستية
هي ما به يكون إدراك أوضاع العضلات وحركاتها ودرجة الإجهاد فيها باعتماد محسّات عصبية كائنة في نسيج العضلات وفي عصبها تُصدر إشارات كينيةستية هي الإشارات التابعة من العضلات أو المفاصل عند أداء حركة أو عمل ما. كما تتضمن الحاسة الكينيةستية ما به يكون إدراك أوضاع الرأس وحركاته واتجاهاته. محسّات خاصة به كائنة في الدماغ هي أعضاء الحسّ الدهليزية (Vestibular sense organs) (قريقوري 1987، 727).	
Kinesthetic image schema(s)	الصّور الخطاطات الكينيةستية

L

Landmark (Lm)	مَعْلَم
Language Acquisition Device	آلية الاكتساب اللّغويّ
ما به يتمكّن الطّفل في طور الاكتساب اللّغويّ، من بناء نحو ذهنيّ يستخلصه من الأقوال الخليط بأن يهتدي إلى البنية الكامنة فيها جميعاً ويستبطنها لتستوي في ما يسمّيه شومسكي "اللّغة المضمرّة".	
Language faculty	ملكة لغويّة
Language-invariant	ثابت في اللّغات/ثابتة لغويّة
Language-particular	مخصوص في اللّغات
Least effort	مجهود أدنى
Lemma Theory	نظريّة اللّمات انظر الفصل الثالث من القسم الأوّل
Lemma(s)	لّمة (لّمات)
Level of specificity	درجة التّخصيص
Lexical access	الاهتداء المعجميّ
Lexical hypothesis	الفرضيّة المعجميّة

Lexical insertion	إدراج معجمي
Lexical pointer	مشير معجمي
Lexical entry	مدخل معجمي
Lexical gap	فراغ معجمي
Lexical head(s)	رأس معجمي
Lexical item	وحدة معجمية
Lexicon (mental)	معجم (ذهني)
License	أجاز، يجيز، إجازة
LINK schema	خطاطة الربط (الوصل)
Local categorization	مقولة محلية
Locative	محلية مكانية
Logical form (LF)	شكل منطقي (ش م)
Logogen system	نظام اللوغونات
Logogen Theory	نظرية اللوغونات
Long-term memory (LTM)	ذاكرة طويلة المدى

M

Macroplanning	مخطط أكبر
Mapping (projection)	إسقاط
Matching	توافق
Maximal scope	مدى بعيد
Medium	حامل فكري (وسيط)
Mental experience	تجربة ذهنية
Mental Imagery	التصوير الذهني
Mental modelling	نمذجة ذهنية (منولة ذهنية)
Mental organ(s)	عضو ذهني، أعضاء ذهنية
Mental Space(s)	فضاء ذهني (أفضية ذهنية)
Merge	صهر
Metaphoric processing	معالجة استعارية

Metaphoric projection	إسقاط استعاريّ
Microplanning	مخطّط أصغر
Mind/brain	ذهن/دماغ
Minimalism	أدنويّة (اختصارية)
Minimalist Program	برنامج أدنويّ (مختصر، اختصاريّ)
Mirror neuron	خلية عصبية (نورون) مرآة
Modelling (Modélisation)	نمذجة (مَنوَلَة)
Modularity	المنظوميّة
Morphophonological form	الشكل الصّرفصوتيّ
Motor schemata	خطاطة حركيّة

N

Naturalness	الطبيعيّة
مفهوم جار في نظرية النحو العرفي (لانتاكر): الطبيعيّة غاية تطلبها النظرية اللسانية وأساس يقوم عليه تقييمها، فالوصف الطبيعيّ وصف قائم على معالجة المعطيات في ذاتها وانطلاقاً منها بأن يكون تناولها من حيث ثراؤها وتنوعها ومن حيث لطافتها ودقّتها ومن حيث بساطتها وتركيبها دون خرق لانتظامها الطبيعيّ ولا فصل لمظهر منها عن آخر باصطناع حدود لا وجود لها في واقع الأشياء.	
Necessary and sufficient condition(s)	شرط ضروريّ وكاف
Network (Model) of Conceptual	شبكة (منوال) المزج المفهوميّ
Integration	
Nonconcatenative Morphology	الصّرف التّفريعيّ
Non-processual.	لاعملية

O

Objectivism	الموضوعيّة
Objectivist semantics	الدّلالة الموضوعيّة
Objectivist view	رؤية موضوعيّة
One-shot metaphor(s).	الاستعارة أحاديّة اللقطة
Online	آن-قوليّ

التناسب الأنطولوجي
 Ontological correspondence
 أفضل تشفير (أمثل تشفير)
 Optimal coding
 في البرنامج الأدنى: يتمثل التشفير الأفضل في أن يقدم المعجم من المعلومات ما يحتاج إليه النظام الحوسبي بأفقر ما يكون أي دون إطناب وفي أفضل صياغة أو تشفير. معنى ذلك أن كل وحدة معجمية (أو مدخل معجمي) تحمل أقل ما يكفي من الخصائص اللغوية التي بها تدرج في علاقة بسائر الكلمات في الجملة عند التركيب.

مبادئ الأفضلية (مبادئ الأمثلة)
 Optimality principles
 توجيه
 Orientation
 خرُج (أخراج، خروجات)
 Output(s)

P

الاهتداء المتوازي
 Parallel access
 المعالجة المتوازية الموزعة
 Parallel Distributed Processing
 قوام المعالجة المتوازية الموزعة أن العمليات العرفية متوازية لا سلسلية وأن العمليات العصبية التي تصاحبها موزعة ممتدة على القشرة الدماغية ولا تنحصر في موقع واحد بعينه وتشكل في عقد مترابطة (ماك للاند وروملهارت 1986).

المعالجة المتوازية
 Parallel processing
 منوال الشبكة المتوازية المتفاعلة
 Parallel-interactive-network
 model

فضاء أب
 Parent space
 مشارك (ون)
 Participant(s)
 مشتقات (صفات)
 Participles
 نحو خاص (مخصوص)
 Particular grammar
 النحو الخاص (المخصوص) نظرية في لغة مخصوصة تصف ما به يكون الاقتران بين تمثيل ذهني وعبرة لغوية ويكون به تحديد الشكل والمعنى فيها.

خطاطة الكل والجزء
 PART-WHOLE schema
 مسلك
 Path
 نمط (قالب)
 Pattern(s)

Perception	إدراك
Performance	إنجاز
Perspective	منظور
PF-LF pairing(s)	تزاوجات ش ص - ش م
(Phonological Form-Logical Form pairing(s))	(تزاوجات شكل صوتي - شكل منطقي)
Phonological feature(s)	سمة (سمات) صوتية
Phonological form (PF)	شكل صوتي (ش ص)
Phonological pole	قطب صوتي
Polysemy	اشتراك دلالي (مشارك معنوي)
Pragmatic function(s)	دالة تداولية (دالات)
Predicate-to-Argument	علاقة المسند بمتعلقاته
Predictability	قابلية التكهّن
Preposition(s)	حرف (حروف)
Preverbal message	رسالة ما قبل - كلامية
Primary	أولي
Priming	أولنة
التّرابط بين كلمتين كلّما جرت الواحدة استحضرت قرينتها كما في 'حرب' و'موت' وما من علاقة دلالية مباشرة بينهما. فكّلما جرت الأولى في سياق ما واردتها الأخرى عن طريق الأولنة دون أن يكون موضوع الحديث مقتضيا إيّاها ضرورة.	
Priming effects	آثار الأولنة
Primitives	أوليّات
Principles & Parameters (P&P)	مبادئ وبرامترات
Procedural memory	ذاكرة تراثيبيّة
Procedural knowledge	معرفة تراثيبيّة
Process	عملية
Processing	معالجة

Processing Metaphor	معالجة الاستعارة
Processing time	زمان المعالجة
Processor(s)	معالج (معالجات)
Profile	معروض
Profile determinant	محدد المعروض
Profiling	عرض
Protolanguage	اللغة الأولى
Prototype	الطراز، المقولة الطرازية

Q

Qualia structure	البنية الموصفية
Quantifier-to-bound variable	علاقة المسور بالمتغير المحدود

R

Radial category	مقولة انتشارية (شعاعية)
Recall	استحضار
Recursion	تكرارية
Redundancy	إطناب (إفادة)
Referential opacity	ثخونة الإحالة
Region	منطقة
Relational	علائقي
Relational unit	وحدة علائقية
Relational level	مستوى علائقي
Relative salience/relative prominence	بروز نسبي
Relevance	إفادة
Repeated reproduction	الاستحضار المتكرر
Repository	خزان (رصيد)
Representation	تمثيل
Representational module(s)	منظومة تمثيلية
Resolution	ضبط التناسق

في المعالجة اللغوية: هي عملية تجميع لكلّ الإمكانات التي يمكن أن يكون بها الإدماج ومقارنة بعضها ببعض، وإلغاء ما لا يصلح منها بإبطال جميع العمليات السابقة. كما يكون بها التثبت من حدوث الإدماج على أحسن وجه في جميع المستويات بوجه يكون به التناسق فيها جميعاً. وهي ثالث مرحلة بعد الربط والإدماج.

Response buffer	حافضة الاستجابة
Retrieving	استحضار
Robotics (fr: robotique)	الروبوتية
صناعة الآلات الذكيّة ذات التّحكّم الذاتيّ تتفاعل مع الواقع أو المحيط المتغيّر بما فيه من العناصر والأشياء والتضاريس والآلات الأخرى عند الاقتضاء. وليكون ذلك وجب أن تكون هذه الآلة مزوّدة بأدوات إدراكيّة تستقي بها المعلومات من محيطها وأدوات تفكير تحلّل بها تلك المعلومات وتعالجها وأدوات تنقل أو حركة يتحقّق بها تفاعلها مع محيطها.	
Role(s)	دور، أدوار

S

Salience Prominence	بروز
Scale	السّلم
Scanning	مسح
Schema Theory	نظريّة الخطاطة
Schema(s)	خطاطة (خطاطات)
Schematic	خطاطيّ
Scope	المدى
Script(s)	خطِيطَة، خطاط
Segment	قطّع صوتيّة
Selection	انتقاء
Selectional feature(s)	سمة (سمات) انتقائيّة
Selective projection	إسقاط انتقائيّ
Semantic feature(s)	سمات دلاليّة

Semantic pole	قطب دلاليّ
Semantic primitive(s)	أوليات دلالية
Semantic selection	انتقاء دلاليّ
Sequential scanning	مسح تتابعيّ
Serial reproduction	استحضار تتابعيّ
Shape(d)	شكل، متشكل
Simplex	بسيطة
Simultaneous mapping	إسقاط تزامنيّ (متزامن)
Single-scope	أحاديّ المدى
Situated cognition (cognition située)	العرفنة المتموضعة
نهج في البحث العرفنيّ صاحب النقلة من الحاسوب-نموذجا إلى الدماغ في المباحث العرفنيّة، إذ تبين أنّ الدماغ نفسه لا يكفي بذاته أساسا للعرفنة وحيدا فوجب اعتماد العرفنة في علاقتها بالمحيط والجسد حالا في ذلك المحيط ووسائل العرفنة وتوزّعها بما فيها من مظاهر التفاعل بين الدماغ والمحيط إطارا عاما يمثل نظاما إطارا للعرفنة. وهذا ما يطلق عليه الوضع العرفنيّ.	
Social interaction(s)	تفاعل اجتماعيّ
Source domain	مجال مصدر
SOURCE-PATH-GOAL schema	خطاطة مصدر-مسلك-غاية
Space builder(s)	باني الفضاء (بناء الأفضية)
Speech-comprehension system	نظام فهم الكلام
Spell-out	تهجية
Spoken response	استجابة منطوقة
Spreading	نشر
Spreading activation	إنشاط انتشاريّ
Stand-for relation	علاقة "يقوم مقام" (ينوب عن)
Structural description(s)	وصف بنيويّ
هي جملة الخصائص الصوتيّة والإعرابيّة والدلاليّة التي تكون لعبارة ما.	
Substantive categories	مقولات مليئة

Summary scanning	مسح مجمل
Superfluous element(s)	عنصر زائد
Super-structure	البنية الأم
Symbolic thesis	الفرضية الرمزية
تقوم الفرضية الرمزية على كون اللغة تقارنا بين الصّوت والمعنى وعلى كون النّحو تنظيماً لذلك التقارن الرمزيّ على درجات مختلفة من التركيب والبناء، وهو جلبيّ ظاهر في نظرية النّحو العرفيّ عند لانكاكر (Langacker) وفي أعمال طالبي (Talmy).	

Symbolic unit	وحدة رمزية
Symbolization	ترميز
Syntactocentricity	مركزية الإعراب

Syntactocentrism

تقوم النظرية التوليدية في مختلف أطوارها على اعتبار الإعراب المكوّن التوليديّ الأساسيّ أمّا المكوّنات الآخران (الصّوتيّ والدّلاليّ) فتأويليّان. وقوام هذه الرؤية تصوّر النّحو على أنّه خوارزمية تولّد الجمل النّحوية. ولكن تبين منذ السّنوات 1980 في الحاسوبية وما قارنها من العلوم العرفية أنّ الخوارزميات يمكن أن تشغل بشكل متزامن متواز، ويمكن أن تكون نموذجاً مقبولا في تمثيل الاشتغال الذهنيّ. فنشأ السّعي إلى إلغاء مركزية الإعراب (جاكندوف 1997، 15).

T

Target domain	مجال هدف
Task(s)	مهمّة (مهام)
The body-in-the-brain	الجسد-في-الدماغ
The body-in-the-world	الجسد-في-العالم
Thematic properties	خصائص محورية
Thematic role	دور محوريّ
Threshold	عتبة الإثارة
Tip-of-the-tongue word	الكلمة التي على طرف اللسان
Topic	محور

topicalization	مَحَوْرَة
Topology	ثَبَاتِ التَّعَالُق
Trahumara language	لُغَة التَّراهُومَارَا
Trajector (Tr)	مَنْتَقِل
Transfer	نَقْل
Transformation(s)	تَحْوِيل (تَحْوِيلَات)
Trigger	يَقْدَح/قَادِح
Tripartite Parallel Architecture	الْهَنْدَسَة الثَّلَاثِيَّة المَتَوَازِيَة
Truth-conditions	شُرُوط الصَّدَق

U

Universal Grammar (UG)	النَّحْو الكَوْنِيّ
النَّحْو الكَوْنِيّ نظريّة في المبادئ الثَّابِتَة الّتي تحكّم المملَكَة اللُّغويّة البشريّة وفي برامترات التَّغْيِير المَقْتَرَنَة بِتلك المبادئ. والنَّحْو الكَوْنِيّ هو المملَكَة اللُّغويّة (شومسكي 1988، 61٠) غايته تحديد المبادئ الّتي تقود اشتغال تلك المملَكَة. فهو رصد للحال البدئيّة في المملَكَة اللُّغويّة قبل تعرّضها لأيّ من المعطيات والتَّجربة. ويتضمّن النَّحْو الكَوْنِيّ من حيث هو مملَكَة لغويّة فطريّة نظاما ثابتا من المبادئ الكونويّة ومجموعة محدودة من البرامترات تفرض قيودا على التَّنَوُّع البنيويّ في ما بين اللُّغات.	
Unpacking	تَفْكِيك
Upward floating	طَفَاوَة
Usage-based thesis	الفرضيّة القائمة على الاستعمال
قِوَام فرضيّة الاستعمال أنّ النَّحْو الذَّهْنِيّ عند الفرد إنّما هو تجريد لاستعمالات عديدة في الواقع فلا مجال للفصل بين المعرفة والاستعمال، وذلك خلافا لما هو متداول في التَّولِيدِيّة (النَّحْو المضمّر/النَّحْو المظهر أو القُدْرَة والإنجاز). فالمعرفة هي الاستعمال والعكس قائم إذ العارف باللُّغة هو العارف بما به يكون استعمالها. ولهذه الفرضيّة حضور كبير في ما تعلق بالاكتساب اللُّغويّ (طوماسلو 2000) وبالتَّغْيِير اللُّغويّ عامّة والإنحاء خاصّة في أعمال ويليام كروفت (1996) وهابني وجماعته (1991) مثلا، وإن لم تنتف في سائر النّظريّات اللّسانيّة العرفيّة جميعها.	

V-W

Vantage(s),	زاوية النّظر/زاوية التّناول
vantage point(s)	
Vestibular sense organ(s)	أعضاء الحسّ الدهليزيّة
Vital relation(s)	علاقات أساسيّة
Web	شدّة الاتّصال
Well formedness	البناء الجيّد
Working Memory	ذاكرة عاملة

قائمة المراجع

المراجع العربية

- ابن الجوزي (510-597هـ): أخبار الحمقى والمغفلين، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980.
- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان (942هـ): الخصائص، الجزء الرابع، تحقيق محمد علي النجّار، بيروت: دار الهدى للطبع والنشر، د. ت.
- فضل الله، مهدي: مدخل إلى علم المنطق (المنطق التقليدي)، دار الطليعة، بيروت، (ط1: 1977) الطبعة الرابعة، 1990.
- المسعودي، محمود: السّد، الدّار التونسيّة للنّشر، ط2، 1974.

المراجع الأجنبية

- Andler, D. (ed.). 1992. Introduction aux sciences cognitives. Paris: Gallimard.
- Bartlett, Frederik. 1932. Remembring: A Study in Experimental and Social Psychology. London.
- Bechtel, W. & Graham. G. (eds.). 1998. A Companion to Cognitive Science. Oxford: Blackwell Publishers..
- Bickerton, Derek. 1990. Language and Species. Chicago: University of Chicago Press.
- Brandt, Line & Brandt Per Aage. 2005. Making Sense of a Blend: A Cognitive-semiotic Approach to Metaphor. Annual Review of Cognitive Linguistics 3, 216-249.
- Brewer, W.F. and Treyens, J. C. 1981. Role of Schemata in Memory for Places. Cognitive Psychology 13, 207-230.
- Bruner, J. & Oliver, R. & Greenfield, P. 1966. Studies in Cognitive Growth. New York: Wilay.
- Butterworth, Brian. 1989. Lexical Access in Speech Production. in Marslen-Wilson, William, (ed.) 1989, 108-135.

- Calvin, William H. 1990. *The Cerebral Symphony: Seashore reflections on the structure of consciousness*. New York: Bantam Books.
- Chomsky, N. 1979. *Language and Responsibility*. Based on conversations with Mitsou Ronat, translated from French by John Viertel. New York: Pantheon Books.
- Chomsky, N. 1986. *Knowledge of Language: its Nature, Origin and Use*. New York: Praeger.
- Chomsky, N. 1988. *Language and Problems of Knowledge, The Managua Lectures*, Cambridge, Mass: MIT Press.
- Chomsky, N. 1993. *A Minimalist Program for Linguistic Theory*, in Hale K. and Keyser, S. J. (eds.): *The View from Building 20*, Cambridge, Mass: MIT Press. (reprinted in Chomsky 1995, chap.3)
- Chomsky, N. 1995. *The Minimalist Program*. Cambridge, Mass: MIT Press.
- Chomsky, N. 1998. *Minimalist Inquiries: the Framework*, MIT occasional Papers in Linguistics, no 15.
- Chomsky, N. 1999. *Derivation by Phase*, MIT occasional Papers in Linguistics, no 18.
- Chomsky, N. 2001. *Beyond Explanatory Adequacy*, unpublished ms, MIT.
- Chomsky, N. 2002. *On Nature and Language*, Cambridge: Cambridge
- Chomsky, N. and Howard Lasnik. 1993. *The Theory of Principles and Parameters*, in: *Syntax: An International Handbook of Contemporary Research*, edited by Joachim Jacobs, Arnim von Stechow, Wolfgang Sternefeld and Theo Vennemann, Berlin and New York: de Gruyter, 1993. Reprinted in Chomsky (1995: 13-127).
- Cohen, G. 1989. *Memory in the Real World*. London: Erlbaum.
- Cole, M., Gay, J. and Sharp, D. 1971. *The Cultural Context of Learning and Thinking*. New York: Basic Books.
- Corballis, Michael C. 1991. *The Lopsided ape: Evolution of the Generative Mind*. New York: Oxford University Press.

- Coulson, S. 1997. Semantic Leaps: Frame-shifting and Conceptual Blending. UCSD Ph.D. dissertation.
- Croft, W. 1996. Linguistic Selection: An Utterance-based Evolutionary Theory of Language. *Nordic Journal of Linguistics*, 19, 99-139.
- D'Andrade, R. 1995. The Development of Cognitive Anthropology. Cambridge: Cambridge University Press.
- Edelman, Gerald M. 1992. *Bright Air, Brilliant Fire*, New York: Basic Books.
- Ekman, P.; Levenson, R.W.; and Friesen, W.V. 1983. Autonomic Nervous System Activity Distinguishes among Emotions. *Science* 221: 1208-1210.
- Fauconnier, G. and Sweetser E. (edr). 1996. *Spaces, Worlds and Grammar*, Chicago: The University of Chicago Press.
- Fauconnier, Gilles and Sweetser, Eve. 1996. Cognitive Links and Domains: Basic Aspects of Mental Sapce Theory in: Fauconnier. G. and Sweetser E. (eds.) 1996.
- Fauconnier, Gilles and Turner Mark. 1995. Conceptual Integration and Formal Expression, *Metaphor and Symbolic Activity*, 10: 183-204.
- Fauconnier, Gilles and Turner, Mark. 1998. Conceptual Integration Networks, *Cognitive Science*, Vol. 22 (2): 133-187.
- Fauconnier, Gilles and Turner, Mark. 2000. Compression and Global Insight. *Cognitive Linguistics*, Vol. 11 (3-4): 283-304.
- Fauconnier, Gilles and Turner, Mark. 2002. *The Way We Think: Conceptual Blending and The Mind's Hidden Complexities*. New York: Basic Books.
- Fauconnier, Gilles. 1994. *Mental Spaces Aspects of Meaning Construction in Natural Language*, Cambridge: Cambridge University Press (first published by MIT 1985).
- Fauconnier, Gilles. 1996. Analogical Counterfactuals in Fauconnier, G. and Sweetser, E. (edr.) 1996, 57-90.
- Fauconnier, Gilles. 2001. Conceptual Integration, Emergence and Development of Embodied Cognition (EDEC 2001).

- Fauconnier, Gilles. 2005. Compression and Emergent Structure. In S. Huang (ed.). *Language and Linguistics*. 6.4: 523-538.
- Fillmore, C. 1982. Frame Semantics. In *Linguistics Society of Korea* (ed.): *Linguistics in the Morning Calm*, pp111-138. Seoul: Hanshin.
- Forster, Kenneth I., 1989. Basic Issues in Lexical Processing, in Marslen-Wilson, William (ed.), 1989, 75-109.
- Fox, Nick. J. 1999. *Beyond Health. Postmodernism and Embodiment*. London.
- Gallese, V.; Fadiga, L.; Fogassi, L. and Rizzolatti, G. 1996. Action Recognition in the Premotor Cortex. *Brain* 119: 593-609.
- Garnham, A., Shillcock, R. S., Brown, G. D. A., Mill, A. I. D. & Cutler, A. 1982. Slips of the Tongue in the London-Lund Corpus of Spontaneous Conversations. In A. Cutler (ed.), *Slips of the Tongue and Language Production*. Berlin: Mouton.
- Goldsmith. J. 1979. *Autosegmental Phonology*. New York: Garland Press.
- Goldsmith. J. 1990. *Autosegmental and Metrical Phonology*. Oxford: Basil Blackwell.
- Goschler, Juliana. 2005. *Embodiment and Body Metaphors*, metaphorik.de 09.
- Gould, Stephen Jay. 1980. Our greatest evolutionary step. In *The panda's thumb*, 125-133. New York: Norton.
- Grady, J.E., Oakley, T. & Coulson, S. 1999. Blending and Metaphor, in Steen, G. & Gibbs, R. (eds): *Metaphor in Cognitive Linguistics*, Philadelphia: Benjamins.
- Gregory, Richard L. (ed.). 1987. *The Oxford Companion to The Mind*. Oxford: Oxford University Press.
- Grimshaw, J. 1981. Form, Function and the Language Acquisition Device, in Baker, C.L. and Mc Carthy, J. (eds): *The Logical Problem of Language Acquisition*, Cambridge. Mass: MIT.
- Haiman. J. 1980. Dictionaries and Encyclopedias, *Lingua* 50, 329-357.
- Halle, M., Bresnan, J. and Miller George A. (eds). 1978. *Linguistic Theory and Psychological Reality*. Cambridge, Mass: MIT Press.

- Harris, R. A. 1993. *The Linguistics Wars*. New York: Oxford University Press.
- Harris, R.J.; Hensley, D.J. and Schon, L.M. 1988. The Effect of Cultural Script Knowledge on Memory for Stories Over Time. *Discourse Processes* 11, 413-431.
- Heine, B., Claudi, U. & Hünemeyer, F. 1991. *Grammaticalization: A Conceptual Framework*. Chicago: Chicago University Press.
- Holland, D. and Quinn, N. (eds). 1987. *Cultural Models in Language and Thought*, Cambridge: Cambridge University Press.
<http://www.metaphorik.de>.
- Hutchins, Edwin 1995. *Cognition in the Wild*. Cambridge: MIT Press.
- Imbert, Michel. 1992. Neurosciences et sciences cognitives, in: Andler (ed.). 1992. 49-76.
- Jackendoff. R. 1997. *The Architecture of Language Faculty*. Cambridge. Mass.: MIT Press.
- Jackendoff. R. 2002. *Foundations of Language: Brain, Meaning, Grammar, Evolution*. Oxford: Oxford University Press.
- Jensen de Lopez, Kristine. 2002. Language-specific Patterns in Danish and Zapotec Children's Comprehension of Spatial Grams, in: Eve Clark (ed.), *The Proceedings of the 31st Stanford Child Language Forum: Space in Language, Location, Motion Path and Manner*, 50-59. Stanford University Press: Center for the Study of Language and Information.
- Jespersen, Otto. 1924. *The Philosophy of Grammar*. London: Allen & Unwin.
- Johnson, M. 1987. *The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Imagination and Reason*. Chicago: University of Chicago Press.
- Kay, P. & Kempton, W. 1984. What is the Sapir-Whorf Hypothesis? *American Anthropologist*, 86, 65-79.
- Kemmer, S. and Barlow, M. 2000. Introduction: A Usage-based Conception of Language, in Kemmer, S and Barlow, M (eds).

Usage Based Models of Language, i-xxi. Stanford: CSLI Publications.

- Kempen, G. and Huijbers, P. 1983. The Lexicalization Process in Sentence Production and Naming: Indirect Election of Words. *Cognition*, 14, 185-209.
- Keynes. Formal Logic.
- Kosslyn, Stephen M. 1994. *Image and Brain: The Resolution of the Imagery Debate*. Cambridge: MIT Press.
- Kosslyn, Stephen M.; DiGirolamo, G.J.; Thompson, W.L. and Alpert, N.M. 1998. Mental Rotation of Objects versus Hands: Neural Mechanisms revealed by Positron Emission Tomography. *Psychophysiology* 35,151-161.
- Kreitzer, Anatol. 1997. Multiple Levels of Schematization: A Study in the Conceptualization of Space. *Cognitive Linguistics*, 8: 291-325.
- Lakoff, G. 1987. *Women, Fire and Dangerous Things: What Categories Reveal about the Mind*. Chicago: University of Chicago Press.
- Lakoff, G. 1990. The Invariance Hypothesis: Is Abstract Reason based on Image-schemas? *Cognitive Linguistics*, 1(1),39-74.
- Lakoff, G. 1992. The Contemporary Theory of Metaphor, in Ortony A. (ed.): *Metaphor and Thought*, Cambridge: Cambridge University Press.
- Lakoff, G. and Johnson, M. 1980. *Metaphors We live By*. Chicago: University of Chicago Press.
- Lakoff, G. and Johnson, M. 1999. *Philosophy in the Flesh: the Embodied Mind and its Challenge to Western Thought*. New York: Basic Books.
- Lakoff, G. and Turner, M. 1989. *More Than Cool Reason: A field guide to poetic metaphor*. Chicago: University of Chicago Press.
- Lakoff, G. and Nuñez, R. 2000. *Where Mathematics Come From: How embodied mind brings mathematics into being*. New York: Basic Books.
- Langacker, R.W. 1987. *Foundations of Cognitive Grammar*, vol.1:

Theoretical Prerequisites, California, Stanford: Stanford University Press.

- Langacker, R.W. 1988. An Overview of Cognitive Grammar, in Rudzka-Ostyn, B. (ed.). *Topics in Cognitive Linguistics*, 3-48.
- Langacker, R.W. 1991. Cognitive Grammar. in Droste, Flip G. & Joseph, John E. (eds). *Linguistic Theory and Grammatical Description*, Amsterdam: Benjamins. 275-306.
- Langacker, R.W. 1991. *Foundations of Cognitive Grammar*, vol.2: Descriptive Applications. Stanford: Stanford University Press.
- Langacker, R.W. 2001. Topic, Subject and Possessor, in Simonsen, Hanne Gram & Enderson, Rolf Theil (eds). *A Cognitive Approach to the Verb, Morphological and Constructional Perspectives*, Berlin-New York: De Gruyter, 11-48.
- Levelt, Willem J. M. 1989. *Speaking, from Intention to Articulation*, Cambridge, Mass: MIT Press.
- Luria, A. 1971. Towards the Problem of the Historical Nature of Psychological Processes. *International Journal of Psychology*, 6, 259-272.
- MacLaury, Robert. 1989. Zapotec Body-part Locatives: Prototypes and Metaphoric Extensions. *International Journal of American Linguistics* 55: 119-154.
- MacLaury, Robert. 1997. *Color and Cognition in Mesoamerica: Constructing Categories as Vantages*. Austin: University of Texas Press.
- Mandler, Jean. 1992. How to build a baby: ii. Conceptual primitives. *Psychological Review* 99: 597-604.
- Marslen-Wilson, William (ed.). 1989. *Lexical Representation and Process*. Cambridge, Mass: MIT Press.
- McClelland, J. L., Rumelhart, D.E & the PDP Research Group (eds). 1986. *Parallel Distributed Processing*. Cambridge, MA: MIT Press.
- McClelland, J.L. and D.E. Rumelhart. 1981. An Interactive Activation Model of Context Effects in Letter Perception: Part 1: An Account of Basic Findings. *Psychological Review* 88: 1-86.

- McClelland, J.L., D.E. Rumelhart and the PDP Research Group. 1986. *Parallel Distributed Processing: Explorations in the Microstructures of Cognition. Volume 2: Psychological and Biological Models.* Cambridge Mass.: MIT Press.
- Miller, G.A. and Johnson-Laird, P.N. 1976. *Language and Perception.* Cambridge: Harvard University Press.
- Miller, George A. 1978. Semantic Relations Among Words, in: Halle, M., Bresnan, J. and Miller, George A. (eds). 1978, 60-118.
- Morton, J. 1969. The Interaction of Information in Word Recognition. *Psychological Review*, 76, 165-178.
- Morton, J. 1970. A Functional Model of Human Memory. In D.A. Norman (ed.), *Models of Human Memory*, New York: Academic.
- Morton, J. 1979. Facilitation in Word Recognition: Experiments Causing Change in the Logogen Model. In P. A. Kolers, M. E. Wrolstad and M. Bouma (eds.), *Processing of Visible language.* New York: Plenum.
- Morton, J. 1979. Word Recognition. In J. Morton & J. Marshall (eds.), *Psycholinguistics: Series 2. Structures and Processes.* London: Elek.
- Newell A. 1982. The Knowledge Level, *Artificial Intelligence*, 18, 87-127.
- Newell A. 1980. Physical Symbol Systems, *Cognitive Science*, 4, 135-183.
- Nuckolls. C.W. 1998. Cognitive Anthropology, in Bechtell, W. and Graham, H. (eds), 1998, 140-145.
- Oakley, Todd. Image Schemas, in: Geeraerts, D. and Cuyckens, H. (eds). *Handbook of Cognitive Linguistics*, Oxford, UK: Oxford University Press.
- Pesetsky, D. 1982. *Paths and Categories*, PhD diss., MIT, Cambridge Mass.
- Pinker, S. 1994. *The Language Instinct, The New Science of Language and Mind.* London: Penguin.
- Pinker, S. 1999. *Words and Rules, The Ingredients of Language.* London: Phoenix.

- Pinker, S.1984. *Language Learnability and Language Development*. Cambridge: Harvard University Press.
- Putnam, Hilary. 1975. The Meaning of "Meaning", in Gunderson, K. (ed.): *Language, Mind and Knowledge*, Minneapolis: University of Minnesota Press. Reprinted in Putnam, H.1975. *Mind, Language and Reality*. Philosophical Papers, vol.2. Cambridge: Cambridge University Press.
- Radford, Andrew. 2004. *Minimalist Syntax, Exploring the Structure of English*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Reddy, M. 1979. The Conduit Metaphor. In A. Ortony (ed.): *Metaphor and Thought*, 284-324. Cambridge: Cambridge University Press.
- Rhee, Seongha.2002. Semantic Changes of English Preposition against: a Grammaticalization Perspective. *Linguistic Research* 38: 563-583.
- Rhodes, Richard. 1977. *Semantics in Relational Grammar*. Proceedings of the Thirteenth Annual Meeting of the Chicago Linguistic Society. Chicago: Chicago Linguistic Society.
- Rizzolatti, G. & Craighero, L. 2004. The Mirror Neuron System, *Annual Review of Neuroscience* 27: 169-192.
- Robert, Adrian. 1998. *Blending in The Mathematical Proofs. Discourse and Cognition*. Edited by Jean-Pierre Koenig. Stanford: Center for the Study of Language and Information (CSLI).
- Rohrer, Tim. 2007. The Body in Space: Experientialism and Linguistic Conceptualization, in: Zimke, T.; Zlatev, J.; Frank, R. and Dirven, R.(eds.): *Body, Language and Mind, Vol.1*, Berlin: De Gruyter, 339-378.
- Rosch, Eleanor. 1973. Natural Categories. *Cognitive Psychology* 4: 328-350.
- Rosch, Eleanor. 1975. Cognitive Representations of Semantic Categories. *Journal of Experimental Psychology* 104: 192-233.
- Rosch, Eleanor. 1977. Human Categorization. In Warren, N. (ed), 1977. *Studies in Cross-Cultural Psychology*. London: Academic.
- Rosch, Eleanor. 1978. Principles of Categorization. In Rosch and

- Lloyd (eds), 1978. *Cognition and Categorization*. Hillsdale: Erlbaum.
- Ross, B. and Millson, C. 1970. Repeated Memory of Oral Prose in Ghana and New York. *International Journal of Psychology*, 5,173-181.
 - Rumelhart, D.E. 1980. Schemata: the Building Blocks of Cognition, in: Spiro, R.; Bruce, B. and Brewer, W. (eds): *Theoretical Issues in Reading Comprehension*, Hillsdale: Erlbaum.
 - Sabah, G. 2002. Robotique, in Tiberghien Guy (ed.). 265-267.
 - Schachter, S. and Singer, J. 1962. Cognitive, Social and Physiological Determinants of Emotional States. *Physiological Review* 69: 379-399.
 - Schlanger, Jacques. 1990. *La Situation Cognitive*, Klincksieck.
 - Searle, John R. 1992. *The Rediscovery of Mind*. Cambridge. Mass: MIT Press.
 - Shweder, R. and Bourne, E. 1984. Does the Concept of the Person vary Cross-culturally? In R. Shweder and R. LeVine (eds), *Culture Theory*, Chicago: University of Chicago Press. 158-199.
 - Sinha, C. & Jensen de Lopez, Kristine. 2000. Culture and the Embodiment of Spatial Cognition. *Cognitive Linguistics*, 11: 17-41.
 - Smith, Michael B. 1999. From Instrument Irrealis: Motivating Some Grammaticalized Senses of the Russian Instrumental. In Katarzyna Dziwirek, Herbert Coats & Cynthia M. Vakareliyska (eds): *Annual Workshop on Formal Approaches to Slavic Linguistics, Vol7: The Seattle meeting*, Ann Arbor: Michigan Slavic Publications.
 - Smolensky, P. 1992. 1A Connexionniste, 1A Symbolique et Cerveau, in Andler, D. (ed.). 1992. 77-106.
 - Sweetser, Eve. 2000. Blended Spaces and Performativity. *Cognitive Linguistics*. Vol.11,3/4.
 - Taft, M. and G. Hambly. 1986. Exploring the Cohort model of Spoken Word Recognition. *Cognition* 22: 259-282.
 - Talmy, L. 1988. The Relation of Grammar to Cognition, in B. Rudzka-Ostyn (ed.), *Topics in Cognitive Linguistics*, Amsterdam: Benjamins.

- Talmy, L. 2000. *Toward a Cognitive Semantics: Vol.1. Concept structuring Systems, and Vol. 2: Typology and Process in Concept structuring.* Cambridge, Mass: MIT Press.
- Taylor, John R. 1996. *Linguistic Categorization.* New York: Oxford University Press.
- Taylor, John R. 2002. *Cognitive Grammar.* Oxford: Oxford University Press.
- Tiberghien, Guy (ed.) 2002. *Dictionnaire des sciences cognitives.* Paris: Armand Colin.
- Tomasello, M. 2000. A Usage-based Approach to Child Language Acquisition. *Proceedings of the Berkley Linguistics Society*, 305-319, Berkley: Berkley Linguistics Society.
- Turner, Mark. 2000. Conférences au Collège de France: 3. La Perspicacité et la Mémoire. (Paris, 20 juin 2000): <http://turner.stanford.edu>
- Turner, Mark. 2005. The Blending Website: <http://blending.stanford.edu>
- Turner, Mark. 2006. Compression and Representation, *Language and Literature*, Vol 15(1): 17-27.
- Vingerhoets, G.; Delange, F.P.; Vandamaele, P.; Deblaere, K. and Achten, E. 2002. *Motor Imagery and Mental Rotation: An fMRI study.* *Neuroimage* 17: 1623-1633.
- Watson, J. 1913: *Psychology as a Behaviorist Views It.* *Psychological Review*, 20, 158-177.
- Werner, H. and Kaplan, B. 1963. *Symbol Formation: an Organismic-developmental Approach to Language and the Expression of Thought.* New York: Wiley.
- Wiener, N. 1948: *Cybernetics, or Control and Communication in the Animal Machine,* New York: Wiley.
- Winograd, E. 1993. Memory in the Laboratory and Everyday Memory: the case for both. In J.M. Puckett & H.W. Reese (eds.), *Mechanisms of Everyday Cognition.* Hillsdale, NJ: Erlbaum. 55-70.
- Zlatev, Jordan. 1997. *Situated Embodiment, Studies in the Emergence of Spatial Meaning.* Stockholm.

المؤلف: الأزهر الزنّاد

حاصل على الأستاذية في اللغة والآداب العربية من الجامعة التونسية سنة 1982 فشهادة الكفاءة في البحث سنة 1982، فالتّبريز سنة 1984، فشهادة الدّراسات المعمّقة في اللّسانيّات من جامعة باريس 8 سنة 1993 فدكتورا الدّولة من الجامعة التونسية سنة 1998. باحث زائر في بعض أقسام اللّسانيّات بمختلف الجامعات الأمريكيّة في إطار برنامج فولبرايت في مناسبات عديدة. حاليّا، أستاذ التّعليم العالي كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات، بمتّوبة، تونس: مدرّسا باحثا في اللّسانيّات العرفيّة وفي التّرجمة، مديرا لفريق بحث في اللّسانيّات العرفيّة واللّغة العربيّة منذ 2002، بجامعة متّوبة.

zanned_lazhar@yahoo.fr

صدر له:

- دروس في البلاغة العربيّة، 1992 (ط1)، 1994 (ط2).
- نسيج النّص: بحث في ما به يكون الملفوظ نصّا، 1993.
- الإشارات النّحويّة: بحث في تولّد الأدوات والمقولات النّحويّة من الأصول الأحاديّة الإشاريّة في اللّغة العربيّة، منشورات كلّية الآداب والفنون والإنسانيّات، بمتّوبة (تونس)، 2005.
- جملة من المقالات المتفرّقة بالعربيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة يهّم حلّها المنوال الاحتماليّ في انتظام المعجم العربيّ، وجميعها مواصلة لأطروحة دكتورا الدّولة.
- تحت الطّبع: فصول في الدّلالة ما بين المعجم والتّحو، نصوص في التّرجمة من الإنجليزيّة، النّصّ والخطاب في إطار لسانيّ عرفيّ.

المركز الإسلاميّ الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة
الرقم: 8720

نظريات لسانية عرفنية

العلوم العرفنية كما يحددها (لايكوف) هي: "حقل جديد يجمع ما يُعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة: علم النفس واللسانيات والأنثروبولوجيا والحاسوبية. وهو ينشد أجوبة مفصلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل؟ كيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هو النظام المفهومي وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النظام المفهومي نفسه؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النظام؟ وإن لم يكن كذلك، ما هو بالتحديد ذاك الشيء المشترك بين بني البشر جميعهم في ما به يفكرون؟ فالأسئلة ليست جديدة ولكن بعض الأجوبة جديد.

فهل من دور للأبحاث الجديدة في اللسانيات العرفنية، في الإجابة عن مثل هذه الأسئلة؟
يعود الكاتب الأزهر الزناد إلى منابت النظريات اللسانية العرفنية ليضيف إلى المختبر البحثي العربي مباحث نادرة، في عرض نظري واضح وتحليل مؤسس على الدقة والوعي بإشكالات تطبيق هذه النظريات.



الدار العربية للعلوم ناشرون

Arab Scientific Publishers, Inc.

www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

ISBN 978-9953-87-901-7



9 789953 879017

www.edition-medali.com

www.edition-medali.com



9 789953 879017